من أعلام السلف

تأليف

أحمد فريد
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثاني

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ☏ ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ/١٩٩٨م

رقم الإيداع
٩٧/٤٩١٦
الترقيم الدولى
I.S.B.N - 977-5191-34 -3

الناشر
دار الإيمان
للطبع و النشر و التوزيع
١٧ ش خليل الخياط- مصطفي كامل
إسكندرية ✆ ٥٤٥٧٧٦٩

من أعلام السلف

٢١

الإمام المبارك
عبد الله بن المبارك

١ - اسمه ومولده وموطنه رحمه الله

اسمه : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم أبو عبد الرحمن المروزى الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء فى وقته .

عن العباس بن مصعب قال : « كانت أم عبد الله بن المبارك خوارزية أبوه تركى ، وكان عبداً لرجل من التجار من همذان من بنى حنظلة »(١) .

عن الحسن قال : « كانت أم ابن المبارك تركية ، وكان الشبه لهم بيّناً فيه ، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعر »(٢) .

مولده : قال أحمد بن حنبل : ولد ابن مبارك سنة ثمان عشرة ومائة .

وقال خليفة : وفيها – يعنى ثمان عشرة ومائة – ولدعبد الله بن المبارك .

وقال بشر بن أبى الأزهر : قال ابن المبارك ذاكرنى عبد الله بن إدريس السنه فقال : ابن كم أنت فقال : إن العجم لا يكادون يحفظون ذلك ولكن أذكر أنى لبست السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم قال : فقال لى : قد ابتليت بلبس السواد قلت : إنى كنت أصغر من ذلك ، كان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار(٣) .

وكان أبو مسلم فى بداية الدولة العباسية قد ألزم الرعية كباراً وصغاراً بلبس السواد ، وكان ذلك شعارهم إلى آخر أيامهم .

موطنه : مرور وهى من مدن خرسان .

عن عبد العزيز بن أبى رزمة قال : قال لى شعبة : من أين أنت ؟ قال :

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٥٢) للخطيب البغدادى .
(٢) صفة الصفوة (٤ / ١٣٤) مكتبة التوعية الإسلامية .
(٣) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٠٥) لابن عساكر .

قلت من أهل مرو قال : تعرف عبد الله بن المبارك قال : قلت نعم قال : ما قدم علينا مثله .

وفى رواية : ما قدم علينا من ناحيتكم مثله [١] .

وعن أحمد بن سنان قال : بلغنى أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد فى أوّل الأمر قال لـه من أين أنـت ؟ قال : من أهل خرسان قال : من أىِّ خرسان ؟ قال : من مرور . قال : تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك ؟ قال : نعم قال : ما فعل ؟ قال : هو الذى يخاطبك قال : فسلم عليه ، ورحّب به ، وحسَّن الذين بينهم [٢] .

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٢٠) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٢٤) .

٢ - إجتماع خصال الخير فيه

عن الحسن بن عيسى قال : إجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى ، ومخلد بن حسين ، ومحمد بن النضر فقالوا : تعالوا حتى نَعُدَّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير فقالوا : جمع العِلْمَ ، والفقة ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصاف ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزو ، والشجاعة ، والفروسية ، والشدة فى بدنه ، وترك الكلام فى مالا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه ، وكان كثيراً ما يتمثل :

وَإِذَا صَاحَبْتَ فاصْحَبْ صَاحِباً ... ذَا حَيَـاءٍ وَعَـفَـافٍ وَكَـرَم
قَــوْلُهُ لِلشَّئ ، لا إِنْ قُلْتَ لاَ ... وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ قَــالَ نَعَمْ [(١)]

وقال ابن حبّان : كان فيه خصال الخير مجتمعة ، ولم تجتمع فى أحدٍ من أهل العلم فى زمانه فى الدنيا كلها [(٢)].

وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فى عبد الله ابن المبارك ، ولقد حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم [(٣)].

---

(١) تهذيب الكمال (١٦ / ١٨) للحافظ المزى بتحقيق د . بشار عواد معروف ط الرسالة وانظر أيضاً سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٧) للذهبى ط الرسالة وتاريخ دمشق (٣٨ / ٣٣٥) لابن عساكر .

(٢) الثقات (٧/٧) لابن حبان .

(٣) صفة الصفوة (٤ / ١٤٤) وتاريخ بغداد (١٠ / ١٥٧) للخطيب البغدادى وتاريخ دمشق (٣٣٢/٣٨) ، (١٦ / ٢٠) تهذيب الكمال .

وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدى قال : ما رأيت مثل ابن المبارك قال فقال له يحيى بن سعيد القطان ، ولا سفيان ولا شعبة قال : ولا سفيان ولا شعبة ، كان ابن المبارك فقيهاً فى علمه ، حافظاً ، زاهداً ، عابداً ، غنياً ، حجَّاجاً ، غزَّاءً ، نَحَوياً ، شاعراً ، ما رأيت مثله (١) .

وعن عبد العزيز بن أبى رزْمة قال : لم تكن خصلة من خصال الخير إلا جمعت فى عبد الله بن المبارك ؛ حياء ، وتكرم ، وحسن خلق ، وحسن صحبة ، وحسن مجالسة ، والزهد والورع ، وكل شئ (٢) .

وقال النسائى : لا نعلم فى عصر ابن المبارك أجَلَّ من ابن المبارك ، ولا أعلى منه ، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه (٣) .

وقال الحافظ : ثقة ، ثبتٌ ، فقيه ، عالم ، جواد ، مجاهد ، جمعت فيه خِصَالُ الخيرِ (٤) .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٢٧) لابن عساكر .
(٢) السابق (٣٨ / ٣٣٥) .
(٣) تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨٦ ، ٣٨٧) .
(٤) تهذيب التهذيب (٣٢٠) .

٣ - طلبه للعلم ونباهة فاطرة

قال أحمد بن حنبل رحمه الله :

لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه ، رحل إلى اليمن ، وإلى مصر ، وإلى الشام ، والبصرة ، والكوفة ، وكان من رواة العلم . وأهل ذلك . كتب عن الصغار والكبار ،كتب عن عبد الرحمن بن مهدى ، وعن الفزارى ، وجمع أمراً عظيماً ، ما كان أحد أقل سقطاً من ابن المبارك ، كان رجلاً يحدث من كتاب ، ومن حدث من كتاب لا يكاد يكون له سقط ، وكان وكيع يحدث من حفظه ، ولم يكن ينظر فى كتاب ، فكان يكون له سقط ، كم يكون حفظ الرجل (١) .

سأل أبو خراش بالمصيصة عبد الله بن المبارك يا أبا عبد الله إلى متى تطلب العلم قال : لعل الكلمة التى فيها نجاتى لم أسمعها بعد (٢) .

عن محمد بن النضر بن مُساور قال : قال أبى قلت لعبد الله - يعنى ابن المبارك - يا أبا عبد الرحمن هل تحفظ الحديث ؟ قال فتغير لونه وقال ما تحفظت حديثاً قط إنما آخذ الكتاب فأنظر منه فما أشتهيه علق بقلبى (٣) .

وعن الحسين بن عيسى قال : أخبرنى صخر - صديق ابن المبارك - قال: كنا غلمان فى الكُتّاب فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب خطبة طويلة ، فلما فَرغ قال لى ابن المبارك : قد حفظتها ، فسمعه رجل من القوم فقال : هاتها فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حفظها (٤) .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣١١) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣١٢) وصفة الصفوة (٤ / ١٣٨) .
(٣) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٥) وسير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٢) .
(٤) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٦) وسير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٣) .

وعن نعيم بن حماد قال : سمعت عبد الله بن المبارك قال : قال لى أبى : لئن وجدت كتبك لأحرقنها قال : فقلت له : وما على من ذلك وهى فى صدرى (١) .

قال شقيق بن إبراهيم : قيل لابن المبارك : إذا صليت معنا لم تجلس معنا ؟ قال : أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين . قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟ قال : أذهب أنظر فى علمى ، فأدرك آثارهم وأعمالهم ، ما أصنع معكم أنتم تغتابون الناس (٢) .

وروى نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس فى بيته فقيل له : ألا تستوحش ؟ قال : كيف استوحش وأنا مع النبى ﷺ (٣) .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٦) وسير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٣) وفيه (وهى فى صدرى) ولعل ما فى تاريخ بغداد خطأ مطبعى .
(٢) صفة الصفوة (٤ / ١٣٧) .
(٣) صفة الصفوة (٤ / ١٣٦) .

٤ - عبادته وخشيته

قال محمد بن الوزير وصى ابن المبارك - كنت مع عبد الله فى المحمَل [١] . فانتهينا إلى موضع بالليل وكان ثَمّ خوف ، قال : فنزل ابن المبارك وركب دابته حتى جاوزنا الموضع فانتهينا إلى نهر فنزل عن دابته وأخذت أنا مقوده ، واضجعت ، فجعل يتوضأ ويصلى حتى طلع الفجر ، وأنا أنظر إليه ، فلما طلع الفجر نادانى ، قال : قم فتوضأ قال : قلت إنى على وضوء فركبه الحزن حيث علمت أنا بقيامه ، فلم يكلمنى حتى انتصف النهار وبلغت المنزل معه [٢] .

وعن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالى فأقول فى نفسى : بأى شئ فُضِّلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة إن كان يصلى إنّا لنصلى ، ولئن كان يصوم إنّا لنصوم ، وإن كان يغزو فإنا لنغزو وإن كان يحج إنا لنحج .

قال فكنا فى بعض مسيرنا فى طريق الشام ليلة نتعشى فى بيت ، إذا طفئ السراج ، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح ، فمكث هنيهه ثم جاء بالسراج ، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت بالدموع . فقلت فى نفسى : بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة .

قال المروزى : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : مارفع الله ابن المبارك إلا غيبة كانت له [٣] .

---

(١) المحمل : الذى يركب عليه . قال ابن سِيده : المحمل شقان على البعير يحمل فيها العديلان .
(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٤٠) .
(٣) صفة الصفوة (٤ / ١٤٥/١٤٦) وقوله : « غيبة » أى شئ مغيب من خصال الخير لا نعرفه .

قال الخليل أبو محمد : كان ابن المبارك إذا خرج إلى مكة يقول :

بُغْضُ الْحَيَاةِ وَخَوْفُ اللهِ أَخْرَجَنِي ... وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا
إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ ... مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللهِ مَا اتَّزَنَا (١)

وقال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء ، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء إلا دفعه (٢) .

وقال أبو اسحق إبراهيم بن الأشعث : مرض ابن المبارك مرضة فجزع حتى رأوه جزعاً فقيل له : إنك ليس بك كل ذلك وأنت تجزع هذا الجزع قال : مرضت وأنا بحال لا أرضاه .

قال أبو اسحق : وقال الفضيل يوماً وذكر عبد الله فقال : أما إني أحبه لأنه يخشى الله .

قال أبو اسحق : قيل لابن المبارك رجلان أحدهما أخوف والآخر قتل في سبيل الله فقال : أحبها إليّ أخوفهما (٣) .

قال أبو خزيمة العابد : دخلت على عبد الله وهو مريض فجعل يتقلب على فراشه من الغمّ فقلت له يا أبا عبد الرحمن ما هذا ؟ فاصبر قال : من يصبر في أخذ الله ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] (٤) .

قال أبو روح قال ابن المبارك : إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال : ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب فيه ، وعمر قد بقي لا يدرى ماذا فيه من المهلكات وفضل قد أعطى لعله مكر واستدراج ، وضلالة قد زينت له فيراها

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٦) .
(٢) السابق (١٠ / ١٦٧) وتاريخ دمشق (٣٨ / ٢٤٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٨ / ٢٤٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٣٨ / ٢٢٤) .

هدى ، ومن زيغ القلب ساعة ساعة أسرع من طرفة عين ، قد يسلب دينه وهو لا يشعر [(١)] .

وعن عبد الله بن عاصم الهروى : أن شيخاً دخل على عبد الله بن المبارك فرآه على وسادة خَشِنَة مرتفعة قال : فأردت أن أقول له فرأيت به من الخشية حتى رحمته ، فإذا هو يقول : قال الله عز وجل : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] قال : لم يرض الله أن ينظر إلى محاسن المرأة فكيف بمن يزنى بها . وقال الله عز وجل: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] فى الكيل والوزن فكيف بمن يأخذ المال كله ؟ وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] ونحو هذا فكيف بمن يقتله ؟ قال : فرحمته وما رأيته فيه فلم أقل له شيئاً [(٢)] .

---

(١) السابق (٣٨ / ٣٤٤) .
(٢) السابق (٣٨ / ٣٤٤) .

٥ - زهده وورعه

وأصل الزهد هو خلو القلب من الدنيا وليس خلو اليد منها ، فقد كان ابن المبارك تاجراً ولكنه كان ينوى بذلك أن يستعين بالمال على مساعدة الإخوان والحج والجهاد وغير ذلك من المكرمات .

عن على بن الفضيل قال : سمعت أبى وهو يقول لابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد الخرسان إلى البلد الحرام ، كيف ذلك ؟ فقال ابن المبارك : يا أبا على إنما أفعل ذلك لأصون به وجهى ، وأكرم به عرضى ، وأستعين به على طاعة ربى ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا إذا تم ذا (١) .

وسوف يظهر إن شاء الله فى باب أدبه وكرمه كيف أنه كان ينفق الأموال فى طاعة الكبير المتعال ، بما يدل على خلو قلبه منها ، وإنما المال كما قال السلف : وسائل للمكارم .

أما عن ورعه رحمه الله فقد قال الحسن : ورأيت فى منزل ابن المبارك حَماماً طَيَّارة فقال ابن المبارك : قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم . قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمام غيرها فتزواجت بها ، فنحن نكره أن ننتفع بشئ من أجل ذلك (٢) .

وعن الحسن بن عرفة قال : قال لى ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام فذهبَ علَىَّ أن أرده إلى صاحبه فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معى

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٦١) وتاريخ بغداد (١٠ / ١٦٠) .
(٢) صفة الصفوة (١٣٦) .

فرجعت يا أبا علي « الحسن بن عرفة » إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه [(١)].

وعن علي بن الحسن بن شقيق : قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول : لأن أرد درهماً من شبهة أحبُّ إلَيَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف [(٢)].

وعن عياش بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولم يتق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين ، ولو تورع عن مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً ، ومن كان فيه خلّة من الجهل كان من الجاهلين ، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال : ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود : ٤٥] فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [(٣)] [هود : ٤٦] .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٢٤٠) .
(٢) صفة الصفوة (١٣٩) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٩) .

٦ - أدبه وكرمه رحمه الله

قال إسماعيل الخُطَبي بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حمّاد بن زيد فقال أصحاب الحديث لحمّاد : سل أبا عبد الرحمن يحدثنا . فقال : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ، فإنهم قد سألوني قال : سبحان الله يا أبا إسماعيل أُحَدِّث وأنت حاضر ؟ فقال : أقسمت عليك لتفعلنَّ فقال : خذوا . حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد ، فما حدث بحرف إلا عن حماد [(١)] .

وقال أبو العباس بن مَسْروق : حدثنا ابن حميد قال : عطس رجل عند ابن المبارك فقال له ابن المبارك : إيش يقول الرجل إذا عطس ؟ قال : الحمد لله فقال له : يرحمك الله . قال فعجبنا كلنا من حسن أدبه [(٢)] .

وكان رحمه الله يحث على تعليم الأدب ويبين للناس خطره .

قال أبو نعيم عبيد بن هشام سمعت ابن المبارك يقول لأصحاب الحديث : أنتم إلى قليل من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم .

وكان يقول : طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون [(٣)] .

قال يحيى بن يحيى الأندلسي : كنا في مجلس مالك فاستؤذن لابن المبارك فأذن فرأينا مالكاً تزحزح له في مجلسه ثم أقعده بلصقه ، ولم أره تزحزح لأحد في مجلسه غيره ، فكان القارئ يقرأ على مالك ، فربما مر بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا ؟ فكان عبد الله يجيبه بالخفاء ثم قام فخرج ، فأعجب مالك بأدبه ثم قال لنا : هذا ابن المبارك فقيه خرسان [(٤)] .

وكما كان رحمه الله كريم الخُلق ، حسن السجايا ، كان كذلك من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨١ / ٣٨٢ ، ٣٨٣) وتاريخ بغداد (١٠ / ١٥٥) .
(٢) السابق (٨١ / ٣٨٣) ، وحلية الأولياء (٢ / ١٧٠) وتاريخ بغداد (١٠ / ١٥٥) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٥٠) .
(٤) تهذيب التهذيب (٥ / ٣٣٧) .

أسخى الناس يداً ، وأكثرهم بذلاً وإنفاقاً وقصصه في ذلك كثيرة شهيرة ، ولكن نشير إلى بعضها فمن ذلك ما رواه الخطيب بسنده عن حيان بن موسى قال : عوتب ابن مبارك فيما يفرق المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده قال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، وطلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث ، بحاجة الناس إليهم احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عليهم ، وإن أعناهم بثّوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم (١) .

عن على بن خَشرم قال : حدثني سلمة بن سليمان قال : جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدين الذي سألته قضاءه قال سبع مائة درهم ، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم ، فراجعه الوكيل وقال : إن الغلات قد فنيت ، فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضاً قد فني فأجز له ما سبق به قلمي (٢) .

وقال محمد بن عيسى : كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طَرَسوس ، وكان ينزل الرَّقَّةَ في خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث ، فقدم عبد الله مرةً فلم يره ، فخرج في النفير مستعجلاً فلما رجع سأل عن الشاب فقيل له : محبوس على عشرة آلاف درهم ، فاستدل على الغريم ووزن له عشرة آلاف وحلّفه ألا يخبر أحداً ما عاش ، فأخرج الرجل ، وسَرَى ابن المبارك فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقه فقال له : يافتى أين كنتَ ؟ لم أرك . قال : يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين قال : وكيف خلصت ؟ قال جاء رجل فقضى ديني ولم أدر . قال : فاحمد الله . ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله (٣) .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٨٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٨٦ ، ٣٨٧) ، تاريخ بغداد (١٠ / ١٩) ، وصفة الصفوة (٤/١٤٢) .

وعن عمر بن حفص الصُّوفي بِمنْبِج قال : خرج ابن المبارك من بغداد يُريد المصيصة فصحبه الصوفية [(١)] . فقال لهم : أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم ، يا غلام هات الطست فألقى عليه منديلاً ، ثم قال : يلقى كل رجل منكم تحت المنديل ما معه ، فجعل الرجل يلقى عشرة دراهم ، والرجل يلقى عشرين ، فأنفق عليهم إلى المصيصة ، ثم قال : هذه بلاد نفير . فنقسم ما بقى ، فجعل يعطي الرجل عشرين ديناراً فيقول : يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهماً فيقول : وما تنكر أن يبارك الله للغازى في نفقته [(٢)] .

وقال محمد بن علي بن شقيق عن أبيه : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو ، فيقولون نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ، ثم يكترى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، ولا يزال ينفق عليهم ويطعمهم الطعام وأطيب الحلوى ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من المدينة من طرفها ؟ فيقول : كذا . ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم من مكة قال : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا فيشترى لهم ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فإذا صاروا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة ، وكساهم ، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ، ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه [(٣)] .

---

(١) المراد أهل الزهد والعبادة لا أصحاب المناهج المبتدعه ، والعقائد الباطلة كوحدة الوجود .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٨٥) ، تاريخ بغداد (١٠ / ١٥٧ ، ١٥٨)
(٣) تهذيب الكمال (١٦ / ٢١) ، وتاريخ دمشق (٣٨ / ٣٥٧ ، ٣٥٨)

٧ - تواضعه رحمه الله وفراره من الشهرة

ومع أنه رحمه الله اجتمعت فيه خصال الخير ، وجمع الفضائل ، فقد زينه الله عز وجل بالتواضع ، وما تواضع أحدٌ لله عز وجل إلا رفعه الله .

قال الحسن : وبينما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك انتهى إلى حديث وفيه : قال عبد الله : وبه نأخذ . فقال : من كتب هذا من قولي ؟ قلت : الكاتب الذي كتبه ، فلم يزل يحكه بيده حتى دَرَسَ . ثم قال : ومن أنا حتى يكتب قولي (١) .

وفي هذا أدب حسن للذين يزاحمون العلماء والأعلام بأقوالهم ويُوهمونهم ، وهم بعد لم يحصلوا القدر الواجب من العلوم الشرعية .

قال الحسن : وزوج النضر بن محمد ولده ودعى ابن المبارك ، فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس ، فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس (٢) .

وقال الحسن أيضاً : وكانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً ، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة ، أو رجلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته في داره ، يجتمعون في كل يوم حلقا يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه ، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة ، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ، ولا يأتيه كثير أحد . فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرو ؟ فقال : إنما

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ١٣٥) .
(٢) السابقة (٤ / ١٣٦) .

فررت من مرو من الذي تراك تحبه ، وأحببت ما ها هنا للذى أراك تكرهه لى ، فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتونى فيه ، ولا مسألة إلا قالوا اسألوا ابن المبارك ، وأنا ها هنا فى عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ، ولم يعرفه النّاس فزحموه ودفعوه ، فلما خرج قال لى : ما العيش إلا هكذا ، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر [1] .

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ١٣٤ / ١٣٥) .

٨ - جهاده وشجاعته

ومع علمه وزهده وكرمه وعبادته كان من مشهور سجاياه جهاده وشجاعته .

روى الخطيب بسنده عن عبدة بن سليمان - يعنى المروزى - قال : كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله ، ثم آخر فقتله ، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة فطعنه فقتله ، فازدحم إليه الناس فكنت فيمن ازدحم إليه ، فإذا هو يلثم وجهه بكُمِّه ، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك . فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا [(١)] .

وعن عبد الله بن سنان قال : كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطَرَسوس ، فصاح الناس النفيرَ النفيرَ ، قال فخرج ابن المبارك والمعتمر وخرج الناس ، فلما اصطف المسلمون والعدو خرج رجل من الروم يطلب البراز فخرج إليه مسلم فشد العلج على المسلم فقتل المسلم حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة فجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة ، لا يخرج إليه أحد . قال : فالتفت إلىَّ ابن المبارك فقال : يا عبد الله إن حدث لى حدث الموت فافعل كذا ، قال : وحرَّك دابته ، وخرج العلج فعالج معه ساعة فقتل العِلْجَ ، وطلب المبارزة فخرج إليه علج آخر فقتله ، حتى قتل ستة من العلوج مبارزة ، وطلب البراز فكأنهم كاعوا عنه ، فضرب دابته ونظر بين الصفين وغاب . فلم أشعر بشئ إذا أنا بابن المبارك فى الموضع الذى كان فقال لى : يا عبد الله لئن

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٧) ، وصفة الصفوة (١٤٤) .

حدثت بهذا أحداً وأنا حي - فذكر كلمة - قال: فما حدثت به أحداً وهو حي (١).

وكما اشتهر بالشجاعة والمرؤة والمشاركة في الجهاد فقد كان يدعو إليه أيضاً بأقواله وأشعاره.

وعن محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال: أملى عَلَيَّ عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة - وفي حديث أبي الغنائم سنة سبع وسبعين.

يَاعَابِدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِه ... فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ ... فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ
رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا ... رَهَجُ السَّنَابِكِ (٢) وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِن مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لاَ يَكْذِبُ
لاَيَسْتَوِى غُبَارُ خَيْلِ اللهِ فِى ... أَنفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ (٣)
هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لاَ يُكْذَبُ (٤)

فلقيت الفضيل بن عياض في مسجد الحرام بكتابه فلما قرأه ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٥٣ ، ٣٥٤) وقوله « كاعوا » أي جبنوا.
(٢) قوله « رهج السنابك » الرهج الغبار، والسنابك جميع سنبك، وهو طرف حافر الخيل.
(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد (٢ / ٢٥٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤١) والنسائي ٦٠ / ١٢ ، ١٣) والحاكم (٢ / ٧٢) والبيهقي (٩ / ١٦١) من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً » وصححه الألباني.
(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

الحديث ؟ قلت : نعم يا أبا علي . قال : فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا ، وأملى عَلَيَّ الفضيل أخبرنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن رجلاً قال : يارسول الله علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيله فقال له النبي ﷺ : هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر : يا نبي الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك . ثم قال النبي ﷺ : « فو الذي نفسي بيده لو طُوِّقتَ ذلكَ ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله ، أما علمت أن فرس المجاهدين ليُسْتَنُّ في طوله فتكتب بذلك حسناته » (١) .

---

(١) رواه البخاري (٦ / ٤) الجهاد ، ومسلم (١٣ / ٢٤ ، ٢٥) الإمارة .

٩ - ثناء العلماء عليه

ومن عاجل بشرى المؤمن ثناء الخلق ، ومحبة الخلق ، قيل للنبى ﷺ : الرجل يعمل العمل يرجو به وجه الله فيحبه الخلق ، وفى رواية فيثنى عليه الخلق ، فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمنين »[١] . وقد نال عالمنا وعالم الدنيا عبد الله بن المبارك أوفر الحظ من ذلك ، وقد تقدم قول الفضيل : أما إنى أحبه لأنه يخشى الله .

وقال الذهبى : والله إنى لأحبه فى الله ، وأرجو الخير بحبه ، لما منحه الله من التقوى ، والعبادة ، والإخلاص ، والجهاد ، وسعة العلم ، والإتقان ، والمواساة ، والفتوة ، والصفات الحميدة[٢] .

ولا شك أن هذه المحبة رزق من الله عز وجل والله عز وجل : ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد : ٢٦] وهى التى وعد بها عباده الذين آمنو وعملوا الصالحات كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم ٩٦] وهى كذلك المقصودة بالحديث : « إذا أحبَّ اللهُ عبداً قال لجبريل . أحببتُ فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضعُ له القبولُ فى الأرض ... »[٣] .

أما حظ الإمام من ثناء الخلق فأوفر الحظ وأطيبه . فلا يكاد يذكر حتى يثنى عليه بأحسن الثناء ، وهذا طرف من أقوال العلماء على سبيل الإشارة ليس الحصر .

---

(١) رواه مسلم (١٦ / ١٨٩) البر الصلة وفى رواية عند مسلم : « ويحبه الناس » .
(٢) تذكرة الحافظ (١ / ٢٧٥) .
(٣) رواه مسلم (١٦ / ١٨٣ ، ١٨٤) البر والصلة ، والبخارى (١٠ / ٤٦١) الأدب ومالك فى الموطأ (٢ / ٩٥٣) .

عن شعيب بن حرب قال : ما لقى ابن المبارك رجلاً إلا وابن المبارك أفضل منه (١) .

وقال المعتمر بن سليمان : ما رأيت مثل عبد الله بن المبارك نصيب عنده الشيء الذى لا يصاب عند أحد (٢) .

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال : لما مات ابن المبارك بلغنى أن هارون أمير المؤمنين قال : مات سيد العلماء (٣) .

وقال عبد الرحمن بن زيد الجهضمي : قال الأوزاعي : رأيت ابن المبارك ؟ قلت : لا قال : لو رأيته لَقَرَّت عينك (٤) .

عن عبيد بن جناد قال : قال عطاء بن مسلم : يا عُبيد رأيت عبد الله بن المبارك ؟ قلت نعم قال : ما رأيتُ مِثْلَهُ ولا يرى مثله (٥) .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : ما رأت عيناى أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك (٦) .

وقال يحيى بن معين وذكر عنده ابن المبارك فقال : سيد من سادات المسلمين (٧) .

وعن أحمد بن عبدة قال : كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوساً فى المسجد الحرام فطلع ابن المبارك من الثَّنية فقال سفيان : هذا رجل أهل المشرق . فقال الفضيل : هذا رجل أهل المشرق وأهل المغرب وما بينهما (٨) .

وعن شفيع بن إسحاق قال : قلت لسعيد بن منصور : مالَكَ لم

---

(١) تهذيب الكمال (١٦ / ١٥) .
(٢) السابق (١٦ / ١٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٠) .
(٤) السابق (٨ / ٣٨٤) .
(٥) صفة الصفوة (٤ / ١٣٦) .
(٦) صفة الصفوة (٤ / ١٢٦) .
(٧) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٥) .
(٨) السابق (١٠ / ١٦٢) .

تكتب حديث شعبة وسفيان فقال : إني لقيت ابن المبارك . فلما رأيته هان عليَّ الناس (١) .

وقال على بن المدينى : انتهى العلم إلى رجلين ؛ إلى عبد الله بن المبارك ، ومن بعده يحيى بن معين (٢) .

وقال خارجه لإخوانه : من شاء منكم أن ينظر إلى رجل كأنه من الصحابة فلينظر إلى عبد الله بن المبارك (٣) .

وقالِ عبدِ اللهِ بنِ الحسن :

إِذا سار عبـد الله من مـرو لَيْلَةً ... فَـقَدْ سَارَ منْهَا نورهَا وجَمَالُهَا

إِذَا ذُكِـر الأَحْبَار فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... فَهُمْ أَنجمٌ فِيهَا وأَنْتَ هِلالُهَا (٤)

وقال إبراهيم بن موسى : كنت عند يحيى بن معين فجاءه رجل فقال : يا أبا زكريا من كان أثبت فى معمر عبد الرازق أو عبد الله بن المبارك ؟ وكان متكئاً فاستوى جالساً : فقال : كان ابن المبارك خيراً من عبد الرزاق ومن أهل بيته (٥) .

وقال شعيب بن حرب : قال سفيان : إنّي لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد اللـه بن المبارك فما أقدر أن أكون ، ولا ثلاثة أيام (٦) .

وقال يحيى بن آدم : كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده فى كتب ابن المبارك أيست (٧) .

وقال أسود بن سالم : كان ابن المبارك إمام يقتدى به كان من أثبت الناس فى السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام (٨) .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٣٦) .
(٢) السابق (٣٨ / ٣٣٦) .
(٣) السابق (٣٨ / ٣٣٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩١) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٥) .
(٦) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٢) .
(٧) تهذيب الكمال (١٦ / ١٥) .
(٨) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٣٩٥) .

١٠ - من أقواله وأشعاره

وهذه درر من أقواله ، ونتف من أشعاره ، تدل على كمال عقله وارتفاع رتبته ، فإن العبد إذا تهذبت نفسه ، واكتملت مروءته ، نطق بالحكمة وفصل الخطاب .

فمن مأثور أقواله :

من بخل بالعلم ابتلى بثلاث : إما بموت ، أو نسيان ، أو لحق بسلطان (١) .

قال أبو وهب المروزى سألت ابن المبارك عن الكبر فقال : أن تزدرى الناس ، وسألته عن العجب فقال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عندك غيرك (٢) .

عن رسته الطلقانى قال : قام رجل إلى ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن في أى شئ أجعل فضل يومى ؟ فى تعلم القرآن أو فى طلب العلم . فقال : هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك . قال : نعم قال : فاجعله فى طلب العلم الذى يعرف به القرآن (٣) .

قال بشر بن الحارث : سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشى قال : ليس هذا من توقير العلم ، قال بشر : فاستحسنته جداً (٤) .

وعن إبراهيم بن شماس قال : قال ابن المبارك : إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من الكلب (٥) .

---

(١) تهذيب الكمال (٨ / ٢٢ ، ٢٣) .
(٢) تذكرة الحفاظ (١ / ٢٧٨) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ١٦٥) .
(٤) السابق (٨ / ١٦٦) .
(٥) السابق (٨ / ١٦٦) .

وعن عبد الله بن خُبيق قال : قيل لابن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبر على الأغنياء [(١)] .

وعن عبد الله بن عمر السرخسي قال : قال لي ابن المبارك : مَا أعياني شئ كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله عز وجل [(٢)] .

وعن سعيد بن يعقوب الطلقاني قال : قال رجل لابن المبارك : هل بقي من ينصح ؟ فقال : وهل تعرف من يقبل [(٣)] .

قال أبو بكر بن عبد الله بن حسن : قال ابن المبارك : طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا [(٤)] .

وقال أحمد بن الزِّبْرقان : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره ، فينبغي لنا أن نكرهها [(٥)] .

ومن أشعاره :

وَمن البَـلاَءِ وَلِلْبَـلاَءِ عَـلاَمَـةٌ ... أنْ لاَ يُرى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ
العَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِها ... والحُـرُّ يَشْبَعُ مَـرَّةً وَيَجُـوعُ [(٦)]

ومن أشعـاره :

كيف الفرارُ وكيفَ يَهدأُ مسلمٌ ... وَالْمسْلمَاتُ مَعَ العَدُوِّ المُعتَدى
الضَّـارِبات خـدودهن برنّة ... الدَّاعيـات نبيـهن مُحـمَّـد
القَـائلاَت إذَا خَشين فَضيحَةً ... جـهـد المَقَـالَة ليـتَنَا لم نُولد
مَا تَسْتَطِيعُ وَمَالها من حِيلَةٍ ... إلا التَسَتُّرَ مِنْ أَخِيهَا بِاليَدِ [(٧)]

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٣٩) .
(٢) السابق (٤ / ١٣٩) .
(٣) السابق (٤/ ١٤٤) .
(٤) السابق (٤ / ١٤٥) .
(٥) السابق (٤ / ١٤٥) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤١٧) .
(٧) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤١٧) .

وعن أبي أمية الأسود قال : سمعت ابن المبارك يقول : أُحبُّ الصالحين ولست منهم وأبغض الطالحين وأنا شر منهم ثم أنشأ يقول :

الصَّمْتُ أزينُ بالفتى ... من مَنْطق في غير حينه
والصِّدقُ أجْملُ بالفتى ... في القَولِ عندى من يمينه
وعَلى الفتى بوقارِهِ ... سِمَةٌ تَلوُحف عَلَى جبينه
فَمنَ الذى يَخْفى عليـ ... ـك إذا نَظرْتَ إلى قرينه
رُبَّ امْرئٍ مُستيقنٍ ... غَلَبَ الشَّقاءُ علَى يقينه
فأزاله عَنْ رأيه ... فابْتاعَ دُنْياه بدينه (١)

وأنشد سَلْم الخواص عن ابن المبارك :

رأيْتُ الذُّنوبَ تُميتُ القُلُوبَ ... ويُتْبعُها الذُّل إدْمانُها
وتَركُ الذُّنوب حَياةُ القُلوب ... وخَيرٌ لنَفْسكَ عصْيانُها
وبَاعُوا النُّفوسَ فلَمْ يربحُوا ... وفى البيعِ لَمْ تَغلُ أثْمانُها
لَقَدْ وَقع القَومُ في جِيفَةٍ ... يَبِينُ لذى العَقْلِ إنتانُها (٢)

وقال محمد بن حاتم المروزى أنشدنا سويد بن نصر لعبد الله بن المبارك :

أيَارَبُّ يَاذَا العَرْشِ أَنْتَ رَحيمُ ... وأنْتَ بما تخفى الصُّدورُ عليمُ
فَيَارَبُّ هَبْ لي مِنْكَ حِلماً فإنَّني ... أرَى الحِلمْ لم يَنْدمْ عَلَيْه حليمُ

(١) السابق (٨ / ٤١٦) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٦٦ ، ٣٦٧) .

ومن أشعاره :

وَيَارَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْمًا عَلَى التُّقَى ... أُقِيمُ بِهِ فِي النَّاسِ حَيْثُ أُقِيمُ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللهِ أَكْرَمُ نِسْبَةٍ ... يُسَامِي بِهَا عِنْدَ الفَخَارِ كَرِيمُ
إِذَا أَنْتَ نَافَسْتَ الرِّجَالَ عَلَى التُّقَى ... خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ سَلِيمُ
أَرَاكَ امْرَءًا تَرْجُو مِنَ اللهِ عَفْوَهُ ... وَأَنْتَ عَلَى مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمُ
وَإِنَّ امْرَءًا لَا يَرْتَجِي النَّاسُ عَفْوَهُ ... وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ الأَذَى لَلَئِيمُ
فَحَتَّى مَتَى تَعْصِي الإِلَهَ إِلَى مَتَى ... تُبَارِزُ رَبِّي إِنَّهُ لَرَحِيمُ
وَلَقَدْ تَوَسَّدْتَ الثَّرَى وَافْتَرَشْتَهُ ... لَقَدْ صِرْتَ لَا يَلْوِي عَلَيْكَ حَمِيمُ (١)

وقال صالح الفراء : سمعت ابن المبارك يقول :

المَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... يَبْدُو ضَئِيلًا تَرَاهُ ثُمَّ يَتَّسِقُ
حَتَّى إِذَا مَا تَرَاهُ ثُمَّ أَعْقَبَهُ ... كَرُّ الجَدِيدَيْنِ نَقْصًا ثُمَّ يَمَّحِقُ (١)

(١) السابق (٣٨ / ٣٧٨) .
(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٠) .

١١ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الذهبى : أقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخرسانى ، تحيَّل ودخل إليه إلى السجن فسمع منه نحواً من أربعين حديثاً ، ثم ارتحل فى سنة إحدى وأربعين ومائة وأخذ عن بقايا التابعين ، وأكثر من الترحال والتطواف (١) .

وقال ابن الجوزى :

أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم : هشام بن عروة ، وإسماعيل ابن أبى خالد والأعمش ، سليمان التيمى ، وحميد الطويل ، وعبد الله بن عون ، وخالد الحذاء ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وموسى بن عقبة فى آخرين (٢) .

وقال ابن عساكر :

قدم دمشق وسمع من : الأوزاعى ، وسعيد بن عبد العزيز ، وأبى عبد ربّ الزاهد ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وهشام بن الغاز ، وعتبة بن أبى الحكم الهْمدانى ، وإبراهيم بن أبى عَبْله ، وأبى المُعَلّى صخر بن جندل البيروتى ، وصفوان بن عمر ، وعمر بن محمد بن زيد العسقلانى ، والحكم بن عبد الله الأيلى ، ويحيى بن أبى أيوب ، وحرمله بن عمران وأبى شجاع إسحاق ، ومجالد بن سعيد ، وهشام بن عروة وزائدة بن قدامة ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ويحيى بن عبيد الله بن موهَب ، وأسامة بن زيد الليثى ، وابن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٧٩) .
(٢) صفة الصفوة (٤ / ١٤٦) .

عجلان ، وابن جريج ، ومَعْمر ، ويونس بن يزيد ، وموسى بن عقبة ، وهشام ابن سعد ، ومحمد بن إسحاق ، وعبد الله بن سعيد بن أبى هند ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وحماد بن زيد ، والمبارك بن فضالة ، وسليمان التيمى ، وحميد الطويل وعوف الأعرابى ، وشعبة ، وهشام بن حسان ، وعاصم بن سليمان الأحوال ، وعبد الله بن عونٍ ، وخالد الحذاء وغيرهم [(١)] .

وانظر شيوخه فى تهذيب الكمال للحافظ المزى (١٦/ من ٦ إلى ١٠) ، واقتصرنا على ماذكرناه خشية الإطالة ، وماذكره المزى من شيوخه على كثرته ليس حصراً لجميع شيوخه ، فقد ذكر الذهبى عن إبراهيم بن إسحق عن ابن المبارك قال : حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم ، قال العباس ابن مصعب فى تاريخه : وقع لى من شيوخه ثمان مائة [(٢)] .

وقد ذكر المزى مئتين وسبعة وعشرين من شيوخه فى التهذيب .

تلامذته : قال الذهبى : حدث عن خلق لا يحصون من أهل الأقاليم ، فإنه من صباه ما فتر عن السفر [(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر : وعنه - أى روى عنه - الثورى ، ومعمر بن راشد ، وأبو إسحاق الفزارى ، وجعفر بن سليمان الضبعى ، وبقية بن الوليد ، وداود بن عبد الرحمن العطار ، وابن عيينة ، وأبو الأحوص ، وفضيل بن عياض ، ومعتمر بن سليمان ، والوليد بن مسلم ، وأبو بكر بن عياش ، وغيرهم من شيوخه وأقرانه .

ومسلم بن إبراهيم ، وأبو أسامة ، وأبو سلمة التبوذكى ، ونعيم بن حماد ، وابن المهدى ، والقطان ، وإسحاق بن راهوية ، ويحيى بن معين ، وإبراهيم بن

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ١ - ٣) .
(٢) تذكرة الحفاظ (١ / ٢٧٦) .
(٣) تذكرة الحفاظ (١ / ٢٧٥) .

إسحاق الطالقانى ، وأحمد بن محمد مردوية ، وإسماعيل بن أبان الوراق ، وبشر بن محمد السختيانى ، وحبان بن موسى ، والحكم بن موسى ، وزكريا ابن عبد الملك المروزى ، وسلمة بنت سليمان المروزى ، وسليمان بن صالح سلمويه ، وعبد الله بن عثمان عبدان ، وأبو بكر وعثمان إبنا أبى شيبة ، وعبد الله بن عمر بن أبان الجعفى ، وعلى بن الحسن بن شقيق ، وعمرو بن عون ، وعلى بن حجر ، ومحمد بن الصلت الأسدى ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم الأنطاكى ، وأبو كريب ، وأبو بكر بن أصرم ، ومنصور بن أبى مزاحم ، ومحمد بن مقاتل المروزى ، ويحيى بن أيوب ، وخلق كثير آخرهم الحسين بن داود البلخى (١) .

وانظر كذلك ما ذكره المزى من تلامذة هذا الإمام فى تهذيب الكمال (١٦/ من ١٠ إلى ١٤) فقد ذكر مائة وثلاثة وأربعين من تلامذته .

وقد ذكر جماعة فى شيوخه وتلامذته ممن روى عنهم ابن المبارك ورووا عنه ، وهو الذى يسمى فى علم المصطلح بالمدبج ، مأخوذ من ديباجتى الوجه ، منهم السفيانان ، وأبو بكر بن عياش ، وداود بن عبد الرحمن العطار ، ومعمر ابن راشد ، كما ذكر جماعة فى تلامذته وهم من أقرانه منهم بقية بن الوليد ، ومعمر بن سليمان ، والوليد بن مسلم ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزارى .

---

(١) تهذيب التهذيب (٥ / ٣٣٥ ، ٣٣٦) .

١٢ - مؤلفاته رحمه الله

١ - التفسير : ذكره الداودى فى طبقات المفسرين (١ / ٢٥٠) ط . دار الكتب العلمية .

٢ - المسند : برواية الحسن بن سفيان بن عامر النسوى (ت ٣٠٣هـ) وتوجد منه مخطوطة فى الظاهرية ، مجموع ٥/١٨ (الأقسام ٢ر٣ من ١٠٧أ-١٢٤ ب فى القرن السابع الهجرى) كما فى تاريخ التراث (١٣٨/١) لفؤاد سزكين .

٣ - كتاب الجهاد : مطبوع بتحقيق الدكتور نزيه حماد الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة سلسلة البحوث الإسلامية .

٤ - كتاب البر والصلة : ذكره ابن النديم والبغدادى وفؤاد سزكين فى تاريخ التراث (١٣٨/١) وتوجد منه اقتباسات فى الإصابة (٧٦٤/١) و(٣٦٢/٤) .

٥ - السنن : ذكره الداودى (١ / ٢٥٠) وذكره ابن النديم والبغدادى باسم السنن فى الفقة ، وانظر مقدمة الدكتور نزية ضيف لكتاب الجهاد لابن المبارك ص (١٤) .

٦ - كتاب التاريخ : ذكره ابن النديم والبغدادى .

٧ - أربعين فى الحديث : ذكره البغدادى وحاجى خليفة باسم الأربعين .

٨ - رقاع الفتاوى : ذكره حاجى خليفة والبغدادى .

٩ - كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق : مطبوع بتحقيق وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى برواية المروزى ، وأضاف فى نهاية النسخة ما رواه نعيم ابن حماد زائداً على ما رواه المروزى عن ابن المبارك فى كتاب الزهد طبعته دار الكتب العلمية ببيروت .

١٢ - وفاته رحمه الله

روى ابن عساكر بسنده عن ابن المدينى قال : مات خيار الأرض جميعاً فى سنة واحدة مالك ، وحماد ، وخالد ، وسلام بن سليم أبو الأحوص ، وعبد الله بن المبارك سنة تسع وسبعين ومائة .

وَوَهَّم هذا القول ثم قال : والمحفوظ ماذكره عبدان بن عثمان قال : خرج عبد الله إلى العراق أول ما خرج سنة إحدى وأربعين ومائة ، ومات بهيت وعانات ، لثلاثة عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة .

وقال الحسن بن الربيع : شهدت موت ابن المبارك ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة ، فى رمضان لعشر مضين منه ، مات سحراً ودفناه بهيت [(١)] .

وهيت ناحية فى العراق (لواء الديلم) عندما كانت القوافل تقطع الفرات فى طريقها بين بغداد وحلب ، وبالقرب منها ينابيع النفط .

وعانات أوعانه بلد مشهور بين الرَّملة وهيت .

وقال الحسن : وسألت ابن المبارك قبل أن يموت قال أنا ابن ثلاث وستين [(٢)] . وقال صالح بن أحمد حدثنى أبى عبد الله قال : لما حضر ابن المبارك جعل رجل يلقنه : قل لا إله إلا الله ، فقال له : إنه ليس تحسن ، أخاف أن تؤذى رجلاً مسلماً بعدى ، إذا لقنتنى فقلت : لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلاماً ما بعدها فدعنى ، فإذا أحدثت كلاماً بعدها فلقنى حتى تكون آخر كلامى .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٨٠) باختصار .
(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٨٠) باختصار .

وقيل : فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة فضحك وقال : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] .

وقال محمد بن سعد : مات بهيت منصرفاً من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة ، ولد سنة ثماني عشرة ومائة ، وطلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة في أبواب العلم وصنوفه ، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم ، وقال الشعر في الزهد والحث على الجهاد ، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن ، وسمع علماً كثيراً ، وكان ثقة مأموناً إماماً حجة كثير الحديث [(١)] .

وغابت بذلك هذه الشمس الطيبة ، بعد أن أضاءت الدنيا بضيائها الباهر ووارى التراب هذا الجسد الطاهر الذى تحرك دائماً فى فلك الطاعات ، بين طلب العلم ، والتعليم ، والجهاد ، والبذل والإحسان والحج والعمرة ، وقضاء حاجات المسلمين ، وبقى الذكر الحسن والمحبة التى تملأ قلوب المسلمين لما أسداه للإسلام وأهله من معروفه العظيم .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٧٩) .
(٢) تهذيب الكمال (١٦ / ٢٤) .

من أعلام السلف

٢٢

عابد الحرمين
الفضيل بن عياض

بين يدى الترجمة :

فمع السلسلة الطيبة « من أعلام السلف » ... وعلم من أعلام الزهد ، والورع ، والخوف ، والعبادة ، إنه المُلقب بعابد الحرمين فضيل بن عياض رحمه الله ، تهذبت نفسه فنطق بالحكمة وفصل الخطاب ، إنه قرين مالك ، وسفيان ، وابن المبارك من هذه الطبقة المباركة طبقة كبار أتباع التابعين ، فرحم الله أئمتنا الكرام ، وجمعنا بهم فى دار السلام .

١ - اسمه ومولده

اسمه : فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي أبو علي .

مولده : ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد - مدينة بين سرخس ونسا - وكتب الحديث بالكوفة وتحول إلى مكة .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال ابن سعد : وكان ثقة ثبتاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث [١].

وقال ابن حبان : نشأ بالكوفة ، وبها كتب الحديث ، ثم انتقل إلى مكة ، وأقام بها مجاوراً للبيت الحرام ، مع الجهد الشديد ، والورع الدائم ، والخوف الوافر ، والبكاء الكثير ، والتخلي بالوحدة ، ورفض الناس وماعليه أسباب الدنيا إلى أن توفي بها سنة سبع وثمانين ومائة [٢].

وقال الذهبي : فضيل بن عياض الزاهد شيخ الحرم ، وأحد الأثبات ، مجمع على ثقته وجلالته ، ولا عبرة بما رواه أحمد بن أبي خيثمة قال : سمعت قطبه بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى فيها على عثمان رضي الله عنه ، عن قطبة ! وماقطبة حتى يجرح وهو هالك [٣].

قال إبراهيم بن محمد الشافعي : سمعت سفيان بن عيينة يقول : فضيل ثقة [٤].

وقال العجلي : كوفي ثقة متعبد رجل صالح سكن مكة [٥].

وروى إبراهيم بن شمّاس عن ابن المبارك قال : ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من فضيل بن عياض [٦].

وعن نصر بن المغيرة البخاري : سمعت إبراهيم بن شماس يقول رأيت أفقه

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٥٠٠) .
(٢) ثقات ابن حبان (٧ / ٣١٥) .
(٣) ميزان الاعتدال (٤ / رقم ٦٧٦٨) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٣) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٤) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٤) .

الناس ، وأورع الناس ، وأحفظ الناس ، وكيعاً ، والفضيل وابن المبارك [(١)] .

وعن عبد الصمد مردويه الصائغ : قال لي ابن المبارك : إن الفضيل بن عياض صَدَقَ الله ، فأجرى الحكمة على لسانه ، فالفضيل مِمَّن نفعه علمه [(٢)] .

وقال أبو نعيم : ومنهم الراحل من المفاوز والقفار إلى الحصون والحياض ، والناقل من المهالك والسباخ إلى الخصون والرياض ، أبو علي الفضيل بن عياض .

كان من الخوف نحيفاً وللطواف أليفاً [(٣)] .

قال الذهبي : وأما قول ابن مهدي : لم يكن بالحافظ فمعناه : لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البحور كشعبة ، ومالك ، وسفيان وحمّاد وابن المبارك ونظرائهم ، لكنه ثبت قَيِّم بما نقل ، ما أخذ عليه في حديث كما علمت .

وهل يراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيل رحمة الله عليه [(٤)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٥) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٨٤) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٨) .

٣ - عبادته وخشيته رحمه الله

عن إسحاق بن إبراهيم الطبرى قال : ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ، ولا أرجى للناس من الفضيل كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة ، كأنه يخاطب إنسانا ، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر الجنّة ويُردد فيها ، ويسأل ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً يلقى له الحصير ، فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة ثم تغلبه عينه ، فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ، ثم يقوم هكذا حتى يصبح ، وكان دأبه إذا نعس أن ينام . ويقال : أشد العبادة ما كان هكذا .

وكان صحيح الحديث ، صدوق اللسان ، شديد الهيبة للحديث إذا حدث ، وكان يثقل عليه الحديث جداً وربما قال لى : لو أنك طلبت منى الدنانير كان أيسر علىّ من أن تطلب منى الحديث . فقلت : لو حدثتنى بأحاديث فوائد ليست عندى كان أحبّ إلىّ من أن تهب لى عددها دنانير قال : إنك مفتون : أما والله لو عملت بما سمعت لكان لك فى ذلك شغل عما لم تسمع . سمعت سليمان بن مهران يقول : إذا كان بين يديك طعام تأكله فتأخذ اللقمة فترمى بها خلف ظهرك متى تشبع (١) .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : ما رأيت أحداً كان الله فى صدره أعظم من الفضيل بن عياض ، كان إذا ذُكِرَ الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن ، وفاضت عيناه حتى يرحمه من بحضرته ، وكان دائم الحزن ، شديد الفكرة ، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ، ومنعه وبذله ، وبغضه ، وحبه ، وخصاله كلها غيره ، وقال أيضاً عنه : كنا إذا خرجنا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٧ ، ٤٢٨) .

مع الفضيل فى جنازة لا يزال يعظ ويذكر ، ويبكى كأنه مُوَدِّع أصحابه ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر فيجلس فكأنه بين الموتى ، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه يرجع من الآخرة يخبر عنها (١) .

وعن سفيان بن عيينة قال : ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وأبيه (٢) .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : قال عبد الله بن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن (٣) .

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهرى : قال لى المأمون ، قال لى الرشيد مارأيت عيناى مثل فضيل بن عياض ، دخلت عليه فقال لى : فرغ قلبك للحزن وللخوف حتى يسكناه فيقطعاك عن المعاصى ، ويباعداك من النار (٤) .

وعن ابن أبى عمر قال : ما رأيت بعد الفضيل أعبد من وكيع (٥) .

وعن ابن المبارك قال : إذا نظرت إلى الفضيل ، جدَّد لى الحزن ومَقَتُّ نفسى ثم بكى (٦) .

---

(١) تهذيب الكمال (٢٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .
(٢) حلية الأولياء (٨ / ٨٥) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٨٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٣٨) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٣٨) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٣٨) .

٤ - اتباعه للسنة وذمه للبدع والمبتدعين

عن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإسلام من قلبه [(١)] .

وعن عبد الصمد قال : سمعت قال : إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر [(٢)] .

وقال الفضيل : لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عز وجل عمل [(٣)] .

وعن الفضيل قال : من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام [(٤)] .

وعن حسين بن زياد قال سمعت فضيلاً يقول : ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال : إذا لم يكن صاحب هوى ولا يشتم السلف ولا يخالط السلطان [(٥)] .

وعن عبد الصمد بن يزيد الصائغ قال : ذكر عن الفضيل - وأنا أسمع - الصحابة فقال : اتبعوا فقد كفيتم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم [(٦)] .

قال الذهبى : فالرجل صاحب سنة واتباع [(٧)] .

---

(١) حلية الأولياء (٨ / ١٠٣) .
(٢) حلية الأولياء (٨ / ١٠٣) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ١٠٣) .
(٤) حلية الأولياء (٨ / ١٠٣) .
(٥) حلية الأولياء (٨ / ١٠٤) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٨) .
(٧) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٨) .

٥ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن الأعمش ، ومنصور ، وعبيد الله بن عمر ، وهشام ابن حسان ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ومحمد بن إسحاق ، وليث بن أبي سليم ، ومحمد بن عجلان ، وحصين بن عبد الرحمن وسليمان التيمى ، وحميد الطويل وفطر بن خليفة ، وصفوان بن سليم ، وجعفر بن محمد الصادق ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وبيان بن بشر ، وزياد بن أبي زياد ، وعوف الأعرابى فى آخرين (١) .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه الثورى – وهو من شيوخه – وابن عيينة – وهو من أقرانه – وابن المبارك ومات قبل ، ويحيى القطان ، وابن مهدى ، وحسين بن على الجعفى ، وعبد الرازق ، وإسحاق بن منصور السلولى ، والأصمعى ، وابن وهب والشافعى ، ومروان بن محمد ، ومؤمل بن إسماعيل ، وهريم بن سفيان ، ويوسف بن مروان ، ويحيى بن يحيى التميمى ، والقعنبى ، وأحمد بن عبد الله بن يونس ، ومسدد ، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر ، والحميدى ، وإبراهيم بن محمد الشافعى ، وداود بن عمرو ، وأبو عمار الحسين ابن حريث المروزى والحصين بن الربيع البورانى ، والحسن بن إسماعيل المجالدى ، وأحمد ابن عبدة الضبى ، وقتيبة بن سعيد ، وعبيد الله بن عمر القواريرى ، وعبدة بن عبد الرحيم المروزى ، ومحمد بن زنبور المكى ، ومحمد بن سليمان لوين ، وآخرون (٢) .

---

(١) تهذيب التهذيب (٨ / ٢٦٤) .
(٢) تهذيب التهذيب (٨ / ٢٦٤ ، ٢٦٥) .

٦ - درر من أقواله

عن أبى الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : أصلح ما أكون أفقر ما أكون ، وإني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي [(١)] .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم ، مكبّل كبلتك خطيئتك [(٢)] .

قال فيض بن إسحاق : سمعت الفضيل بن عياض وسأله عبد الله بن مالك : يا أبا علي مالخلاص مما نحن فيه ؟ قال : أخبرني ، من أطاع الله هل تضرُّه معصية أحدٍ ؟ قال : لا . قال : فمن يعصي الله هلى تنفعه طاعة أحدٍ قال : لا . قال : هو الخلاص إن أردت الخلاص [(٣)] .

وعن إبراهيم بن الأشعث : سمعت الفضيل يقول : أكذب الناس العائد في ذنبه ، وأجهل الناس المدل بحسناته ، وأعلم الناس بالله أخوفهم منه ، لن يكمل عبدٌ حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه [(٤)] .

وقال إبراهيم بن الأشعث : سمعت الفضيل يقول : من أحب أن يذكر لم يذكر ، من كره أن يذكر ذكر [(٥)] .

قال الذهبي : وقيل له ما الزهد ؟ قال القنوع ، قيل : ما الورع ؟ ، قال : اجتناب المحارم . قيل : ما العبادة ؟ قال : أداء الفرائض . قيل : ما التواضع ؟

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ٢٣٨) .
(٢) صفة الصفوة (٢ / ٢٣٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٦) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤٢٧) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٣٢) .

قال : أن تخضع للحق . وقال : أشد الورع في اللسان .

قال الذهبي : هكذا هو فقد ترى الرجل ورعاً في مأكله وملبسه ومعاملته ، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه ، فإما أن يتحرى الصدق لا يكمل الصدق ، وإما أن يصدق فينمق حديثه ليمدح على الفصاحة ، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم ، وأما أن يسكت في موضع الكلام ليثنى عليه ، ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة (١) .

وعنه قال : يامسكين أنت مسيء وترى أنك محسن وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل ، قال الذهبي إى والله صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وآكل للحرام ، وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا ، وترى أنك تطلبه لله (٢) .

وعن عبد الصمد قال : سمعت الفضيل يقول : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل : يا أخى اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال : لا يحتمل قلب العفو ، ولكن انتصر كما أمرنى الله عز وجل ، قل : فإن كنت تحسن تنتصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو ، فإنه باب أوسع .

فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور (٣) .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما يؤمنك تكون بارزت الله بعمل ، مقتك عليه ، فأغلق دونك أبواب المغفرة ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٣٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٠) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ١١٢) .

وأنت تضحك ، كيف ترى أن يكون حالك [١] .

وعن محمد بن طفيل قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : حزن الدنيا يذهب بهم الآخرة ، وفرح الدينا يذهب بحلاوة العبادة [٢] .

(١) حلية الأولياء (٨ / ١٠٠) .
(٢) حلية الأولياء (٨ / ١٠٠) .

٧ - وفاته رحمه الله

قال بعضهم كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض فقلنا له : كم سنك فقال :

بَلغْتُ الثَّمَانينَ أَوْ جُزْتُهَا فَمَاذَا أُؤَمِّلُ أَوْ أَنْتَظِرُ
عَلَتْنِي السُّنُونُ فَأَبلينني فَدَقَّ العِظَام وَكَلَّ البَصَرْ

قال الذهبى : هو من أقران سفيان بن عيينة فى المولد ولكنه مات قبله بسنوات [١] .

قال مجاهد بن موسى : مات الفضيل سنة ست وثمانين ومائة . وقال أبو عبيد وابن المدنيى وابن معين وابن غير والبخارى وآخرون مات سنة سبع بمكة ، وزاد بعضهم فى أول المحرم .

قال الذهبى : وله نيِّف وثمانون سنة [٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٨) .

من أعلام السلف

٢٣

وَكِيعُ بن الجَرَّاح

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : وكيع بن الجراح بن مَلِيح الدُّؤاسى ، أبو سفيان الكوفى من قيس عيْلاَن .

مولده : ولد سنة تسع وعشرين ومائة قال أحمد بن حنبل : وقال خليفة وهارون بن حاتم : ولد سنة ثمانٍ وعشرين [(١)] . وروى عنه أنه قال : ولدت بأبة قرية من قرى أصبهان [(٢)] .

صفته : قال : الشاذكونى : قال لنا أبو نعيم يوماً : مادام هذا التنين حيًّا ما يُفلِح أحدٌ معه .

قال الذهبى : كان وكيع أسمر ضخماً سميناً [(٣)] .

وقال أبو داود : كان أعور [(٤)] .

وقال سعيد منصور : قدم وكيع مكة وكان سميناً ، فقال له الفضيل ابن عياض : ماهذا السمن وأنت راهب العراق ؟ قال : هذا من فرحى بالإسلام [(٥)] .

وعن أبى جعفر الجمال قال : أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة ، فلما بصرنا به فَزِعْنَا من النور الذى رأيناه يتلألأ من وجهه ، فقال رجلٌ بجنبى : أهذا ملَكٌ ؟ فتعجبنا من ذلك النور [(٦)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤١) .
(٢) تهذيب الكمال (٣٠ / ٤٦٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٦) .
(٤) تهذيب الكمال (٣٠ / ٤٦٣) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٦) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٧) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال محمد بن سعد : كان ثقة مأموناً عالماً رفيعاً كثير الحديث حجة (١) .

عن يحيى بن يمان قال : نظر سفيان إلى عينى وكيع فقال : ترون هذا الرؤاسى ؟ لا يموت حتى يكون له شأن

قال يحيى بن يمان : مات سفيان الثورى فجلس وكيع بن الجراح فى موضعه (٢) .

وعن القعنبى قال : كنا عند حماد بن زيد سنة سبعين ، وكان عنده وكيع ، فلما قام قالوا : هذا رَاوِيةُ سفيان . فقال : هذا - إن شئتم أرجح من سفيان (٣) .

عن أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت مروان يقول : ما وصف لى أحدٌ إلا رأيته دون الصفة إلا وكيع ، فإنه فوق ما وصف لى (٤) .

وعن يحيى بن معين قال : والله ما رأيت أحداً يحدث لله غير وكيع ، ومارأيت رجلاً أحفظ من وكيع ، ووكيع فى زمانه كالأوزاعى فى زمانه (٥) .

وعن جرير الرازى قال : قدم ابن المبارك فقلت له : يا أبا عبد الرحمن من خلَّفتَ بالعراق : قال : وكيع ، قلت : ثم من قال : ثم وكيع (٦) .

وقال محمد بن عامر المصيصى : سألت أحمد : وكيع أحبّ إليك أو يحيى بن سعيد ، فقال : وكيع ، فقلت : كيف فضلته على يحيى ، ويحيى

---

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٣٩٤) .
(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٤٦٩) .
(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٤٦٩) .
(٤) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .
(٥) حلية الأولياء (٨ / ٣٧) .
(٦) حلية الأولياء (٨ / ٣٧١) .

ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمت ؟ قال : وكيع كان صديقاً لحفص ابن غياث ، فلما ولى القضاء هجره ، وإن يحيى كان صديقاً لمعاذ بن معاذ فلما ولى القضاء لم يهجره يحيى [(١)] .

وعن عبد الرزاق قال : رأيت الثورى ، وابن عينية ، ومعمراً ، ومالكاً ورأيت ورأيت ، فما رأت عيناى قط مثل وكيع [(٢)] .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : كان وكيع حافظاً حافظاً ، ما رأيت مثله [(٣)] .

وقال بشر بن موسى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ ، والإسناد والأبواب مع خشوع وورع .

قال الذهبي يقول : هذا أحمد مع تحريه وورعه ، وقد شاهد الكبار مثل هشيم ، وابن عيينة ، ويحيى القطان ، وأبي يوسف القاضي وأمثلهم [(٤)] .

وقال الترمذى : سمعت أحمد بن الحسن : سئل أحمد بن حنبل عن وكيع وابن مهدى فقال : وكيع أكبر في القلب ، وعبد الرحمن إمام [(٥)] .

وعن جرير قال : جاءنى ابن المبارك فقلت له : يا أبا عبد الرحمن من رجل الكوفة اليوم : فسكت عنى ثم قال : رجل المصرين وكيع [(٦)] .

وقال عباس الدُّورى : ذاكرت أحمد بن حنبل بحديث من حديث شعبة فقال لى : من حدثك بهذا ؟ فقلت شبابه بن سوَّار . قال : لكن حدثنى من لم تر عيناك مثله وكيع بن الجراح [(٧)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٦ ، ١٤٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٧) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٨) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٨) .
(٧) تهذيب الكمال (٣٠ / ٤٧٢) .

وقال على بن عثمان النفيلى : قلت لأحمد بن حنبل : إن أبا قتادة يتكلم فى وكيع بن الجراح ، وعيسى بن يونس ، وابن المبارك فقال : من كَذَّب أهل الصدق فهو الكذاب [١].

وقال أحمد العجلى : وكيع كوفى ثقة عابد صالح أديب من حُفَّاظ الحديث وكان مفتياً [٢].

(١) تهذيب الكمال (٣٠ / ٤٧٢) .
(٢) تهذيب الكمال (٩ / ١٥٢) .

٣ - عبادته رحمه الله

عن يحيى بن أكثم قال : صحبت وكيعاً في الحضر والسفر ، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة (١) .

قال الذهبي : هذه عبارة يخضع لها ، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة ، فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر ، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، والدين يسر ومتابعة السُّنَّة أولى ، فرضي الله عن وكيع وأين مثل وكيع (٢) .

وعن يحيى بن أيوب حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه أن وكيعاً كان لا ينام حتى يقرأ جزأه من كل ليلة ثلث القرآن ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر (٣) .

وعن أحمد بن سنان قال : رأيت وكيعاً إذا قام في الصلاة ليس يتحرك منه شيء ، لايزول ، ولا يميل على رجلٍ دون الأخرى (٤) .

وعن سفيان بن وكيع قال : كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار ، ثم ينصرف فيقيل ، ثم يصلي الظهر ، ويقصد الطريق إلى المشرعة التي يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرائض إلى حدود العصر ، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر ، ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار ، ثم يدخل منزله فيقدم إليه إفطار ، وكان يفطر على نحو عشرة أرطال من الطعام ثم تقدم إليه قرابة فيها نحو من عشرة أرطال من نبيذ فيشرب منها ماطاب له على طعامه ، يجعلها بين يديه ، يم يقوم فيصلي ورده من الليل كلما صلى شيئاً شرب منها حتى ينفذها ثم ينام (٥) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٨ ، ١٤٩) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٧) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٤٩ / ١٥٠) والمشرعة المواضع التي ينحدر إلى الماء منها والروايا جمع رواية المزادة فيها الماء .

٤ - حفظه رحمه الله

عن إبراهيم بن الشماس قال : لو تمنيت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه ، وزهد ابن فضيل ورقته ، وعبادة وكيع وحفظه ، وخشوع عيسى بن يونس ، وصبر حسين الجعفي ، لم يتزوج ولم يدخل في شئ من أمر الدنيا (١) .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي وذكر وكيعاً فقال : ما رأيت أحداً أوعى للعلم منه ولا أحفظ (٢) .

وعن بشر بن موسى قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول : ما رأيت رجلاً قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب ، مع خشوع وورع (٣) .

وعن علي بن خَشْرم : ما رأيت بيد وكيع كتاباً قط ، إنما هو حفظ ، فسألته عن أدويه الحفظ فقال : إن علمتك الدواء استعملته ؟ قلت : إي والله . قال : ترك المعاصي ، ماجربت مثله للحفظ (٤) .

وعن يحيى بن معين قال : ما رأيت أحفظ من وكيع (٥) .

وقال أبو حاتم الرازي : وكيع أحفظ من ابن المبارك (٦) .

وقال إسحاق بن راهويه : حفظي وحفظ ابن المبارك تكلفٌ ، وحفظ وكيع أصليٌ قام وكيع فاستند وحديث بسبع مائة حديث حفظاً (٧) .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٤٧٣) وصبر حسين الجعفي صبر مذموم فالزواج من سنة النبي ﷺ.
(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٤٧٤) .
(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٤٧٤) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥١) .
(٥) سير أعلام النبلاء ٠ ٩ / ١٥٣) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٣) .
(٧) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٧) .

٥ - أدبه وكرمه رحمه الله

عن السائب سلم بن جنادة قال : جالست وكيع بن الجراح سبع سنين فما رأيته بزق ، وما رأيته مَسَّ والله حصاة بيده ، وما رأيته جلس مجلسه فتحرك ، ومارأيته إلا مستقبل القبلة ، وما رأيته يحلف بالله [(١)] .

وعن محمد بن أبي الصباح قال : كان وكيع بن الجراح إذا أراد أن يحدث احتبى ، فإذا احتبى سأله أصحاب الحديث ، فإذا نزع الحبوة لم يسألوه ، وكان إذا حدث استقبل القبلة [(٢)] .

وروى عن وكيع أن رجلاً أغلظ له فدخل بيتاً فعفّر وجهه ، ثم خرج إلى الرجل فقال : زد وكيعاً بذنبه ، فلولاه ما سُلّطت عليه [(٣)] .

عن سعيد بن عفير قال : أخبرني رجل من أهل هذا الشأن ثقة من أهل المروءة والأدب قال : جاء رجل إلى وكيع بن الجراح فقال له : إني أُمتُّ بحرمة قال : ما حرمتك ؟ قال : كنت تكتب من محبرتي في مجلس الأعمش : قال : فوثب وكيع فدخل منزله فأخرج له صُرّة فيها دنانير فقال : اعذرني فإني ما أملك غير هذا [(٤)] .

---

(١) حلية الأولياء (٨ / ٣٦٩) و سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٥) .
(٢) حلية الأولياء (٨ / ٣٦٩) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٥) .
(٤) تاريخ بغداد (١٣ / ٤٧٠) .

٦ - محنته رحمه الله

قال الذهبي : وهي غريبة تورط فيها ولم يرد إلا خيراً ، ولكن فاتته سكتة وقد قال النبي ﷺ : « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ، فليتق عبدٌ ربَّه ولا يخافَنَّ إلا ذنبه » (١) .

قال علي خُشرم : حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته فأكب عليه فقبله وقال : « بأبي وأمي ، ما أطيب حياتك وميتتك ثم قال البهي : وكان ترك يوماً وليلة حتى ربا بطنه وانثنت خنصراه . وقال ابن خشرم : فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش ، وأرادوا صلب وكيع ، ونصبوا خشبةً لصلبه ، فجاء سفيان بن عيينة فقال لهم : الله الله ! هذا فقيه أهل العراق ، وابن فقيه وهذا حديث معروف .

قال سفيان : ولم أكن سمعته إلا أني أردتُ تخليص وكيع (٢) .

قال علي بن خشرم : سمعت الحديث من وكيع بعد ما أرادوا صلبه فتعجبت من جسارته ، وأُخبرت أن وكيعاً أصبح فقال : إن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر ، قالوا : لم يمت رسول الله ﷺ ، فأراد الله أن يريهم آية الموت (٣) .

قال الذهبي : فهذه زلة عالم فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد !! كادت نفسه أن تذهب غلطا والقائمون عليه معذورون بل مأجورون ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٩) والحديث رواه أبو داود و مسلم في مقدمة صحيحة من حديث أبي هريرة وعنده « كفى بالمرء كذباً » .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٠) .

فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود غضًا ما لمنصب النبوه ، وهو في بادئ الرأى يوهم ذلك ولكن إذا تأملته فلا بأس إن شاء الله بذلك ، فإن الحى قد يربو جوفه وتسترخى مفاصله وذلك تفرع من الأمراض ، وأشد الناس بلاءً الأنبياء [(١)]. وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم ، وأكل الأرض لأجسادهم ، والنبى ﷺ مفارق لسائر أمته فى ذلك ، فلا يبلى ، ولا تأكل الأرض جسده ، ولا يتغير ريحه ، بل هو الآن ومازال أطيب ربما من المسك وهو حى فى لحده حياة مثله فى البرزخ التى هى أكمل من حياة سائر النبيين ، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهيد الذين هم بنص الكتاب ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

---

(١) الحديث رواه الترمذى (٩/ ٢٤٣) الزهد وقال هذا حديث صحيح .

٧ - اتباعه للسنة رحمه الله

قال أبو حاتم الرازي : حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا وكيع بحديث في الكرسي قال : فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وقال : أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها [(١)] .

وعن يحيى بن يحيى التميمي : سمعت وكيعاً يقول من شك أن القرآن كلام الله - يعني غير مخلوق - فهو كافر [(٢)] .

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي : سمعت وكيعاً يقول : نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول كيف كذا ؟ ولا لم كذا » يعني حديث « يحمل السماوات على إصبع » [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٥) . والحديث رواه البخاري (٨ / ٨٢٣) التفسير ومسلم (٢٧٨٦) القيامة .

٨ - درر من أقواله

عن إبراهيم بن شماس قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يكن وقرها [١] .

وقال وكيع : من تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه [٢] .

عن الفضل بن محمد البيهقي قال : سمعت وكيعاً يقول - وقد جاءه رجل يناظره في شيء من أمر المعاش أو الورع - فقال له وكيع : من أين تأكل ؟ قال : ميراثاً ورثته عن أبي ، قال : من أين هو لأبيك قال : ورثه عن أبيه قال : من أين هو كان لجدك ؟ قال : لا أدرى فقال له وكيع : لو أن رجلاً نذر لا يأكل إلا حلالاً ولا يلبس إلا حلالاً ولا يمشي إلا في حلال لقلنا له اخلع ثيابك وارم بنفسك في الفرات ، ولكن لا تجد إلا السعة [٣] .

ثم قال وكيع : لو أن رجلاً بلغ في ترك الدنيا مثل سلمان وأبي ذر وأبي الدرداء ما قلنا له زاهداً ، لأن الزُهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض ، والحلال المحض لا نعرفه اليوم ، فالدنيا عندنا حلال وحرام وشبهات ، فالحلال حساب ، والشبهات عتاب ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة ، وخذ منها ما يقيمك ، فإن كانت حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كانت حراماً كنت قد أخذت منها ما يقيمك لأنه لا يحل من الميتة إلا قدر ما يقيمك ، وإن كانت شبهات كان فيها عتاب يسير [٤] .

وعن أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت وكيعاً يقول : إنما العاقل من

---

(١) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .
(٢) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .
(٤) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .

عقل عن الله أمره ، وليس من عقل أمر دنياه [(١)].

وعن عبد الله بن ضبيق قال : قال وكيع : هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق [(٢)].

وعن علي بن خشرم قال سمعت وكيعاً يقول : لا يكمل الرجل حتى يكتب عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله و عمن هو دونه [(٣)].

---

(١) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .
(٢) حلية الأولياء (٨ / ٣٧٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٥٩) .

٩ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

روى عن أبيه ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وأيمن بن نابل ، وعكرمة بن عمار ، وهشام بن عروة ، والأعمش ، وتوبة أبى صدقة ، وجرير بن حازم ، وعبد الله بن سعيد بن أبى هند ، ومعروف بن خربوذ ، وابن عون ، وعبد الرحمن بن الغسيل ، وأبى خلده خالد بن دينار ، وسلمة بن نبيط، وعيسى بن طهمان ، ومصعب بن سليم ، ومسعر بن حبيب الجرمى ، وعبد المجيد بن وهب العقيلى ، وابن جزيج ، والأوزاعى ، ومالك ، وأسامة بن زيد الليثى ، وإسرائيل ، وإسماعيل بن مسلم العبدى ، والبخترى بن المختار ، وبدر بن عثمان ، وجعفر بن برقان و حاجب بن عمر ، وحريث بن أبى مطر ، وحنظلة بن أبى سفيان ، والحسن وعلى ابنى صالح بن حيى ، وزكرياء بن أبى زائدة وسعيد بن عبيد الطاهى ، وسفيان الثورى ، وشعبة وطلحة بن يحيى بن طلحة ، وعبد الحميد بن جعفر ، والأوزاعى ، وعثمان الشحام ، وعزرة بن ثابت ، وعلى بن المبارك ، وعمر بن ذر ، وعمران بن جُذَيْر ومعاوية بن أبى مزرد ، ومعروف بن واصل ، ونافع بن عمر الجمحى ، وموسى بن على بن رباح ، ويزيد بن إبراهيم التسترى ، وفضيل بن غزوات ، وكهمس بن الحسن ، ومالك بن مِغْوَل ، وابن أبى ذئبٍ ، وابن أبى ليلى ومحمد بن قيس الأسدى ، ومساور الوراق ، وهشام الدستوائى ، وهشام بن سعد ، ويعلى بن الحارث ، وأبى سنان الشيبانى الصغير ، وأفلح بن حميد ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن نجيح وزمعة بن صالح ، وسعد بن أوس العبسى ، وسعيد بن عبد العزيز الشوخى ، وسليمان بن المغيرة ، وصالح بن أبى الأخضر ، وعبد الله بن عمر العمرى ، وعبد العزيز بن أبى رواد وفضيل بن مرزوق ، وقرة بن خالد ، ومبارك بن

فضالة ، وموسى بن عبيدة الربذي ، ونافع بن عمر الجمحي وهمام بن يحيى ، ويونس بن أبي إسحاق ، وأبي شهاب الحنّاط الأكبر ، وأبي هلال الراسبي ، ويزيد بن زياد بن أبي الجعد وخلق كثير (١) .

تلامذته :

روى عنه أبناؤه سفيان ، ومليح ، وعبيد ، ومستمليه محمد بن أبان البلخي ، وشيخه سفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد ، وعلي ، ويحيى ، وإسحاق ، وابنا أبي شيبة ، وأبو حنيفة ، والحميدي ، القعنبي ، والأشج ، وعلي بن خشرم ، ومُسَدَّد ومحمد بن سلام ، وابن أبي عمر ، ونصر بن علي ، ويحيى بن يحيى النيسابوري ، ومحمد بن الصباح الدولابي ، وإبراهيم ابن سعد الجوهري ، ومحمد بن رافع وآخرون آخرهم إبراهيم بن عبد الله العبسي القَصَّار (٢) .

---

(١) تهذيب التهذيب (١١ / ١٠٩ ، ١١٠) .
(٢) تهذيب التهذيب (١١ / ١١٠) .

١٠ - وفاته رحمه الله

قال على بن عثَّام : مرض وكيع فدخلنا عليه فقال : إن سفيان أتانى فبشرنى بجواره فأنا مبادر إليه [(١)] .

قال أبو هشام الرفاعى : مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء فدفن بِفَيْد يعنى راجعاً من الحج [(٢)] .

قال أحمد بن حنبل : حَجَّ وكيع سنة سبع وتسعين ومات بِفَيْد [(٣)] .

قال الذهبى : عاش ثمانياً وستين سنة سوى شهرٍ أو شهرين [(٤)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٦) . و « فيد » بلدة على النصف بين مكة والكوفة .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٦) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٦٦) .

من أعلام السلف

٢٤

سفيان بن عيينه

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : سفيان بن عيينة بن أبي عمْران واسمه ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ، مولى محمد بن مزاحم ، أخي الضحاك بن مزاحم [(١)] .

مولده : عن محمد بن عمر قال : أُخبرني سفيان بن عيينة أنه ولد سنة سبع ومائة .

قال ابن سعد : وكان أصله من أهل الكوفة وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القَسْرى ، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بن أبي عمران بمكة فنزلها [(٢)] .

صفته : قال المزِّى : وكان أعورَ [(٣)] .

---

(١) تهذيب الكمال (١١ / ١٧٧ ، ١٧٨) .
(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ٤٩٧) .
(٣) تهذيب الكمال (١١ / ١٧٨) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال أبو نعيم : ومنهم الإمام الأمين ، ذو العقل الرصين ، والرأى الراجح الركين ، المستنبط للمعانى ، والمرتبط للمبانى ، أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالى ، كان عالماً ناقداً ، وزاهداً عابداً ، علمه مشهور ، وزهده معمور [(١)].

قال الذهبى : طلب الحديث وهو حدث بل غلام ، ولقِيَ الكبار وحمل عنهم علماً جماً ، وأتقن ، وجَوّد ، وجمع ، وصنف ، وعُمِّر دهراً ، وازدحم الخلق عليه ، وانتهى إليه علو الإسناد ورحِلَ إليه من البلاد وألحق الأحفاد بالأجداد [(٢)].

وقال على بن المدينى : ما من أصحاب الزهرى أحدٌ أنفق من سفيان بن عيينة [(٣)]. وقال أحمد بن عبد الله الجلى : كان ابن عيينة ثبتاً فى الحديث ، وكان حديثه نحواً من سبعة آلاف ، ولم تكن له كتب [(٤)].

وقال بهز بن أسد : ما رأيت مثل سفيان بن عيينة فقيل له : ولا شعبة ؟ قال : ولا شعبة [(٥)].

وقال يحيى بن معين : وهو أثبت الناس فى عمرو بن دينار [(٦)].

وقال ابن المدينى : قال لى يحيى القطان : ما بقى من معلمى أحدٌ غير سفيان بن عيينة وهو إمام منذ أربعين سنة [(٧)].

وقال ابن المبارك : سئل سفيان الثورى عن سفيان بن عيينة فقال : ذاك أحد الأحدين ، ما أغربه [(٨)].

---

(١) حلية الأولياء (٧ / ٢٧٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٥٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٥٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٥٥) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٥٥) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٥٥) .
(٧) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦١) .
(٨) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦١) .

وقال أبو حاتم الرازى : سفيان بن عيينة إمام ثقة ، كان أعلم بحديث عمرو بن ينار من شعبة : قال : وأثبت أصحاب الزهرى هو ومالك [(١)].

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعى يقول : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز [(٢)].

وقال على : وسمعت بشر بن المفضل يقول : ما بقى على وجه الأرض أحدٌ يشبه سفيان بن عيينة [(٣)].

وقال عثمان بن سعيد الدرامى : سألت يحيى بن معين قلت له : ابن عيينة أحبُّ إليك فى عمرو بن دينار أو الثورى ؟ فقال : ابن عيينة أعلم به ، قلت : فابن عيينة أحبُّ إليك فيه أو حماد بن زيد ، قال : ابن عيينة أعلم به . قلت : فشعبة ؟ قال : وأيش روى عنه شعبه إنما روى عنه نحواً من مائة حديث [(٤)].

وقال محمد بن إسحاق : وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث ، حجة ، توفى وهو ابن إحدى وتسعين سنة [(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦٤) .
(٢) تهذيب الكمال (١١ / ١٨٩) .
(٣) تهذيب الكمال (١١ / ١٨٩) .
(٤) تهذيب الكمال (١١ / ١٩٠) .
(٥) طبقات ابن سعد (٥ / ٤٩٨) .

٣ - سعة علمه رحمه الله

قال حرملة بن يحيى : سمعت الشافعي يقول : ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة ، وما رأيت أحداً أكفأ في الفتيا منه [(١)] .

قال الشافعي رحمه الله : وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث ، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثاً .

قال الذهبي : فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان في العلم ، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين . وارتحل ولقي خلقاً كثيراً ما لقيهم مالك وهما نظيران في الإتقان ، ولكن مالكاً أجلُّ وأعلى فعنده نافع وسعيد المقبري [(٢)] .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز [(٣)] .

وقال ابن وهب : لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة [(٤)] . وقال أحمد : ما رأيت أعلم بالسنن منه [(٥)] .

(١) تهذيب الكمال (١١ / ١٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٥٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٥٨) .
(٤) تاريخ الإسلام (١٣ / ١٩٣) .
(٥) تاريخ الإسلام (١٣ / ١٩٣) .

٤ - اتباعه للسنة رحمه الله

قال الذهبى : كان سفيان رحمه الله صاحب سنة واتباع .

قال الحافظ ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن الفضل بن موسى ، حدثنا محمد بن منصور الجواز قال : رأيت سفيان بن عيينة سأله رجلا : ما تقول فى القرآن قال : كلام الله منه خرج وإليه يعود [(١)] .

وقال محمد بن اسحاق الصاغانى : حدثنا لوين قال : قيل لابن عيينة : هذه الأحاديث التى نروى فى الرؤية ؟ قال : حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه [(٢)] .

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهرى : سمعت ابن عيينة يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦٨) .

٥ - زهده رحمه الله وأقواله في الزهد

قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لسفيان بن عيينة : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : إذا أنعم عليه فشكر ، وإذا ابتليت ببلية فَصَبَرَ فذلك الزهد [١].

وقال المسيب بن واضح : سئل ابن عيينة عن الزهد قال : الزهد فيما حرم الله ، فأما ما أحل الله فقد أباحه الله ، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا ، ولبسوا ، وأكلوا ، لكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهاداً [٢].

وعن أحمد بن عبدة ثنا سفيان بن عيينة قال : الزهد في الدنيا : الصبر وارتقاب الموت [٣].

وعن حرملة بن يحيى قال : أخذ سفيان بن عيينة بيدى فأقامني في ناحية ، وأخرج من كمه رغيف شعير وقال لي : دع ياحرملة ما يقول الناس : هذا طعامي منذ ستين سنة [٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٦٨) .
(٢) سير أعلام النبلا (٨ / ٤٦٩) .
(٣) حلية الأولياء (٧ / ٢٧٢) .
(٤) حلية الأولياء (٧ / ٢٧٢) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن عبد الملك بن عمير ، وأبى إسحاق السبيعى وزياد بن علاقة ، والأسود بن قيس ، وأبان بن تغلب ، وإبراهيم وموسى ، ومحمد بن عقبة ، وإسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، وإسرائيل أبى موسى ، وإسماعيل ابن أبى خالد ، وإسماعيل بن أمية ، وأيوب بن موسى ، وأيوب بن أبى تميمة السختيانى ، ويزيد بن أبى برده ، وبيان بن بشر ، وجعفر الصادق ، وجامع بن أبى راشد ، وحميد الطويل ، وحميد بن قيس الأعرج وزكريـاء بن أبى زائدة ، وزيـد بن أسلم ، وسالم أبى النضر ، وأبى حازم بن دينار ، وسليمان التيمى ، وسليمان الأحول ، وسمى وسهيل ، وشبيب بن غرقدة ، وصالح بن كيسان ، وصالح بن صالح بن حى ، وصفوان بن سليم ، وضمرة بن سعيد ، وعاصم الأحـول ، وعـاصم بن بهـدلة بن كليب ، وعـبـد الله بن دينار ، وأبى الزناد ، وعبد الله بن طاووس ، وعبد الله بن أبى حسين ، وابن أبى نجيح ، وعبد ربه ، وسعد ويحيى أولاد سعيد بن قيس الأنصارى ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبد العزيز بن رفيع ، وعبد الكريم أبى أمية ، وعبد الكريم الجزرى وعبيد الله بن عمر ، وعبيد الله بن أبى بريد ، وعلى بن زيد بن جدعان ، وعبيد الله بن عبد الله بن الأصم ، وعمرو بن دينار ، والزهرى ، والعلاء بن عبد الرحمن ، وابن عجلان ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، ومطرف بن طريف ، والأعمش ، ومنصور ، والوليد بن كثير ، ويزيد بن خصيفة ، وأبى إسحاق الشيبانى ، وأبى يعفور الكبير ، وأبى يعفور الصغير وخلق لا يحصون [١] .

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ١٠٤ ، ١٠٥) .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه الأعمش ، وابن جزيج ، وشعبة ، والثورى ، ومسعر وهم من شيوخه ، وأبو إسحاق الفزارى ، وحماد بن زيد ، والحسن بن حى ، وهمام ، وأبو الأحوص ، وابن المبارك وقيس بن الربيع وأبو معاوية ، ووكيع ، ومعمر بن سليمان ويحيى بن أبى زائدة ، وهم من أقرانه وماتوا قبله ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، وعبد الله بن وهب ويحيى القطان وابن مهدى ، وأبو أسامة ، وروح بن عبادة ، والفريابى ، وأبو الوليد الطيالسى ، وعبد الرزاق ، وأبو نعيم ، وأبو غسان النهدى ، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى ، وإسحاق بن راهوية وعمرو بن على الفلاس ، وابنا أبى شيبة ، وأبو خيثمة ، وأحمد بن صالح المصرى وأحمد بن منيع ، وأبو توبة الحلبى ، وأبو جعفر النفيلى ، وأبو بكر الحميدى ، وابن عمر العدنى وعلى بن حجر ، وعلى ابن خشرم ، وقتيبة ، وأبو موسى العنزى ، وهارون الحمال ، وأحمد بن شيبان الرملى والحسن بن محمد الزعفرانى ، والزبير بن بكار ومحمد بن عيسى بن حبان ، ومحمد بن عاصم الأصبهانى وطوائف كثيرة (١) .

---

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ١٠٥) .

٧ - درر من أقواله

عن محمد بن ميمون الخياط قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : إذا كان نهارى نهار سفيه ، وليلى ليل جاهل ، فما أصنع بالعلم الذى جمعت [(١)] .

وعن إبراهيم الجوهرى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : إنما أرباب العلم الذين هم أهله ، الذين يعملون به [(٢)] .

وعن على بن الجعد قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من زيد فى عقله نقص من رزقه [(٣)] .

وعن سنيد بن داود عن بن عيينة قال : من كانت معصيته فى الشهوة فارج له التوبة ، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له ، وإذا كانت معصيته فى كِبْرٍ فأخشى على صاحبه اللعنة ، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن [(٤)] .

وعن أبى معمر قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : ليس العالم الذى يعرف الخير والشر ، إنما العالم الذى يعرف الخير فيتبعه ، ويعرف الشر فيجتنبه [(٥)] .

وعن أحمد بن محمد بن أيوب قال : اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة فقال : من أحوج الناس إلى هذا العلم ؟ فسكتوا ثم قالوا : تكلم يا أبا محمد قال أحوج الناس إلى العلم العلماء ، وذلك أن الجهل بهم أقبح ، لأنهم غاية الناس ، وهم يسألون [(٦)] .

---

(١) حلية الأولياء (٧ / ٢٧١) .
(٢) حلية الأولياء (٧ / ٢٧١) .
(٣) حلية الأولياء (٧ / ٢٧١) .
(٤) حلية الأولياء (٧ / ٢٧٢) .
(٥) حلية الأولياء (٧ / ٢٧٤) .
(٦) حلية الأولياء (٧ / ٢٨١) .

وعن سفيان بن عيينة قال : كان يقال جالس الحكماء فإن مجالستهم غنيمة ، وصحبتهم سليمة ، ومؤاخاتهم كريمة [١] .

عن أبي موسى الأنصاري قال : من أبر البر كتمان المصائب قال : وسمعت سفيان يقول : لا تكن مثل العبد السوء لا يأتي حتى يدعى ، ائت الصلاة قبل النداء ، قال : وسمعت سفيان يقول : قال رجل : من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة [٢] .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : كان يقال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه ، ورجل له مال فلم يتصدق منه ، فمات فورثه غيره فتصدق منه ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلمه غيره فانتفع به [٣] .

وقال أبو أيوب سليمان بن داود عن سفيان بن عيينة : كان يقال : إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شراً [٤] .

---

(١) حلية الأولياء (٧ / ٢٨٤) .
(٢) حلية الأولياء (٧ / ٢٨٥) .
(٣) حلية الأولياء (٧ / ٢٨٨) .
(٤) حلية الأولياء (٧١ / ٢٧٧) .

٨ - وفاتـه رحمـه اللـه

عن الحسن بن عمران بن عيينه بن أبى عمران ابن أخى سفيان قال : حججت مع عمى سفيان آخر حجّة حجها سنة سبع وتسعين ومائة ، فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشة ، ثم قال : وقد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً أقول فى كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإنى قد استحييت الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفى فى السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجـون .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

من أعلام السلف

٢٥

عبد الرحمن بن مهدى

١ - اسمه ومولده

اسمه : عبد الرحمن بن مهدى بن حسان بن عبد الرحمن العنبرى وقيل الأزدى ، مولاهم ، أبو سعيد البصرى اللؤلؤى .

مولده : عن أبى الوليد الطيالسى قال : ولد عبد الرحمن بن مهدى فى سنة خمس وثلاثين ومائة [١] .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ولد عبد الرحمن بن مهدى سنة خمس وثلاثين ومائة [٢] .

(١) تهذيب الكمال (٧ / ٤٣٥) .
(٢) تهذيب الكمال (٧ / ٤٣٥) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال أيوب بن المتوكل : كنا إذا أردنا أن ننظر إلى الدين والدنيا ذهبنا إلى دار عبد الرحمن بن مهدى (١).

وقال محمد بن أبي بكر المُقدَّمى : ما رأيت أحداً أتقن لما سمع ، ولما لم يسمع ، ولحديث الناس من عبد الرحمن بن مهدى ، إمام ثبت أثبت من يحيى بن سعيد ، وأتقن من وكيع ، كان عرض حديثه على سفيان (٢).

قال ابن حبان : وكان من الحفاظ المتقين ، وأهل الورع في الدين ، ممن حفظ ، وجمع ، وتفقه ، وصنف وحدث ، وأبى الرواية إلا عن الثقات (٣).

وقال محمد بن سعد : وكان ثقة كثير الحديث (٤).

وعن خالد بن يزيد المخرمى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كأن عبد الرحمن بن مهدى خلق للحديث (٥).

وعن زياد بن أيوب قال : كنا في مجلس هشيم ، فلما قام أخذ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وخلف بن سالم بيد فتى أَمْنًا ، فأدخلوه مسجداً وكتبوا عنه وكتبنا فإذا هو عبد الرحمن بن مهدى (٦).

وعن الحسن بن محمد بن الصباح قال : أخبرنى غير واحد أنهم كانوا عند حماد بن زيد فسئل عن مسألة فقال : أين ابن مهدى ؟ من لهذا إلا ابن

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٧) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٩٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (/ ١٩٤ ، ١٩٥) .
(٣) الثقات لابن حبان (٨ / ٣٧٣) .
(٤) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٩٧) .
(٥) حلية الأولياء (٩٠ / ٣) .
(٦) حلية الأولياء (٩ / ٥) .

مهدى ؟ قال : فأقبل عبد الرحمن فسأله عن ذلك فأجاب : فلما قام من عنده قال : هذا سيد - أو فتى - البصرة منذ ثلاثين سنة أو نحو هذا [١] .

وعن على بن المدينى قال غير مرة : والله لو أخذت فحلفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أنى لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدى [٢] .

وقال أيوب بن المتوكل : كان حماد بن زيد إذا نظر إلى عبد الرحمن بن مهدى فى مجلسه تهلل وجهه [٣] .

وقال محمد بن عبد الرحيم صاعقة : سمعت علياً يقول : - وذكر الفقهاء السبعة - فقال : كان أعلم الناس بقولهم وحديثهم ابن شهاب ثم بعده مالك ، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدى [٤] .

وقال الخطيب البغدادى : وهو بصرى قدم بغداد وحدث بها وكان من الربانيين فى العلم ، وأحد المذكورين بالحفظ ، وممن برع فى معرفة الأثر وطرق الروايات ، وأحوال الشيوخ [٥] .

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ٥) .
(٢) تهذيب الكمال (١٧ / ٤٣٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٢) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٠) .

٣ - عبادته رحمه الله

قال ابن المديني : دخلت على امرأة عبد الرحمن بن مهدى ، وكنت أزورها بعد موته ، فرأيت سواداً فى القبلة ، فقلت : ماهذا ؟ قالت : موضع استراحة عبد الرحمن ، كان يصلى بالليل فإذا غلبه النوم وضع جبهته عليه [١].

وقال على : كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصفُ القرآن [٢].

قال رسته : وكان عبد الرحمن يحج كل عام ، فمات أخوه وأوصى إليه فأقام على أيتامه ، فسمعته يقول : قد ابتليت بهؤلاء الأيتام فاستقرضت من يحيى بن سعيد أربع مائة دينار ، احتجت إليها فى مصلحة أرضهم [٣].

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٩٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

٤ - حفظه وضبطه وتثبته رحمه الله

تقدم قول الحافظ الخطيب البغدادى : كان من الربانيين فى العلم وأحد المذكورين بالحفظ وممن برع فى معرفة الأثر وطرق الروايات وأحوال الشيوخ [(١)] .

وعن حنبل قال : قال أبو عبد الله : إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن فعبد الرحمن أثبت لأنه أقرب عهداً بالكتاب [(٢)] .

وعن عبيد الله بن عمر القواريرى : أملى عبد الرحمن بن مهدى عشرين ألف حديث حفظاً [(٣)] .

وعن خالد بن يزيد الخواص المخرمى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كأن عبد الرحمن مهدى خُلِقَ للحديث [(٤)] .

وقال محمد بن عبد الرحيم صاعقة : سمعت علياً يقول ، وذكر الفقهاء السبعة فقال : كان أعلم الناس بقولهم وحديثهم ابن شهاب ثم بعده مالك ، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدى [(٥)] .

وقال محمد بن يحيى الذهلى : ما رأيت فى يد عبد الرحمن بن مهدى كتاباً قط - يعنى كان يحدث حفظاً [(٦)] .

وعن عمرو بن على قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : حدثنا أبو خلدة ، فقال له رجل : أكان ثقة ؟ فقال : كان صدوقاً وكان خياراً ،

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٠) .
(٢) تاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٣) .
(٣) حلية الأولياء (٩ / ٣) .
(٤) حلية الأولياء (٩ / ٣) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٢) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٣) .

وكان مأموناً الثقة سفيان وشعبة [(١)].

وقال ابن حبان في صدر كتابه في « الضعفاء » إلا أن من أكثرهم تنقيراً عن شأن المحدثين ، وأتركهم للضعفاء والمتروكين ، حتى يجعله لهذا الشأن صناعة لهم ، لم يتعدوها مع لزوم الدين والورع الشديد والتفقه في السنن رجلين : يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى [(٢)].

وقال سهل بن صالح : سمعت يزيد بن هارون يقول : وقعت بين أسدين : عبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى القطان [(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٥) .
(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (١ / ٥٢) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٦) .

٥ - اتباعه للسنة رحمه الله

عن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : كنا فى جنازة فيها عبد الله بن الحسن العنبرى ، وهو يومئذ قاضى البصرة ، وموضعه فى قومه وقدره عند الناس فتكلم فى شئ فأخطأ ، فقلت - وأنا يومئذ حدث - : ليس هكذا يا أبى عليك بالأثر فتزايد علىَّ الناس ، فقال عبيد الله : دعوه ، وكيف هو ، فأخبرته فقال : صدقت يا غلام إذا أرجع إلى قولك وأنا صاغر (١) .

وعن أبى موسى محمد بن المثنى قال : رأيت فى حجر عبد الرحمن بن مهدى كتاباً (٢) .

وعن إبراهيم بن زياد - سبلان - قال : سألت عبد الرحمن بن مهدى : ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : لو كان لى سلطان لقمت على الجسر فكان لا يمر بى أحد إلا سألته ، فإذا قال لى : مخلوق . ضربت عنقه ، وألقيته فى الماء (٣) .

وعن عبد الرحمن بن عبد عمر قال : ذكر عن عبد الرحمن بن مهدى قوم من أهل البدع واجتهادهم فى العباده فقال : لا يقبل الله إلا ماكان على الأمر والسنة ، ثم قرأ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد : ٢٧] فلم يقبل ذلك منهم ، ووبخهم عليه ، ثم قال : الزم الطريق والسُّنة .

وسمعت عبد الرحمن بن مهدى يكره الجلوس إلى أصحاب الأهواء ويكره أن يجالسهم أو يماريهم . فقلت له : أترى للرجل إذا كانت له خصومة وأراد

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ٦) .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ٦) .
(٣) حلية الأولياء (٩ / ٧) .

أن يكتب عهده أن يأتيهم ؟ قال : لا مشيك إليهم توقير ، وقد جاء فيمن وقر صاحب بدعة ما جاء [(١)] .

وقال رُسْتَه : سمعت ابن مهدى يقول : لفتى من ولد الأمير جعفر بن سليمان : بلغنى أنك تتكلم فى الرب وتصفه وتشبهه . قال : نعم ، نظرنا فلم نر من خلق الله شيئاً أحسن من الإنسان فأخذ يتكلم فى الصفة والقامة ، فقال له : رويدك يا بنى حتى تتكلم أول شئ فى المخلوق ، فإن عجزنا عنه ، فنحن عن الخالق أعجز ، أخبرنى عما حدثنى شعبة عن الشيبانى عن سعيد بن جبير عن عبد الله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٨] قال : رأى جبريل له ستمائة جناح ، فبقى الغلام ينظر فقال : أنا أُهوّن عليك ، صف لى خلقاً له ثلاثة أجنحة ، وركب الجناح الثالث منه موضعاً حتى أعلم قال : يا أبا سعيد عجزنا عن صفة المخلوق فاشهدك أن قد عجزت ورجعت [(٢)] .

وقال الذهبى : ونقل غير واحد عن عبد الرحمن بن مهدى قال : إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلّم موسى ، وأن يكون ﴿ استوى ﴾ على العرش ، أرى أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم [(٣)] .

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ٨ ، ٩) ولعله يقصد رحمه الله ما جاء فى الأثر من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الدين .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٩٦ ، ١٩٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٩٩ ، ٢٠٠) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن أيمن بن نابل ، وجرير بن حازم ، وعكرمة بن عمار ، وأبى خلدة خالد بن دينار ، ومهدى بن ميمون ، ومالك ، وشعبة ، والسفيانين ، والحمادين ، واسرائيل ، وحرب بن شداد ، ومحمد بن راشد ، ومالك بن مغول ، ووهيب ، وهشام بن سعد ، وهمام بن يحيى ، والمثنى بن سعيد الضبعى ، وسليم بن حيان ، وسلام بن أبى مطيع ، وإبراهيم بن نافع المكى ، وأبان العطار ، وصخر بن جويرية ، وعمران القطان ، ومنصور بن سعد وخلق كثير [(١)] .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابن المبارك وهو من شيوخه ، وابن وهب وهو أكبر منه ، وابنه موسى ، وأحمد ، وإسحاق ، وعلى ، ويحيى بن معين ، ويحيى بن يحيى ، وأبو ثور ، وأبو خيثمة ، وأبو عبيد ، وأحمد بن سنان القطان ، وإبراهيم بن محمد بن عرعرة ، وابنا أبى شيبة ، وعبد الله بن هاشم الطويل ، وعبد الرحمن بن عمر رسته ، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثى وآخرون [(٢)] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٦ / ٢٥٠ ، ٢٥١) .
(٢) تهذيب التهذيب (٦ / ٢٥١) .

٧ - درر من أقواله

عن عبيد الله بن سعيد قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : احفظ لا يجوز أن يكون الرجل إماماً حتى يعلم ما يصح مما لا يصح ، وحتى لا يحتج بكل شئ ، وحتى يعلم بمخارج العلم [(١)] .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : يحرم على الرجل أن يقول فى أمر الدين إلا شيئاً سمعه من ثقه [(٢)] .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : إذا لقى الرجل الرجل فوقه فى العلم كان يوم غنيمة ، وإذا لقى من هو مثله دارسه وتعلم منه ، وإذا لقى من هو دونه تواضع له وعلمه ، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بكل ما سمع ، ولا يكون إماماً فى العلم من يحدث عن كل أحد ، ولا يكون إماماً فى العلم من يحدث بالشاذ من العلم ، والحفظ والإتقان [(٣)] .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : لولا أنى أكره أن يعصى الله لتمنيت أن لا يبقى فى هذا المصر أحد إلا وقع فيّ واغتابنى ، وأى شئ أهنأ من حسنة يجدها الرجل فى صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها ؟ [(٤)] .

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت ابن مهدى يقول : لزمت ملكاً حتى ملّنى فقلت يوماً : قد غبتُ عن أهلى هذه الغيبة الطويلة ولا أعلم ما حدث

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ٣) .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ٣) .
(٣) حلية الأولياء (٩ / ٤) .
(٤) حلية الأولياء (٩ / ١١) .

بهم بعدي . قال : يا بني وأنا بالقرب من أهلي ولا أدري ما حدث بهم منذ خرجت (١) .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال سمعت ابن مهدي يقول : فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد (٢) .

وقال أبو قدامة : سمعت ابن مهدي يقول : لأن أعرف علة حديث أَحبُّ إلي من أن أستفيد عشرة أحاديث (٣) .

وقال رُسْتَه : قام ابن مهدي من المجلس وتبعه الناس فقال : يا قوم لا تَطَؤُنَّ عقبي ولا تمشُنَّ خلفي ، حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال عمران : خفق النعال خلف الأحمق قلَّ ما ، يبقى من دينه (٤) .

قال رُسْتَه : سألت ابن مهدي عن الرجل يتمني الموت مخافة الفتنة على دينه قال : ما أرى بذلك بأساً ، لكن لا يتمناه من ضرٍّ به أو فاقة ، تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما (٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٦) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٧) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٧) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي : توفي ابن مهدى بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة[(١)] .

وقال الخطيب البغدادى : ومات عبد الرحمن بن مهدى سنة ثمان وتسعين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة .

وعن أحمد بن سفيان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى سئل عن سنه سنة خمس وتسعين فقال : هذه السنة تتم لى ستين ومات عبد الرحمن في رجب سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وستين[(٢)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٠٦) .
(٢) تاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٨) .

من أعـلام السلـف

٢٦

يحيـى بن سعيـد القطـان

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : يحيى بن سعيد بن فرّوخ القطان التميمي أبو سعيد البصرى الأحوال الحافظ ، يقال : مولى بنى تميم ، ويقال : ليس لأحد عليه وَلاء [(١)] .

مولده : قال الذهبى : ولد فى أول سنة عشرين ومائة [(٢)] .

صفته : قال الحافظ ابن عمار : كنت إذا نظرت إلى يحيى القطان ظننت أنه لا يحسن شيئاً ، بزى التجار ، فإذا تكلم أنصت له الفقهاء [(٣)] .

وقال أحمد بن محمد بن يحيى القطان : لم يكن جَدّى يمزح ولا يضحك إلا تبسماً ، ولا دخل حماماً وكان يخضب [(٤)] .

---

(١) تهذيب الكمال (٣١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٩) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٩) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن بُندار قال : حدثنا يحيى بن سعيد إمام أهل زمانه [(١)] .

وقال إسحاق بن إبراهيم الشهيدى : كنت أرى يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده فيقف بين يديه على بن المدينى ، والشاذكونى ، وعمرو بن على ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث ، وهم قيام على أرجلهم ، إلى أن تحين صلاة المغرب ، لا يقول لواحدٍ منهم اجلس ، ولا يجلسون هيبة له وإعظاماً [(٢)] .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبى يقول : حدثنى يحيى القطان : وما رأت عيناى مثله [(٣)] .

وعن عبد الله بن بشر الطالقانى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : يحيى بن سعيد أثبت الناس ، قال : أحمد : وما كتبت عن مثل يحيى بن سعيد [(٤)] .

وعن أبى عوانة قال : إن كنتم تريدون الحديث فعليكم بيحيى القطان فقال : له رجل : فأين حماد بن زيد ؟ قال : يحيى بن سعيد معلمنا [(٥)] .

قال عبد الرحمن بن مهدى : اختلفوا يوماً عند شعبة فقالوا له : اجعل بيننا وبينك حكماً قال : قد رضيت بالأحول - يعني القطان - فجاء فقضى على شعبة ، فقال شعبة : ومن يطيق نقدك يا أحول [(٦)] .

وقال محمد بن بُندار الجرجانى : قلت لابن المدينى : من أنفع من رأيت

---

(١) تهذيب الكمال (٣١ / ٣٣٩) .
(٢) تهذيب الكمال (٣١ / ٣٣٩) .
(٣) صفة الصفوة (٣ / ٣٦٥) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤ / ١٣٩) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٨) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٠) .

للإسلام وأهله ؟ قال : يحيى بن سعيد القطان [(١)].

وقال أحمد بن عبد الله العجلى : كان يحيى بن سعيد نقى الحديث ، لا يحدث إلا عن ثقة [(٢)].

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أحمد بن حنبل - ولقيته بحمص - يقول : المتثبت عندنا بالعراق ثلاثة : يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن ابن مهدى ، ووكيع بن الجراح [(٣)].

وعن على بن المدينى قال : سنح لى ليلة خالد بن الحارث فقلت له : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لى إن الأمر شديد .

قلت فما فعل بيحيى بن سعيد القطان ؟ قال : نراه كما ترون الكوكب الدرى فى أفق السماء [(٤)].

وقال محمد بن سعد : وكان ثقة مأمونا رفيعاً حُجَّةً [(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨١) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٣٨١) .
(٤) صفة الصفوة (٣ / ٣٦٧) .
(٥) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٩٣) .

٣ - عبادته رحمه الله

عن يحيى بن معين قال : أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن فى كل ليلة ، ولم يفته الزوال فى المسجد أربعين سنة ، وما رؤى يطلب جماعة قط [(١)] .

عن عمرو بن على قال : كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة ، يدعو لألف إنسانٍ ، ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس [(٢)] .

وقال ابن خزيمة : سمعت بنداراً يقول : اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنةً ما أظنُّه عصى اللهَ ، هذه قط [(٣)] .

وقال محمد بن يحيى بن سعيد : قال أبى : كنت أخرج من البيت أطلب الحديث فلا أرجع إلا بعد العتمة [(٤)] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ١٤١) وقوله يختم كل ليلة يعتذر عنه ولا يقتدى به فيه فلم يرخص النبى ﷺ أن يختم فى أقل من ثلاثة أيام .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٨) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٣) .

٤ - تشدده فى نقد الرجال

قال الذهبى رحمه الله : كان يحيى بن سعيد متعنتاً فى نقد الرجال ، فإذا رأيته قد وثق شيخاً فاعتمد عليه ، أما إذا لين أحداً فتأن فى أمره حتى ترى قول غيره ، فقد لين مثل : إسرائيل وهمام ، وجماعة احتج بهم الشيخان ، وله كتاب فى الضعفاء لم أقف عليه ، ينقل منه ابن حزم وغيره ، ويقع كلامه فى سؤالات على وأبى حفص الصيرفى وابن معين له (١).

عن على بن المدينى قال : ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد القطان ، ولا رأيت أعلم بصواب الحديث والخطأ من عبد الرحمن بن مهدى ، فإذا اجتمع يحيى وعبد الرحمن بن مهدى على ترك حديث رجل تركت حديثه وإذا حدث عنه أحدهما حدثت عنه (٢).

وعن يحيى قال : قال لى يحيى القطان : لو لم أروِ إلا عمن أرضى لم أروِ إلا عن خمسة (٣).

وقال أحمد بن عبد الله العجلى : كان يحيى بن سعيد نقى الحديث لا يحدث إلا عن ثقة (٤).

قال عبد الرحمن بن مهدى : اختلفوا يوماً عن شعبة فقالوا له : اجعل بيننا وبينك حكماً قال : قد رضيت بالأحول يعنى القطان فجاء فقضى على شعبة فقال شعبة : ومن يطيق نقدك يا أحول (٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٣) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٣٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٨) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ /١٨١) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ /١٨٠) .

٥ - حفظه وتثبته رحمه الله

قال الذهبي : عنى بهذا الشأن أتم عناية ، ورحل فيه ، وساد الأقران ، وانتهى إليه الحفظ ، وتكلم فى العلل والرجال ، وتخرج به الحفاظ كمسدد والفلاَّس ، وكان فى الفروع على مذهب أبى حنيفة فيما بلغنا إذا لم يجد النَّصَّ (١) .

قال على بن المدينى : لم أر أحداً أثبت من يحيى بن سعيد القطان (٢) .

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبى : من رأيت فى هذا الشأن يعنى الحديث ؟ قال : ما رأيت مثل يحيى بن سعيد : قلت : فهشيم قال : هشيم شيخ ما رأيت مثل يحيى . قلت : وعبد الرحمن ابن مهدى ؟ قال : لم نر مثل يحيى فى كُلِّ أحواله (٣) .

وقال أبو داود : قلت : لأحمد بن حنبل : كان يحيى يحدثكم من حفظه قال: ما رأينا كتاباً كان يحدثنا من حفظه ويقرأ علينا الطوال من كتابنا (٤) .

وعن أبى عوانة قال : إذا كنتم تريدون الحديث ، فعليكم بيحيى القطان ، فقال له رجل : فأين حماد بن زيد قال : يحيى بن سعيد معلمنا (٥) .

وقال عبد الله بن بشر الطالقانى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : يحيى بن سعيد أثبت الناس (٦) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٦) .
(٢) تهذيب الكمال (٣١ / ٣٣٦) .
(٣) تهذيبا لكمال (٣١ / ٣٣٧) .
(٤) تهذيبا لكمال (٣١ / ٣٣٨) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٨) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٧٨) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه : قال الحافظ : روى عن سليمان التيمى ، وحميد الطويل ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وعبيد الله بن عمر ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وهشام بن عروة وعكرمة بن عمار ، ويزيد بن أبى عبيد ، وأبان بن صمعة ، وبهز بن حكيم ، وجعفر بن محمد بن على بن الحسين ، وجعفر بن ميمون ، والأعمش ، وحسين المعلم ، ابن جريج ، والأوزاعى ، ومالك ، وابن عجلان ، وأبى صخر حميد بن زياد ، والحسن بن زكوان ، وحاتم بن أبى صغيرة ، وخيثم بن عراك ، وسليم بن حيان ، وشعبة ، وسفيان الثورى ، وابن أبى عروبة ، وسيف بن سليمان ، وعبد الله بن سعيد بن أبى هند، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الملك بن أبى سليمان ، وعثمان بن غياث ، وعثمان بن الأسود ، وعبيد الله بن الأخنس ، وعوف الأعرابى ، وعمران القصير ، وقرة بن خالد ، وفضيل ابن غزوان ، ويزيد بن كيسان ، والمثنى بن سعيد الضبعى ، وخلق كثير (١) .

تلامذته : ابنه محمد بن يحيى بن سعيد ، وحفيده أحمد بن محمد ، وأحمد ، وإسحاق ، وعلى بن المدينى ، ويحيى بن معين ، وعمرو بن على الفَلاَّس ، ومسَدَّد وأبو بكر بن أبى شيبة ، وأبو خيثمة ، وبشر بن الحكم ، وصدقة بن الفضل ، وأبو قدامة السرخسى ، وعبد الله بن عمر القواريرى ، وبندار وأبو موسى ، ويعقوب الدورقى ومحمد بن أبى بكر المقدمى ، وأبو كامل الجحدرى ، وخلق كثير آخرهم موتاً أبو يعلى بن شداد المسمعى ، وحدث عنه من شيوخه شعبة ، والسفيانان ، ومن أقرانه معتمر بن سليمان وعبد الرحمن بن مهدى (٢) .

---

(١) تهذيب التهذيب (١١ / ١٩٠) .
(٢) تهذيب التهذيب (١١ / ١٩٠) .

٧ - درر من أقواله

عن عمرو بن علي قال : قلت ليحيى في مرضه الذى مات فيه : يعافيك الله فقال : أحبه إليَّ أحبُّه إلى الله عز وجل [(١)] .

قال محمد بن عبد الله بن عمار قال يحيى بن سعيد : لا تنظروا إلى الحديث ولكن انظروا إلى الإسناد ، فإن صح الإسناد وإلا فلا تغتروا بالحديث ، إذا لم يصح الإسناد [(٢)] .

وعن على بن عبد الله قال : سمعت يحيى بن سعيد يقول : القَدَرُ والعلم والكتاب عندنا واحد ، وسمعته - وسأله - ابنه محمد - فقال : يا أبت المعاصى بقدر ؟ فقال : المعاصى تقدر [(٣)] .

وعن شاذى بن يحيى قال : قال يحيى بن سعيد القطان : من زعم أن قل هو الله مخلوق فهو زنديق ، والله الذى لا إله إلا هو [(٤)] .

---

(١) صفة الصفوة (٣ / ٣٦٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٨) .
(٣) حلية الأولياء (٨ / ٣٨١) .
(٤) حلية الأولياء (٨ / ٣٨١) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال الذهبى :

قالوا : توفى يحيى بن سعيد فى صفر سنة ثمان وتسعين ومائة قبل موت ابن مهدى وابن عيينة بأربعة أشهر رحمهم الله تعالى [١] .

وعن على بن المدينى قال : رأيت خالد بن الحارث فى النوم فقلت مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى على أن الأمر شديد . قلت : فما فعل بيحيى القطان قال : نراه كما يرى الكوكب الدرى فى أفق السماء [٢] .

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ١٨٧) .

من أعلام السلف

٢٧

ناصر الحق والسُّنَّة

محمد بن إدريس الشافعي

١ - اسمه ونسبه ومولده ونشأته وصفته رحمه الله

اسمه ونسبه وكنيته :

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة كعب بن لؤى بن غالب .

وكنيته : أبو عبد الله .

وهو ابن عم رسول الله ﷺ يلتقى معه فى جده عبد مناف ، فرسول الله ﷺ من بنى هاشم بن عبد مناف ، وإمامنا الشافعى من بنى عبد المطلب بن عبد مناف ، وقد قال النبى ﷺ : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد »(١) .

قال النووى رحمه الله : اعلم أنه - رضي الله عنه - كان من أنواع المحاسن بالمحل الأعلى ، والمقام الأسنى ، لما جمعه الله له من أنواع المكرمات ، فمن ذلك شرف النسب الطاهر ، والعنصر الباهر ، واجتماعه هو ورسول الله ﷺ فى النسب ، وذلك غاية الشرف ، ونهاية الحسب ، ومن ذلك شرف المولد والمنشأ ؛ فإنه ولد بالأرض المقدسة ونشأ بمكة(٢) .

مولده ونشأته :

قال الذهبى - رحمه الله - : اتفق مولد مولد الإمام رحمه الله بغزة ، ومات أبوه إدريس شاباً ، فنشأ محمد يتيماً فى حجر أمه ، فخافت عليه الضيعة ، فتحولت إلى محتده وهو ابن عامين ، فنشأ بمكة ، وأقبل على الرمى ، حتى فاق الأقران ، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة ، ثم أقبل على العربية والشعر فبرع فى ذلك وتقدم ، ثم حبب إليه الفقه ،

---

(١) رواه البخارى (٦ / ٦١٦) المناقب ، وأبو داود (٢٩٦٢) الخرج والإمارة ، والنسائى (١٣٠/٧، ١٣١) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى (١ / ٤٩) - دار الكتب العلمية .

فساد أهل زمانه (١) .

وقال العليمي :

أبو عبد الله الشافعي الإمام الأعظم والحبر المكرم أحد الأئمة المجتهدين الأعلام ، إمام أهل السنة ، ركن الإسلام ، لقي جده شافع رسول الله ﷺ وهو مترعرع ، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر فأسر ، وفدى نفسه ثم أسلم .

فقيل له : لِمَ لَمْ تسلم قبل أن تفدي نفسك ؟ فقال : ما كنت أحرم المسلمين طعماً لَهم فِيَّ .

ولد بغزة من بلاد الشام ، على الأصح ، في سنة خمسين ومائة ، وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة رحمه الله ، وقيل في اليوم الذي مات فيه . وقيل كان مولده بعسقلان . وقيل : باليمن ، ونشأ بمكة ، وكتب العلم بها وبمدينة رسول الله ﷺ ، وقدم بغداد مرتين وخرج إلى مصر فنزلها ، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة . وقيل : سنة إحدى ومائتين ولم يزل بها إلى حين وفاته (٢) .

صفته رحمه الله :

وروى أبو نعيم بسنده عند إبراهيم بن مراد قال : وكان الشافعي طويلاً ، نبيلاً ، جسيماً .

وقال الزعفراني : كان الشافعي يخضب بالحناء ، خفيف العارضين .

وقال المزني : ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي ، وكان ربما قبض على لحيته فلا تفضل عن قبضته (٣) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/١٠) للإمام الذهبي أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط ط دار الرسالة .

(٢) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد لأبي اليمن العليمي (٦٣) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط مطبعة المدني .

(٣) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي بتحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، حوادث ووفيات (٢٠١-٢١٠) صفحة (٣١٠) الناشر دار الكتاب العربي .

٢ - ابتداء طلبه للعلم ونبوغه فيه

روى أبو نعيم بسنده عن أبي بكر بن إدريس - وراق الحميدى - عن الشافعي قال : كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطى المعلم ، وكان المعلم قد رضى منى أن أخلفه إذا قام . فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف ، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة ، وكانت لنا جرّة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة [(١)] .

وروى البيهقي بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيرى قال :

كان الشافعي في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام الناس والأدب ، ثم أخذ في الفقه بعد .

قال : وكان سبب أخذه في الفقه أنه كان يوماً يسير على دابة له ، خلفه كاتب أبي ، فتمثل الشافعي ببيت شعر فقرعه كاتب أبي بسوط ثم قال له : مثلك تذهب مروءته في مثل هذا أين أنت عن الفقه ؟ قال : فهزّة ذلك ، فقصد مجالسة الزنجي بن خالد - وكان مفتى مكة ثم قدم علينا فلزم مالك بن أنس [(٢)] .

وروى البيهقي كذلك عن أبي بكر الحميدى قال :

قال الشافعي : خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد فقال : يافتى ! من أين أنت ؟ قلت : من أهل مكة . قال : وأين منزلك بها ؟ قلت :

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٩ / ٧٣) مطبعة السعادة وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٢٠١ - ٢١٠) عن الحميدى عن الشافعي كذلك وفي مناقب الشافعي للبيهقي (١ / ٩٢) عن وراق الحميدى عن الحميدى .

(٢) مناقب الشافعي (١ / ٩٦) بتحقيق السيد أحمد صقر .

بشعب الخيف . قال : من أى قبيلة أنت ؟ قلت : من ولد عبد مناف قال : بخ بخ لقد شرّفك الله فى الدينا والآخرة ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه كان أحسن بك ؟! [١] .

قال الذهبى : وعن الشافعى قال : أتيت مالكاً وأنا ابن ثلاث عشرة سنة - كذا قال والظاهر أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة - قال : فأتيت ابن عم لى والى المدينة فكلم مالكاً فقال : اطلب من يقرأ لك . قلت : أنا أقرأ ، فقرأت عليه ، فكان ربما قال لى لشئ قد مر أعده فأعيده حفظاً فكأنه أعجبه ثم سألته عن مسألة فأجابنى ، ثم أخرى فقال : أنت تحب أن تكون قاضياً [٢] .

وقال النووى رحمه الله ما ملخصه :

أخذ الشافعى - رحمه الله - فى الفقه ، وحصل منه على مسلم بن خالد الزنجى وغيره من أئمة مكة ما حصل ورحل إلى المدينة قاصداً الأخذ عن أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه وأكرمه مالك - رحمه الله - وعامله لنسبه وعلمه وفهمه وعقله وأدبه بما هو اللائق بهما ، وقرأ الموطأ على مالك حفظاً فأعجبته قراءته ، فكان مالك يستزيده من القراءة لإعجابة من قراءته ، ولازم مالكاً فقال له : اتق الله ، فإنه سيكون لك شأن وفى رواية : أنه قال له : إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية . ثم ولى اليمن واشتهر من حسن سيرته ، وحمله الناس على السنة والطرائق الجملية أشياء كثيرة معروفة ، ثم رحل إلى العراق فى الاشتغال بالعلم وناظر محمد بن الحسن وغيره ، ونشر علم الحديث ، وأقام مذهب أهله ، ونصر السنة ، وشاع ذكره وفضله وتزايد تزايداً ملأ البقاع .

---

(١) مناقب الشافعى للبيهقى (١ / ٩٧) .

(٢) [illegible]

وأذعن بفضله الموافقون والمخالفون ، واعترف به العلماء أجمعون ، وعظمت عند الخلائق وولاة الأمور مرتبته ، وظهر من فضله في مناظراته أهل العراق وغيرهم مالم يظهر لسواه ، عكف للاستفادة منه الصغار والكبار ، والأئمة الأخيار من أهل الحديث والفقه وغيرهم ، ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه ، وتمسكوا بطريقته ، وصنف في العراق كتابه القديم المسمى « كتاب الحجة » ثم خرج الشافعي - رحمه الله - إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر ، وسار ذكره في البلدان ، وقصده الناس من الشام واليمن والعراق [١] .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٤٧ - ٤٨) باختصار .

٣ - ثناء العلماء عليه

قال الحافظ أبو نعيم :

ومنهم الإمام الكامل ، العالم العامل ، ذو الشرف المنيف ، والخلق الظريف ، له السخاء والكرم ، وهو الضياء فى الظلم ، أوضح المشكلات ، وأفصح عن المعضلات ، المنتشر علمه شرقاً وغرباً ، المستفيض مذهبه براً وبحراً ، المتبع للسنن والآثار المقتدى بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، اقتبس عن الأئمة الأخيار ، فحدث عنه الأئمة الأحبار ، الحجازى المطلبى أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى - رضي الله عنه وأرضاه - حاز المرتبة العالية ، وفاز بالمنقبة السامية إذ المناقب والمراتب يستحقها من له الدين والحسب وقد ظفر الشافعى بهما جميعاً .

شرف العلم والعمل به ، وشرف الحسب قربه من رسول الله ﷺ ، فشرفه فى العلم ما خصه الله تعالى به من تصرفه فى وجوه العلم ، وتبسطه فى فنون الحكم ، فاستنبط خفيات المعانى ، وشرح بفهمه الأصول والمبانى ، ونال ذلك بما يخص الله تعالى به قريشاً من نبل الرأى (١) .

وروى الخطيب بسنده إلى إسحاق بن راهويه قال : أخذ أحمد بن حنبل بيدى وقال : تعالى حتى أذهب بك إلى من لم تر عيناك مثله ، فذهب بى إلى الشافعى (٢) .

وبسنده أيضاً إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبى : يا أبة أى شئ كان الشافعى ؟ فإنى سمعتك تكثر من الدعاء له : فقال لى :

(١) حلية الأولياء (٩ / ٦٣ ، ٦٤) .
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٦٦) .

يابني الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، انظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض (١) .

وعن أيوب بن سويد قال : ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثل الشافعي (٢) .

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : ركب الشافعي حماره ، فجعل أبي يساره يمشي ، والشافعي راكب وهو يذاكره فبلغ ذلك يحيى بن معين ، فبعث إلى أبي في ذلك فبعث إليك أنك لو كنت في الجانب الآخر من الحمار كان خيراً لك . هذا أو معناه (٣) .

وعن حميد بن زنجويه قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول ، يروى الحديث عن النبي ﷺ قال : « إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم ، وإني نظرت في سنة مائة فإذا رجل من آل رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز ، ونظرت في رأس المائة الثانية فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ محمد بن إدريس (٤) .

وعن محمد بن الفضل البزاز قال : سمعت أبي يقول : حججت مع أحمد بن حنبل فنزلنا في مكان واحد أو في دار « يعني بمكة » ، وخرج أبو عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - باكراً وخرجت أنا معه فلما صلينا الصبح درت المجالس ، فجئت مجلس سفيان بن عيينة ، وكانت أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله ، حتى وجدته عن شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة ، وعلى رأسه جمة ، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل . فقلت : يا أبا

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٦٦) وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٧١) .
(٢) رواه مسنداً البيهقي في مناقب الشافعي (/ ٢١) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٢٠١ - ٢١٠) صفحة ٣١٥ .
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ٢٥٣) .
(٤) حلية الأولياء (٩ / ٩٨) .

عبد الله تركت ابن عيينة وعنده الزهرى وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة ، ومن التابعين ما الله به عليم ؟ ! فقال : اسكت فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول فلا يضرك فى دينك ، ولا فى عقلك ، أو فى فقهك ، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ، ما رأيت أحداً أفقه فى كتاب الله تعالى من هذا الفتى القرشي . قلت : من هذا ؟ قال : محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - (١) .

وعن سويد بن سعيد قال : كنا عند سفيان بن عيينة فجاء محمد بن إدريس فجلس فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً فغشى على الشافعى فقيل : يا أبا محمد مات محمد بن إدريس ، فقال ابن عيينة : إن كان قد مات محمد ابن إدريس فقد مات أفضل أهل زمانه (٢) .

قال الرازى - رحمه الله - : إن ثناء العلماء على الإمام الشافعى أكثر من أن يحيط به الحصر ، ونحن نذكر السبب فى محبتهم له وثنائهم عليه فنقول : الناس كلهم كانوا قبل زمان الشافعى فريقين : أصحاب الحديث وأصحاب الرأى .

أما أصحاب الحديث : فكانوا حافظين لأخبار رسول الله ﷺ إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل ، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالاً أو إشكالاً بقوا على ما فى أيديهم عاجزين متحيرين .

وأما أصحاب الرأى فكانوا أصحاب الجدل والنظر إلا أنهم كانو فارغين من معرفة الآثار والسنن .

وأما الشافعى : فإنه كان عارفاً بسنة النبى ﷺ محيطاً بقوانينها وكان

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) ورواه أبو نعيم فى الحلية (٩ / ٩٨ ، ٩٩) .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ٩٥٦) وذكره الرازى فى مناقب الشافعى (٥٨ / ٥٩) .

عارفاً بآداب النظر والجدل ، وقوياً فيه ، وكان فصيح اللسان قادراً على قهر الخصوم فأخذ فى نصره أحاديث رسول الله ﷺ ، وكان كل من أورد عليه سؤالاً أو إشكالاً أجاب عنه بأجوبة شافية كافية ، فانقطع بسببه استيلاء أهل الرأى على أصحاب الحديث وسقط فقههم وتخلص بسببه أصحاب الحديث من شبهات أصحاب الرأى ، فلهذا السبب انطلقت الألسن بمدحه والثناء عليه ، وانقاد له علماء الدين وأكابر السلف وبه التوفيق (١) .

---

(١) مناقب الإمام الشافعى لفخر الدين الرازى بتحقيق أحمد حجازى السقا (٦٦) الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

٤ - عبادته وزهده وورعه رحمه الله

قال بحر بن نصر : ما رأيت ولا سمعت كان فى عصر الشافى أتقى لله ولا أورع من الشافعى ، ولا أحسن صوتاً منه بالقرآن (١) .

وعن الحسين الكرابيسى قال : بت مع الشافعى ثمانين ليلة فكان يصلى نحو ثلث الليل وما رأيته يزيد عن خمسين آية فإذا أكثر فمائة وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكأنما جمع له الرجاء والرهبة معاً (٢) .

وعن بحر بن نصر قال : كنا إذا أردنا أن نبكى قلنا بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبى نقرأ القرآن ، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى تتساقط الناس بين يديه ، ويكثر عجيجهم بالبكاء ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته (٣) .

وعن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعى قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول يكتب ، والثلث الثانى يصلى ، والثلث الثالث ينام (٤) .

وعن حرملة قال : قال الشافعى ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً (٥) .

قال الحارث بن مسكين : أراد الشافعى الخروج إلى مكة فأسلم إلى قَصَّارٍ ثياباً بغدادية مرتفعة ، فوقع الحريق فاحترق دكان القصار والثياب ، فجاء القصار

---

(١) مناقب الشافعى للبيهقى (٢ / ١٥٨) .
(٢) السابق (٢ / ١٥٨) وتاريخ بغداد ٠ ٢ / ٦٣) .
(٣) تاريخ بغداد (٢ / ٦٤) تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٦٨) .
(٤) حلية الأولياء (٩ / ١٣٥) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٣٦) .

ومعه قوم فتحمل بهم على الشافعي في تأخيره ليدفع إليه قيمة الثياب . فقال له الشافعي : قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار ، ولم أتبين أن الضمان يجب ، فلست أضمنك شيئاً (١) .

وعن الحارث بن شريح : قال : دخلت مع الشافعي على خادم للرشيد وهو في بيت قد فرش بالديباج ، فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصره فرجع ، ولم يدخل . فقال له الخادم : ادخل فقال : لا يحل افتراش هذا ، فقام الخادم فتبسم حتى دخل بيتاً قد فرش بالأرض ، فدخل الشافعي ، ثم أقبل عليه فقال : هذا حلال وهذا حرام . وهذا أحسن من ذاك ، وأكثر ثمناً ، فتبسم الخادم وسكت (٢) .

وعن الربيع قال : قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي : إن عزمت أن تسكن البلد - يعني مصر - فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال له الشافعي : يا أبا محمد من لم تُعِزُّه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة وما بتنا جياعاً (٣) .

وقيل للشافعي : مالك تدمن إمساك العصى ولست بضعيف ؟! قال : لأذكر أني مسافر يعني في الدنيا (٤) .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : قال لي الشافعي : يا أبا موسى أنست بالفقر حتى صرت لا أستوحش منه (٥) .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ١٦٣) .
(٢) السابق (٢ / ١٦٥) .
(٣) السابق (٢ / ١٦٨) .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٥٥) مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ١٧٠) .
(٥) مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ١٦٨) .

وعن الربيع بن سليمان قال : قال لي الشافعي : يا ربيع عليك بالزهد ، فللزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد [(١)].

وعن عبد الله بن محمد البلوى قال : جلسنا ذات يوم نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء وما بلغ من زهدهم ، وفصاحتهم ، وعلمهم فبينما نحن كذلك إذا دخل علينا عمر بن نباته فقال : فبماذا تتحاورون ؟ قلنا : نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء ، وما بلغ من فصاحتهم فقال عمر بن نباتة : والله ما رأيت رجلاً قط أورع ولا أخشع ، ولا أفصح ، ولا أصبح ، ولا أسمح ، ولا أعلم ، ولا أكرم ، ولا أجمل ، ولا أنبل ولا أفضل ، من محمد بن إدريس الشافعي [(٢)].

(١) السابق (٢ / ١٧١) .
(٢) السابق (٢ / ١٧٧) .

٥ - سخاؤه وجوده رحمه الله

عن الحميدى قال : قدم الشافعى رضى الله عنه من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فى منديل ، فضرب خباءه فى موضع خارجاً من مكة فكان الناس يأتوه ، فما برح حتى ذهبت كلها [١] .

وعن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعى راكب حماراً فمر على سوق الحذائين ، فسقط سوطه من يده ، فوثب غلام من الحذائين فأخذ السوط ومسحه بكمه وناوله إياه ، فقال الشافعى لغلامه : ادفع تلك الدنانير التى معك إلى هذا الفتى قال الربيع : فلست أدرى كانت تسعة دنانير أو ستة [٢] .

وعن الربيع بن سليمان قال : تزوجت فسألنى الشافعى : كم أصدقتها فقلت : ثلاثين ديناراً . قال كم أعطيتها ؟ فقلت : ستة دنانير . فصعد داره وأرسل إلى بصره فيها أربعة وعشرين دينار [٣] .

قال ابن عبد الحكم : كان الشافعى أسخى الناس بما يجد ، وكان يمر بنا فإن وجدنى وإلا قال : قولو لمحمد إذا جاء يأتى المنزل فإنى لا أتغدى حتى يجئ فربما جئته فإذا قعدت معه على الغذاء قال : يا جاربة أنضجى لنا فالوذج ، فلا تزال المائدة بين يديه حتى تفرغ منه ويتغذى [٤] .

وعن الربيع قال : أخذ رجل بركاب الشافعى فقال : يا ربيع أعطه أربعة دنانير ، واعذرنى عنده [٥] .

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ١٣٠) والمناقب للبيهقى (٢ / ٢٢٠) ومناقب الرازى (١٢٨) .
(٢) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٢١) والمناقب للرازى (١٢٨) .
(٣) حلية الأولياء (٩ /١٣٢) والمناقب للبيهقى (٢ /٢٢٣) .
(٤) [illegible] (٢ / ٢٢٢) [illegible] (١٠ / ٣٩)
[illegible]

وعن الربيع قال : كنا مع الشافعى رضى الله عنه وقد خرج من مسجد مصر ، فانقطع شسع نعله ، فأصلح له رجل شسعه ودفع إليه فقال يا ربيع معك من نفقتنا شئ ؟ قلت : نعم . قال : كم ؟ قلت : سبعة دنانير قال : ادفعها إليه (١) .

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : جاءنا الشافعى إلى منزلنا قال : فقال لى اركب دابتى هذه قال : فركبتها قال : فقال لى : أقبل بها وأدبر ففعلت فقال : إنى أراك بها لبقاً فخذها فهى لك . قال : وكان من أسخى الناس ، ثم ذكر قصة التمر (٢) .

وقصة التمر رواها أيضاً البيهقى عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : كان الشافعى رحمه الله من أسخى الناس قال : وكنت آكل مع الشافعى تمراً ملوزاً من هذه الجرار ، فجاء رجل فقعد وأكل وكان يجلس إليه .

فلما فرغ من الأكل قال الرجل للشافعى : ما تقوله فى أكل الفجأة ؟ قال : فلوى الشافعى عنقه إلىّ وقال : هلا كان سؤاله قبل أن يأكل (٣) .

وقال الشافعى - رحمه الله - : السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقهما بدعة (٤) .

وعن إبراهيم بن محمد قال : كنت فى مجلس أحمد بن يوسف النقلى صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام ، فجرى ذكر الشافعى وأخلاقه ، وفقهه ، وسماحته فقالوا : ما شبهناه إلا بأبيات أنشدها حفص بن عمر الأزدى المقرعى لبعض الأعراب :

---

(٢) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٢١) .
(٢) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٢٣) ، والمناقب للرازى (١٢٨) .
(٣) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٢٣) .
(٤) حلية الأولياء ٩ / ٣٤) والمناقب للبيهقى (٢ / ٢٢٧) .

إن زرت ساحته ترجو سماحته بلتك راحته بالجود والكرم
أخلاقه كرم وقوله نعم يقولها بفم بحبحت فاحتكم
ما ضر زائره يرجو أنامله إن كان ذا رحم أو غير ذا رحم
الجود غرته والمجد غايته يقولها بفم قد لج فى نعم(١)

وعن الربيع بن سليمان قال : دفع إلىّ الشافعى دراهم لأشترى له حملا، وأمرنى أن أشوى ذلك . قال : فنسيت واشتريت سمكتين وشويتهما فأتيته بهما، فنظر فقال : يا أبا محمد كلهما فقد اشتهيتهما (٢) .

(١) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٦) .
(٢) السابق (٢ / ٣٣٤) .

٦ - اتباعه للسنة وذمه لأهل الأهواء

عن ميمون بن مهران قال : قال لى أحمد بن حنبل : مالك لا تنظر فى كتب الشافعى ؟ فما من أحد وضع الكتب أتبع للسنة من الشافعى (١).

وعن أبى جعفر الترمذى قال : أردت أن أكتب كتب الرأى فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت : يا رسول الله ؟ فأكتب رأى الشافعى فقال النبى ﷺ : « إنه ليس برأى إنه رد على من خالف سنتى » (٢).

وعن أحمد بن حنبل قال : قدم علينا نعيم بن حماد وحثنا على طلب المسند فلما قدم علينا الشافعى وضعنا على المحجة البيضاء (٣).

قال الربيع : سمعت الشافعى يقول : إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلته .

وقال : سمعته يقول وقال له رجل : يا أبا عبد الله نأخذ بهذا الحديث؟ فقال : متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا ولم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب (٤).

وقال الحميدى : روى الشافعى يوما حديثا فقلت أتأخذ به ؟

فقال : رأيتنى خرجت من كنيسة أو علَىَّ زناراً ، حتى إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثا لا أقول به .

وقال الشافعى : إذا صح الحديث فهو مذهبى .

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ١٠٠)
(٢) السابق (٩ / ١٠٠) .
(٣) السابق (٩ / ١٠١) .
(٤) تاريخ الإسلام للذهبى (٣٢١) وفيات (٢٠١ - ٢١٠) .

وقال : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط [١] .

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لأن يلقى الله العبد كل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من الهوى [١] .

وعن أبي ثور قال : سمعت الشافعي يقول : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وعن أبي ثور قال: سمعت الشافعي يقول : من ارتدى بالكلام لم يفلح .

قال البيهقي : وإنما يعني - والله أعلم - كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة وجعلوا معولهم عقولهم وأخذوا في تسوية الكتاب عليها، وحين حملت إليهم السنة بزيادة بيان لنقض أقاويلهم اتهموا رواتها ، وأعرضوا عنها [٣] .

فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل إبطالا لمذهب من زعم أنه غير مستقيم في العقل [٤] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٣٢١) وفيات (٢٠١ - ٢١٠) .
(٢) المناقب للبيهقي (٢ / ٤٥٢) .
(٣) السابق (٢ / ٤٦٢) .
(٤) السابق (٢ / ٤٦٣) .

٧ - فقهه رحمه الله

عن عبيد بن محمد بن خلف البزاز قال : سئل أبو ثور فقيل له : أيما أفقه الشافعي أو محمد بن الحسن ؟ فقال أبو ثور : الشافعي أفقه من محمد وأبي يوسف وأبي حنيفة وحماد وإبراهيم وعلقمة والأسود (١).

وعن أحمد بن يحيى قال : سمعت الحميدى يقول : سمعت سيد الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي (٢).

عن الربيع قال: سمعت الحميدى يقول : « عن مسلم بن خالد » أنه قال للشافعي : أفت يا أبا عبد الله فقد -والله - آن لك أن تفتي . وهو ابن خمس عشرة سنة » (٣).

وعن حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول في رجل قال لامرأته وفي فيها تمرة : إن أكلتيها فأنت طالق ، وإن طرحتيها فأنت طالق . قال : تأكل نصفها وتطرح نصفها (٤).

وعن المزني قال : سئل الشافعي عن نعامة ابتلعت جوهرة لرجل آخر؟ فقال : لست آمرة بشيء ، ولكن إن كان صاحب الجوهرة كيسا غدا على النعامة فذبحها واستخرج جوهرته ثم ضمن لصاحب النعامة ما بين قيمتها حية ومذبوحة (٥).

وعن معمر بن شبيب قال : سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٦٩) .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ٩٤) .
(٣) حلية الأولياء (٣ / ٩٣) ، المناقب للبيهقي (١ / ٣٢٨) .
(٤) المناقب للبيهقي (٢ / ٣٤٠) .
(٥) السابق (٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

الشافعى يا محمد لأى علة خلق الله الذباب ؟ قال : فأطرق ثم قال له : مذلة للملوك يا أمير المؤمنين . قال فضحك المأمون وقال : يا محمد رأيت الذابة قد سقطت على خدى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ولقد سألتنى وما عندى جواب فأخذنى من ذلك الزمع فلما رأيت الذبابة قد سقطت بموضع لا يناله أحد انفتح فيه الجواب . فقال : لله درك يا محمد[(١)] .

قال إبراهيم بن أبى طالب الحافظ : سألت أبا قدامة السرخسى عن الشافعى وأحمد ، وأبى عبيد ، وابن راهويه ، فقال : الشافعى أفقههم[(٢)] .

وعن الربيع قال : كنت يوما عند الشافعى فجاءه رجل فقال : أيها العالم : ما تقول فى حالف حلف إن كان فى كمى دراهم أكثر من ثلاثة فعبدى حر ؟ وكان فى كمه أربعة دراهم فقال : لم يعتق عبده . قال : لم ؟ قال : لأنه استثنى من جملة ما فى كمه دراهم والدرهم لا يكون دراهم فقال : آمنت بالذى فوهك هذا العلم[(٣)] .

---

(١) المناقب للبيهقى (٢ / ٣٦٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٤) .
(٣) المناقب للبيهقى (٢ / ٦١ ، ٦٢) .

٨ - براعته فى التصنيف وبركة مصنفاته

الشافعى رحمه الله أول من صنف فى أصول الفقه وأحكام القرآن وقد تسابق العلماء والأكابر على اقتناء مصنفاته والاستفاده منها وأعظم كتبه كتابه (الرسالة) فهو على سهولة لفظه كثير المعانى عظيم المبانى شاهد برجاحة عقله وكمال بصيرته وعذوبه لفظه .

عن أبى ثور قال : كتب عبد الرحمن بن مهدى إلى الشافعى وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع والناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة .فوضع له : « كتاب الرسالة » .

قال « عبد الرحمن بن مهدى » ما أصلى صلاة إلا وأدعو للشافعى فيها [(١)] .

وعن المزنى قال : قرأت « كتاب الرسالة » للشافعى خمسمائة مرة ما من مرة منها إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها فى الأخرى [(٢)] .

وعن محمد بن مسلم بن وارة قال : قدمت من مصر فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه قال : كتبت كتب الشافعى ؟ قلت: لا . قال : فرطت، ما علمنا المجمل من المفصل ، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعى قال : فحملنى ذلك إلى أن رجعت إلى مصر وكتبتها ثم قدمت [(٣)] .

وعن أحمد بن مسلمة النيسابورى قال : تزوج إسحاق بن راهويه بمرو

(١) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٣٠) .
(٢) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٣٦) .
(٣) حلية الأولياء (٩ /٩٧) وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥) .

بامرأة رجل عنده كتب الشافعى فتوفى لم يتزوج إلا لحال كتب الشافعى ، فوضع جامعه الكبير على كتاب الشافعى ، ووضع جامعه الصغير على جامع الثورى الصغير (١) .

وقال أبو بكر الصومعى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : صاحب حديث لا يشبع من كتب الشافعى (٢) .

وقال الجاحظ : نظرت فى كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا فى العلم فلم أر أحسن تأليفا من المطلبى ، كأن لسانه ينظم الدرر .

قال العلامة أحمد شاكر : فكتبه كلها مثل رائعة من الأدب العربى النقى، فى الذروة العليا من البلاغة يكتب على سجيته وعلى فطرته ، ولا يتكلف ولا يتصنع ، أفصح نثر تقرؤه بعد القرآن والحديث ولا يساميه قائل ، ولا يدانيه كاتب (٣) .

وعن الربيع بن سليمان قال :سمعت الشافعى يقول : أريت فى المنام كأن آت أتانى فحمل كتبى وبثها فى الهواء فتطايرت فاستعبرت بعض المعبرين فقال: إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلدان الإسلام إلا ودخله علمك (٤) .

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ١٠٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٧) .
(٣) مقدمة العلامة أحمد شاكر للرسالة الشافعية (١٤) .
(٤) المناقب للبيهقى (١ / ٢٥٩) .

٩ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن مسلم بن خالد الزنجي ، ومالك بن أنس ، وإبراهيم بن سعد ، وسعيد بن سالم القداح ، والداروردى وعبد الوهاب الثقفى ، وابن علية، وابن عيينه ، وأبى ضمرة ، وحاتم بن إسماعيل ، وإبراهيم بن محمد بن أبى يحيى وإسماعيل بن جعفر ،ومحمد بن خالد الجندى وعمر بن محمد بن على بن شافع ، وعطاف بن خالد الجندى ، وعمر بن محمد بن على بن شافع الصنعانى وعطاف بن خالد المخزومي ، وهشام بن يوسف الصنعانى وجماعة(١) .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه سليمان بن داود الهاشمى ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى ، وإبراهيم بن المنذر الحزامى ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد ، وأحمد بن حنبل ، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى وحرملة وأبو الطاهر ابن السرح وأبو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن المزنى والربيع بن سليمان المرادى والربيع بن سليمان الجنزى وعمرو بن سواد العامرى والحسن ابن محمد بن الصباح الزعفرانى ، وأبو الوليد موسى بن أبى الجارود المكى ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأبو يحيى محمد بن سعد بن غالب العطار ، وآخرون(٢) .

---

(١) تهذيب التهذيب (٩ / ٢٣) وانظر أيضاً تهذيب الكمال فى جملة أخرى من شيوخه (٣٥٦/٢٤ ، ٣٥٧) .

(٢) تهذيب التهذيب (٩ / ٢٣ ، ٢٤) وانظر أيضاً لمزيد الفائد تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

١٠ - كتبه رحمه الله

ذكر البيهقى فى مناقبه مائة ونيف وأربعين كتابا فى الأصول والفروع [(١)] .

قال فؤاد سزكين ما ملخصه :

تبلغ كتب الشافعى حوالى (١١٣ – ١٤٠) ذكر منها ابن النديم فى الفهرست(١٠٩) كتابا ، كما أن هناك قائمة أخرى فى كتاب (توالى التأسيس) لابن حجر (٧٨)وترجع هذه القائمة إلى البيهقى .

ولقد قسم تلاميذه مؤلفاته إلى قديمة وحديثة : فالقديمة هى التى كتبها فى بغداد ومكة والحديثة هى التى كتبها فى مصر .

أولا : كتاب الأم : بعد موت الشافعى جمع تلاميذه عدداً من دراساته فى كتاب واحد ، وأغلب الظن أن تسمية هذا الكتاب باسم كتاب الأم إنما يرجع إلى الجيل الثانى ، ولقد دار البحث منذ وقت طويل حول شخصية من قام بتحرير هذه الرسالة وجمعها فى كتاب ، وقد ذكر أبو طالب المكى أن يوسف ابن يحيى البويطى هو من قام بهذا العمل ، ويقال بأن تلميذا آخر للشافعى وهو الربيع بن سليمان .

ثانيا : السنن المأثورة : برواية إسماعيل بن يحيى المزنى ، وطبع بحيدر أباد والقاهرة ١٣١٥هـ .

ثالثا: «الرسالة فى أصول الفقه» : وسمى هذا الكتاب « بالرسالة » لأن الشافعى ألفه ليجيب على بعض أسئلة لعبد الرحمن بن مهدى أرسلها إليه ، وحققه أحمد شاكر بالقاهرة ١٩٤٠ .

---

(١) انظر المناقب للبيهقى (١ / ٢٤٦ : ٢٥٤) .

رابعا : « مسند » يضم الأحاديث التى جمعها أبو العباس بن محمد بن يعقوب الأصم من مؤلفات مختلفة وطبع على هامش كتاب الأم .

خامسا : « اختلاف الحديث » وطبع على هامش كتاب الأم .

سادسا : العقيدة .

سابعا : «أصول الدين ومسائل السنة » .

ثامنا : « أحكام القرآن » وحققه العطار فى جزأين .

تاسعا : « مسائل فى الفقه سألها أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى الشافعى وأجوبتها ».

عاشرا : « كتاب السبق والرمى ».

حادى عشر : « وصية » .

ثانى عشر : «الفقه الأكبر » وطبع فى القاهرة ١٩٠٠م (١).

ونختم هذا الفصل بكلمتين أحدهما للشافعى - رحمه الله- مما يدل على صدقه وإخلاصه فى هذه المصنفات والثانية لإسحاق بن رهوايه أما الأولى فقد روى البيهقى بسنده إلى الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول: وددت أن الناس ، أو الخلق تعلموا هذا (يعنى كتبه) على أن لا ينسب إلى منه شىء (٢).

والثانية عن محمد بن إسحاق بن راهويه قال : سمعت أبى وسئل كيف وضع الشافعى هذه الكتب كلها ولم يكن بكبير السن؟ فقال : عجل الله له عقله لقلة عمره (٣).

---

(١) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين (٢ / ١٦٨ إلى ١٧٥) باختصار .
(٢) المناقب للبيهقى (١ / ٢٥٨) .
(٣) السابق (١ / ٢٥٨) .

١١ - درر من أقواله ونتف من أشعاره

قال الشافعى رحمه الله :

- طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .
- زينة العلم الورع والحلم .
- لاعيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبهم فيه .
- ليس العلم ما حفظ العلم ما نفع .
- من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها .
- ومن رضى بالقنوع زال عنه الخضوع .
- ولو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتى لما شربته ، ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة .
- للمروءة أربعة أركان :حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك
- المروءة :عفة الجوارح عما لا يعنيها .
- ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته .
- من صدق فى أخوة أخيه قبل علله وسد خلله وغفر زلله .
- ليس سرور يعدل صحبة الإخوان ولاغم يعدل فراقهم .
- الشفاعات زكاة المروءات .
- من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله تعالى غدا .
- وقال لأخ له فى الله تعالى يعظه ويخوفه : يا أخى إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة ، عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها للقبور زائر ، شملها

على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله تعالى ، ولا تستلف من دار بقائك في دار فنائك ، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك ، وقصر من أملك [١].

وقال رحمه الله : الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام غير أنه كلام باق سائر فذلك فضله على سائر الكلام [٢].

دخل رجل على الشافعي وهو مستلق على ظهره فقال : إن أصحاب أبي حنيفة الفصحاء قال فاستوى الشافعي جالسا وأنشأ يقول :

فلولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع في الوغى من كل ليث وآل مهلب وأبي يزيد
ولولا خشية الرحمن ربي حسبت الناس كلهم عبيدى (٣)

فمن أشعاره رحمه الله

لا تأس في الدنيا على فائت وعندك الإسلام والعافية
إن فات أمر كنت تسعى له ففيهما من فائت كافية [٤]

ومنها :

أمتُّ مطامعي وأرحتُ نفسي فإن النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففي إحيائه عرض مصون [٥]

(١) باختصار من تهذيب الأسماء (١ / ٥٣ إلى ٥٧) وهي في مناقب البيهقي كذلك (٢ / ١٦٨ إلى ٢١٤) .
(٢) المناقب للبيهقي (٢ / ٦٢) .
(٣) السابق (٢ / ٦٦) .
(٤) السابق (٢ / ٦٦) .
(٤) السابق (٢ / ٦٧) .

ومنها :

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافضى

وإنما قال هذه الأبيات حين نسبة الخوارج إلى الرفض حسدا وبغيا .

وقال البيهقى : وقد روينا عن يونس بن عبد الأعلى أن الشافعى كان إذا ذكر الرافضة عابهم أشد العيب ويقول : شر عصابة[(١)] .

وعن الربيع قال : لما دخل الشافعى مصر أول قدومه إليها جفاه الناس . فلم يجلسوا إليه . فقال له بعض من قدم معه : لو قلت شيئا يجتمع إليك به الناس قال : فقال : إليك وقال :

أأنثر درا بين سارحة النعم ... وأنظم منثور لداعية الغنم

لعمرى لئن ضيعت فى شر بلدة ... فلست مضيعا بينهم غرر الكلم

فإن فرج الله الكريم بلطفه ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثثت مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدى ومكتتم

ومن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم[(٢)]

ومن أشعاره :

الناس بالناس ما دام الحياة بهم ... والسعد لاشك تارات وهبات

وأفضل الناس ما بين الورى رجل ... تقضى على يده للناس حاجات

لا تمنعن يد المعروف عن أحد ... ما دمت مقتدرا فالسعد تارات

---

(١) السابق (٢ / ٧١) .

(٢) المنهج الأحمد (٦٨ ، ٦٩) .

واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت إليك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم ما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم فى الناس أموات

ومن أشعاره :

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع مقدور القضا
ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان يبرى مثله فيما مضى
هلك المداوى والمداوى والذى جلب الدواء وباعه ومن اشترى[1]

(١) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٩٦) .

١٢- وصيته رحمه الله

قال الربيع بن سليمان : قرىء على محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله وأنا حاضر هذا الكتاب

كتبه محمد بن إدريس بن العباس الشافعى فى شعبان سنة ثلاث ومائتين ، وأشهد الله عالم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وكفى به جل ثناؤه شهيدا ، ثم من سمعه : أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ لم يزل يدين بذلك، وبه يدين حتى يتوفاه الله تعالى ، ويبعثه عليه إن شاء الله تعالى ، وإنه يوصى نفسه وجماعة من سمع وصيته بإحلال ما أحل الله تبارك وتعالى فى كتابه ، ثم على لسان نبيه ﷺ وتحريم ما حرم الله فى الكتاب ثم فى السنة ، ولا يجاوزوا من ذلك إلى غيره ،فإن مجاوزته ترك فرض الله وترك ما خالف الكتاب والسنة وهما من المحدثات والمحافظة على أداء فرائض الله فى القول والعمل والكف عن محارمه خوفا لله عز جل وكثرة ذكر الوقوف بين يدى ربه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيداً ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وأن ينزل الدنيا حيث أنزلها الله عز وجل فإنه لم يجعلها دار مقام، إلا مقام مدة عاجلة الانقطاع وإنما جعلها دار عمل وجعل الآخرة دار قرار وجزاء بما عمل فى الدنيا من خير أو شر ، إن لم يعف الله جل ثناؤه ، وأن لا نخالل أحدا إلا أحدا نخالله لله ممن يعقل الخلة لله تبارك وتعالى ويرجى منه إفادة علم فى دين وحسن أدب فى دنيا وأن يعرف المرء زمانه ويرغب إلى الله تعالى فى الخلاص من شر نفسه فيه ويمسك عن الإسراف بقول أو فعل فى أمر لا يلزمه وأن يخلص النية لله تعالى فيما قال ،وعمل فإن الله يكفى مما سواه ولا

يكفى منه شى ء غيره ، وأوصى متى حدث به حدث الموت الذى كتب الله عز وجل على خلقه، الذى أسأل الله العون عليه وعلى ما بعده وكفاية كل هم لى دون الجنة برحمته .

ولم يغير وصيته هذه .

فذكر الوصية فى أمور مماليكه وأولاده وصفته وغيرها ،وقال فى آخرها .

ومحمد بن إدريس يسأل الله القادر على ما يشاء أن يصلى على محمد عبده ورسوله ، وأن يرحمه فإنه فقير إلى رحمته ، وأن يجيره من النار فإنه غنى عن عذابه ، وأن يخلفه فى جميع ما خلف بأفضل ما خلف به أحدا من المؤمنين، وأن يكفيهم فقده ويجبر مصيبتهم من بعده وأن يقيهم معاصيه ، وإتيان ما قبح بهم ، والحاجة إلى أحد من خلقه بقدرته [(١)] .

(١) مناقب البيهقى (٢ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

١٣- مرضه رحمه الله ووفاته

قال الربيع بن سليمان : أقام الشافعى ها هنا أربع سنين فأملى ألفا وخمسمائة ورقة .

وخرج « كتاب الأم » ألفى ورقة .

وكتاب «السنه » وأشياء كثيرة كلها فى أربع سنين .

وكان عليلا شديد العلة ، فكان ربما يخرج الدم منه وهو راكب حتى تمتلىء سراويله ومركبه وخفه (١) .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : ما رأيت أحدا لقى من السقم ما لقى الشافعى فدخلت عليه يوما فقال لى : يا أبا موسى اقرأ على ما بعد العشرين والمائة من آل عمران وأخف القراءة ولا تثقل فقرأت عليه ، فلما أردت القيام قال: لا تغفل عنى فإنى مكروب . قال يونس : عنى الشافعى رضى الله عنه بقراءتى بعد العشرين والمائة ما لقى النبى ﷺ وأصحابه أو نحوه (٢) .

وعن الربيع قال : دخل المزنى على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقال له : كيف أصبحت يا أستاذ ؟

فقال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولإخوانى مفارقا، ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ولسوء أعمالى ملاقيا ثم رمى بطرفه نحو السماء واستعبر ثم أنشأ يقول :

---

(١) المناقب للبيهقى (٢ / ٢٩١) .
(٢) السابق (٢ / ٢٩٣) .

إليك إله الخلق أرفع رغبتي ... وإن كنت يا ذا المن والجود مجرما
ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منه وتكرما
ولولاك لا يقوى بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فإن تعف عني تعف عن متمرد ... ظلوم غشوم ما يزال مأثما
وإن تنتقم مني فلست بآيس فجرمي ... ولو أدخلت نفسي بجرمي جهنما
عظيم من قديم وحادث ... وعفوك ياذا العفو أعلى وأجسما(١)

قال الربيع بن سليمان : لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعي قال له ابن عمه ابن يعقوب : تنزل نصلي ؟ قال : تجلسون تنتظرون خروج نفسي ؟ فنزلنا ثم صعدنا، فقلنا : صلينا أصلحك الله . قال : نعم فاستسقى – وكان شتاء فقال له ابن عمه أمزجه بالماء المسخن؟ فقال له الشافعي رحمه الله : لا بل برب السفرجل وتوفي مع العشاء الآخرة رحمة الله عليه (٢).

قال الربيع بن سليمان : توفي الشافعي رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة ـ بعد المغرب وأنا عنده ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب وانصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين (٣).

وهو ابن أربع وخمسين سنة

وعن أبي زكرياء – يعني الأعرج – قال: سمعت الربيع يقول رأيت في المنام أن آدم مات ﷺ ويريدون أن يخرجوا بجنازته ، فلما أصبحت سألت بعض

---

(١) مناقب البيهقي (٢ / ٢٩٣ ، ٢٩٤).
(٢) السابق (٢ / ٢٩٦) .
(٣) السابق (٢ / ٢٩٨) .

أهل العلم عن ذلك فقال : هذا مـوت أعلـم أهل الأرض إن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها فما كان إلا يسيرا حتى مات الشافعى رحمه الله [(١)] .

وغربت بذلك شمس حياته الدنيوية ولكن محبة هذا الإمام وبركة علمه ومصنفاته تملأ طباق الأرض فما من صاحب محبرة إلا وللشافعى عليه منة فنسأل الله أن يغفر لنا وله وأن يمن علينا وعليه بأعلى الدرجات والله عز وجل يغفر لنا تقصيرنا فى ترجمته ويمتعنا فى الآخرة بصحبته ويدخلنا وإياه فى فسيح جنته .

وهذا أوان ترك القلم فى ترجمـة هذا العلم والقلوب بعد مشتاقة إلى صحبته والتمتع بكمال عقله ووفور فطنته وبركة كلماته وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وآل بيته الطيبين وأصحابه الغر الميامين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) السابق (٢ / ٣٠١) .

من أعـــلام السلـــف

٢٨

يزيـد بن هـارون الواسطى

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : يزيد بن هارون بن زاذى ويقال ابن زاذان بن ثابت السُّلمى أبو خالد الواسطى ، وكان جده زاذان مولى لأم عاصم امرأة عتبة بن فرقد فأعتقته . قيل : إن أصله من بخارى[(١)] .

مولده : قال الذهبى : مولده سنة ثمان وعشرة ومائة[(٢)] .

صفته :كان يزيد يخضب خِضاباً قانيا إلى الحمرة ماهو[(٣)] .

وعن الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى قال : رأيت يزيد بن هارون بواسط ، وهو من أحسن الناس عينين ، ثم رأيته بعين واحدة ، ثم رأيته وقد ذهبت عيناه . فقلت : يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان ؟ قال : ذهب بهما بكاء الأسحار[(٤)] .

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٨) .
(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٣٨) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٤٢) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال الذهبى : وكان رأساً فى العِلم والعمل ثقة حجة كبيراً (١) .

وعن ابن زياد قال : سمعت أبا عبد الله وقيل له : يزيد بن هارون له فقه ؟ قال : نعم ما كان أفطنه أذكاه ، وأفهمه ، قيل له : فإبن عُلَيَّة ؟ فقال : كان له فقه إلا أنى لم أُخْبُره خبر يزيد بن هارون ماكان أجمع أمر يزيد ، صاحب صلاة حافظ ، متقن للحديث ، صرامة وحسن مذهب (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : سألت أبى عن يزيد بن هارون فقال : ثقة إمام ، صدوق فى الحديث ، لا يسأل عن مثله (٣) .

وعن هشيم قال : ما بالِمصرينِ مثل يزيد بن هارون (٤) .

وقال يحيى بن أبى طالب : سمعت من يزيد ببغداد وكان يقال : إن فى مجلسه سبعين ألف .

قال الذهبى : احتفل محدثوا بغداد وأهلها لقدوم يزيد وازدحموا عليه لجلالته وعلو إسناده (٥) .

وقال على بن المدينى : هو من الثقات (٦) .

وقال يحيى بن يحيى الينسابورى : كان بالعراق من الحفاظ شيخان وكهلان فأما الشيخان فهشيم ويزيد بن زريع ، وأما الكهلان فوكيع ويزيد بن هارون ، ويزيد أحفظ الكهلين (٧) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٨) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٤٠) .
(٣) الجرح والتعديل (٩ / ٢٩٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٠) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦١) .
(٦) تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦٧) .
(٧) تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦٨) .

وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، ولد سنة ثمان عشرة ومائة [١] .

وامتدح بعضهم يزيد بن هارون فأنشأ يقول :

شفى العليل إذا ما قال حدثنا يحيى فيلك من ذى منطق حسن

أو قال أخبرنا داود مبتدئاً والعلم والدر منظومان فى قرن

يعنى يحيى بن سعيد الأنصارى وداود بن أبى هند رحمهما الله [٢] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ / ٣١٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٤٣) .

٢ - حفظه رحمه الله

قال علي بن المديني : ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون [١].

وقال يحيى بن يحيى التميمي : هو أحفظ من وكيع [٢].

وقال أحمد بن حنبل : كان يزيد حافظاً متقناً [٣].

وقال زياد بن أيوب : مارأيت ليزيد كتاباً قط ، ولا حدثنا إلا حفظاً [٤].

قال علي بن شعيب : سمعت يزيد بن هارون يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل عنها .

قال الذهبي : لأنه أكثر إلى الغاية عن محدثي الشام : ابن عياش وبقية ، وإنما حَسَّن سماع ذلك من أصحابهما في أيام أحمد بن حنبل ونحوه [٥].

وقال أحمد بن زهير سمعت أبي يقول : كان يعاب على يزيد بن هارون حيث ذهب بصره : أنه ربما سأل عن الحديث لا يعرفه ، فيأمر جارية له فتحفظه من كتابه .

قال الخطيب البغدادي : قد وصف غير واحدٍ من الأئمة حفظ يزيد بن هارون لحديثه وضبطه له ، ولعله ساء حفظه لما كفَّ بصره وعلت سنة فكان يستثبت جاريته فيما شك فيه ويأمرها بمطالعة كتابه لذلك [٦].

وقال الذهبي : ما بهذا الفعل بأس مع أمانة من يلقنه ويزيد حُجَّةٌ

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٣٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩)

(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩)

(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

(٦) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٣٨ ، ٣٣٩) .

بلا مثنوية [١] .

وقال محمد بن قدامة الجوهرى : سمعت يزيد بن هارون : احفظ خمسة وعشرين ألف إسناد ولا فخر ، وأنا سيد من روى عن حماد بن سلمة ولا فخر [٢] .

وروى أبو طالب عن أحمد قال : كان يزيد حافظاً متقناً للحديث صحيح الحديث عن حجاج بن أرطاه ، قاهراً لها حافظاً [٣] .

وقال أبو زرعة : سمعت أبا بكر بن أبى شيبة يقول : ما رأيت أتقن حفظاً من يزيد بن هارون . قال أبو رزمة : والإتقان أتقن من حفظ السرد [٤] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٣) وقوله « بلا مثنوية » أى بلا استثناء .
(٢) تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٧٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٧٠) .

٤ - عبادته رحمه الله

عن أحمد بن سنان قال : ما رأيت عالماً أحسن صلاة من يزيد بن هارون يقوم كأنه إسطوانة يصلى بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار هو وهُشيم معروفان بطول صلاة الليل والنهار[(١)].

وعن عاصم بن على قال : كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس - يعنى ابن الربيع - سنة إحدى وستين ، فأما يزيد فكان إذا صلى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلى الغداة بذلك الوضوء نيفا وأربعين سنة ، وأما قيس فكان يقوم ويصلى و ينام ويقوم وينام ، وأما أنا فكنت أصلى أربع ركعات وأقعد أسبح[(٢)].

وقال أحمد بن سنان : كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل[(٣)].

وقال يعقوب بن شيبة : كان يزيد يُعَدُّ من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر[(٤)].

(١) تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦٨).
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٤١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦١) .

٥ - اتباعه للسُّنَّة رحمه الله

عن يحيى بن أكثم قال : قال لنا المأمون : لو لا مكان يزيد بن هارون لأظهرت القرآن مخلوق ، فقيل ومن يزيد حتى يتقى ؟ فقال : ويحك إنى لأرتضيه ، لأ أن له سلْطنةَ ولكن أخاف إن أظهرته فيرد عَلَيَّ ، فيختلف الناس ونكون فتنة [(١)] .

وعن شاذ بن يحيى سمع يزيد بن هارون يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو ذنديق [(٢)] .

قال الذهبى : وقد كان يزيد رأساً فى السنة معادياً للجهمية منكراً تأويلهم فى مسألة الاستواء [(٣)] .

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال : كان المأمون يسأل عن يزيد بن هارون يقول : ما مات ، وما امتحن حتى مات يزيد [(٤)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٢) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٢) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٦٢) .

٦ -نتف من أخباره رحمه الله

عن خلف بن سالم قال : كنا فى مجلس يزيد بن هارون فمزح مع مستمليه فتنحنح أحمد بن حنبل فقال يزيد : من المتنحنح ؟ فقيل له : أحمد ابن حنبل فضرب يزيد على جبينه وقال : ألا أعلمتمونى أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح [(١)] .

وعن يحيى بن أبى طالب قال : كنا فى مجلس يزيد – يعنى ابن هارون – فألحوا عليه من كل جانب يسألونه عن شئ وهو ساكت لا يجيب حتى إذا سكتوا قال يزيد : إنَّا واسطيون يعنى ما قيل تغافل كأنك واسطى [(٢)] .

وعن يزيد بن هارون قال : لا ينبل أحدٌ من أهل واسط بواسط لأنهم حساد وقيل ولا أنت يا أبا خالد ؟ فقال : ما عرفت حتى خرجت من واسط [(٣)] .

وعن الحارث بن أبى أسامة قال : كان يزيد بن هارون إذا جاءه من فاته المجلس قال : يا غلام ، ناوله المنديل [(٤)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٧١) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٤٥) .
(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٧١) .

٧ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الخطيب : سمع يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسليمان التيمى ، وعاصما الأحول ، وحميداً الطويل ، وداود بن أبى هند ، وعبد الله بن عون ، وحسينا المعلم ، وحجاج بن أبى زينب ، وعوام بن حوشب ، وحجاج بن أرطأة ، وبهز بن حكيم ، وهشام بن كيسان ، وأبا غسان محمد بن مطرف ، وشعبة بن الحجاج ، ومحمد بن عمرو الليثى ، والحمادين وخلق سواهم (١) .

تلامذته :

قال الخطيب : روى عنه أحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ، وأبو خيثمة وأبو بكر بن أبى شيبة ، وخلف بن مسلم ، وأحمد بن منيع ، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة ، ويعقوب الدورقى ، ومحمد بن حسان الأزرق ، والحسن بن الصباح ، والبزار ، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى ، والحسن بن عرفة ، وسعدان بن نصر ، والحسن بن مكرم ، والحارث بن أبى أسامة فى آخرين (٢) .

فائدة : قال الخطيب : حدث عنه بقية بن الوليد ، وأحمد بن عبد الرحمن السُّقَطِىُّ وبين وفاتيهما ثمان وتسعون سنة أو أكثر (٣) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ / ٣١٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٣٧) .
(٣) السابق واللاحق (٣٧٤) نقلاً عن تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦٩) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال محمد بن سعد : توفي في خلافة المأمون وهو ابن تسع أو ثمان وثمانين سنة وأشهر ، يعني سنة ست ومائتين «(١)» .

وقال يعقوب بن شيبة : توفي يزيد بواسط في شهر ربيع الآخر سنة ست ومائتين «(٢)» .

وعن أبي رافع ابن بنت يزيد بن هارون قال : كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان — وأحسبه قال شيخان — قال فقال أحدهما : يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون في المنام فقلت له : يا أبا خالد ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي وشفعني وعاتبني قال : قلت : غفر لك وشفعك قد عرفت .. ففيم عاتبك ؟ قال : قال لي : يا يزيد أتحدث عن جرير بن عثمان ؟ قال : قلت يارب ما علمت إلا خيراً .. قال : يايزيد إنه كان يبغض أبا الحسن علي بن أبي طالب .

قال وقال الآخر : أنا رأيت يزيد بن هارون في المنام ، فقلت له : هل أتاك منكر ونكير ؟ قال : أي والله وسألاني : من ربك وما دينك ؟ قال : فقلت ألمثلي هذا ؟ وأنا كنت أعلِّم الناس في بهذا في دار الدنيا ؟ فقالا لي : صدقت فنم نومة العروس «(٣)» .

«(١)» طبقات ابن سعد « ٧ / ٣١٤ ، ٣١٥ » .
«(٢)» سير أعلام النبلاء « ٩ / ٣٦٩ » .
«(٣)» تاريخ بغداد « ١٤ / ٣٤٧ » .

من أعـلام السلـف

٢٩

أبـو عُبَيْـد القاسـم بن سَـلاَم

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : القاسم بن سَلاَّم بن عبد الله أبو عبيد ، الأديب ، الفقيه المحدث ، صاحب التصانيف الكثيرة فى القراءات والفقه واللغة والشعر .

مولده : قال الذهبى : مولد أبى عبيد سنة سبع وخمسين ومائة [(١)] .

وقال على بن عبد العزيز : ولده بِهَراة ، وكان أبوه عبداً لبعض أهلها ، وكان يتولى الأزد [(٢)] .

صفته : قال الذهبى : قيل : كان أبو عبيد أحمر الرأس واللحية بالخضاب ، وكان مَهِيْباً وقوراً [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩١) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِي النيسابورى : سألت أبا الحسن الدارقطنى عن أبى عبيد فقال : إمامٌ ثقة جبل ، وسَلاَّم والده رومى (١) .

وقال أحمد بن كامل بن خلف القاضى : كان أبو عبيد فاضلاً فى دينه وفى علمه ، ربانيًا نفتياً فى أصناف من علوم الإسلام ، من القرآن ، والفقه ، والأخبار والعربية ، حَسَن الرواية صحيح النقل ، لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه فى شيءٍ من أمره ودينه (٢) .

وقال ابن سعد : وكان مؤدِّباً صاحب نَحْوٍ وعربيةٍ ، وطلب الحديث والفقه ، وولى قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ، ولم يزل معه ومع ولده ، وقدم بغداد ففسربها غريب الحديث وصنف كُتُباً ، وسمع الناس منه وحج فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين (٣) .

وقال عبد الله بن جعفر - يعنى ابن درستويه الفارسى النحوى : من علماء بغداد النحويين ، على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين ، والعلماء بالقراءات ، ومن جَمَعَ صنوفًا من العلم ، وصنف الكتب فى كل فن من العلوم والأدب فأكثر وشهر أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكان مؤدِباً لآل هرثمة وصار فى ناحية عبد الله بن طاهر ، وكان ذا فضل ودين وستر ومذهب حسن (٤) .

وعن أحمد بن سلمة النيسابورى قال : سمعت إسحاق بن راهوية يقول :

---

(١) تهذيب الكمال (٢٣ / ٣٥٨) .
(٢) تهذيب الكمال (٢٣ / ٣٥٩) .
(٣) طبقات ابن سعد (٧ / ٣٥٥) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٤) .

الحقُّ يحبه الله عز وجل ، أبو عبيد أفقه منى وأعلم منى (١) .

وعن أحمد بن نصر المقرى قال سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول : إن الله لا يستحيى من الحق أبو عبيد أعلم منى ، ومن أحمد بن حنبل ، والشافعى (٢) .

وعن أبى عمرو محمد بن عبد الواحد اللغوى قال : سمعت أبا العباس ثعلبا يقول : لو كان أبو عبيد فى بنى إسرائيل لكان عجباً (٣) .

وعن إبراهيم الحربى قال : أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ، فتعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث فما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأنه الله جمع له علم الأولين من كل صنف ، يقول ما شاء الله ، ويمسك ما شاء الله (٤) .

وعن الهلال بن العلاء الرَّقىّ قال : مَنَّ اللهُ على هذه الأمة بأربعة فى زمانهم : بالشافعى تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد ثبت فى المحنه لولا ذلك كفر الناس ، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن الحديث ، وبأبى عبيد فسر الغريب من الحديث ، ولولا ذلك لاقتحم الناس فى الخطأ (٥) .

وعن حمدان بن سهل قال : سألت يحيى بن معين عن الكتبة عن أبى عبيد فقال : - وتبسم - مثلى يُسأل عن أبى عبيد ؟ أبو عبيد يسأل عن الناس ، لقد كنت عند الأصمعى يوماً ، إذ أقبل أبو عبيد ، فَشَقَّ إليه بصره حتى اقترب منه فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم ، قال : لن تضيع الدنيا

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١١) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١١) .
(٣) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١١) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١١) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٩) .

أو الناس ماحيي هذا [١].

وروى عبد الخالق بن منصور عن ابن معين قال : أبو عبيد ثقة [٢].

وقال عباس بن محمد عن أحمد بن حنبل : أبو عبيد ممن يزداد عندنا كُلَّ يومٍ خيراً [٣].

وقال أبو داود : أبو عبيد ثقة مأمون [٤].

وقال أبو قدامة : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أبو عبيد أستاذ [٥].

وقال الحاكم : كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم في علوم كثيرة ، ولم يرضه أهل علم منها ، وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد [٦].

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٤) .

٢ - قصته مع أمير خرسان

نقل الخطيب في تاريخه وغيره أن طاهر بن الحسين حين سار إلى خرسان نزل بمرو ، فطلب رجلاً يحدثه ليلة ، فقيل ماهاهنا إلا رجل مؤدِّب ، فأدخلوا عليه أبا عبيد فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو اللغة والفقه ، فقال له : من المظالم تركك أنت بهـذه البلـدة ، فأعطـاه ألف دينار وقال له : أنا متوجه إلى حرب وليـس أحبُّ اصطحابـك شفقـاً عليك ، فأنفـق هــذه إلى أن أعود إليك فألف أبو عبيد ، غريب المصنـف وعاد طاهر بن الحسين من ثغر خرسان فحمل معه أبا عبيـد إلى سرَّ من رأى ، وكان أبـو عبيد ثقة ديناً ورعاً كبير الشأن [(١)].

قال ابن درستويه : ولأبى عبيد كتبٌ لم يَروها ، قد رأيتها فى ميراث بعض الطاهرية تباع كثيرة فى أصناف الفقهْ كُلِّه ، وبلغنا أنه كان إذا ألف كتاباً أهداه إلى ابن طاهر فيحمل إليه مالاً خطَيراً [(٢)].

وقال عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى : قال أحمد بن يوسف – إما سمعته منه أو حدثت به عنه – قال : لما عمل أبو عبيد كتاب غريب الحديث عرض على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق أن لا يحوج إلى طلب المعاش ، فأجرى له عشرة آلاف درهم فى الشهر [(٣)].

وعن الفسطاطى قال : كان أبو عبيـد مع ابن طاهر فوجَّه إليه أبو دُلَف

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٦).
(٢) تاريخ بغداد (٢١٢ / ٤٠٤) وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٣) .
(٣) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٤) وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٥) .

بثلاثين ألف درهم ، فلم يقبلها ، وقال : أنا فى جنبة رجلٍ ما يحوجنى إلى صلة غيره ، ولا آخذ ما عليَّ فيه نقص ، فلما عاد ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار ، فقال له : أيها الأمير قد قبلتها ، ولكن قد أغنيتنى بمعروفك وبرك عنها وقد رأيت أن أشترى بها سلاحاً وخيلاً وأوجّه بها إلى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ففعل [(١)].

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٥) .

٤ - عبادته واتباعه للسنّة رحمه الله

قال أبو بكر بن الأنبارى : كان أبو عبيد - رحمه الله - يقسم الليل أثلاثا فيصلى ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه (١) .

وقال أبو حامد الصاغانى سمعت أبا عبيد القاسم بن سلاّم يقول : فعلت بالبصرة فعلتين أرجو بهما الجنّةَ : أتيت يحيى القطان وهو يقول : أبو بكر وعمر فقلت : معى شاهدان من أهل بدر يشهدان أن عثمان أفضل من على قال : من ؟ قلت : أنت حدثتنا عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة . عن النزال ابن سبرة قال : خطبنا ابن مسعود فقال : أَمَّرْنا خير من بقى ولم نأْلُ . قال : ومن الآخرة ؟ قلت : الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور قال : سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول : شاورت المهاجرين الأوّلين وأمراء الأمصار وأصحاب رسول الله ﷺ فلم أر أحداً يعدل بعثمان قال : فترك يحيى قوله وقال : أبو بكر وعمر وعثمان . قال : وأتيت عبد الله الخريبى فإذا بيته بيت خمّار (٢) . فقلت : ماهذا ؟ قال : ما اختلف عليه أولنا ولا آخرنا . قلت : اختلف فيه أولكم وآخركم قال : من ؟ قلت : أيوب السختيانى عن محمد عن عبيدةَ قال : اختُلفَ علَىَّ فى الأشربة فمالَى شراب منذ عشرين سنة إلا عسلٌ أو لبنٌ أو ماء . قال ومن آخرنا ؟ قلت : عبد الله بن إدريس قال : فأخرج كل مافى منزله فأهراقه (٣) .

وعن العباس الدورى قال : سمعت أبا عبيد القاسم بن سَلاّم وذكر الباب

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٨) وطبقات الشافعية (٢ / ١٥٤) .

(٢) لعله رحمه الله كان ممن يقول بإباحة النبيذ كما كان يذهب إليه بعض العلماء مما لا يسكر إلا كثيره ولذلك قال : فإذا بيته بيت خمّار ؟ .

(٣) تاريخ بغداد (٢ / ٤٠٩) وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٨) .

الذى يرى فيه الرؤية والكرسى موضع القدمين وضحك ربنا وأين كان ربنا - فقال : هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهى عندنا حق لا نشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف يضحك : وكيف وضع قدمه ؟ قلنا لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسّره (١) .

قال الذهبى : قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم ، وما أبقوا ممكنا ، وأيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً وهى أهم الدين ، فلو كان تأويلها سائغاً أو حتما لبادروا إليه ، فعلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق ، لا تفسير لها غير ذلك فنؤمن بذلك اقتداءً بالسلف ، معتقدين أنها صفات لله تعالى ، استأثر الله بعلم حقائقها ، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين ، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين ، فالكتاب والسنة نطق بها ، والرسول ﷺ بلغ ، وما تعرض لتأويل ، مع كون البارى قال : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٥) وقد نبه المحقق عن عدم صحة . الكرسى موضع القدمين ، مرفوعاً ، وكذا : « أين كان ربنا » .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٠٦) .

٥ - كتبه رحمه الله

قال ابن دَرَستويه : والغريب المصنَّف « من أجل كتبه اللغة احتذى فيه كتاب النَّضر بن شُمَيل . المسمى بكتاب الصفات ، بدأ فيه بخلق الإنسان ، ثم بخلق الفرس ثم بالإبل ، وهو أكبر من كتاب أبي عبيد وأجود .

قال : ومنها كتابه في الأمثال أحسن تأليفه ، وكتاب « غريب الحديث » ذكره بأسانيده فرغب فيه أهل الحديث ، وكذلك كتابه في « معاني القرآن » حدث بنصفه ومات .

وله كتب في الفقه فإنه عمد إلى مالك والشافعي فتقلد أكثر ذلك ، وأتى بشواهده ، وجمعه من رواياته وحَسَّنَهَا باللغة والنحو .

وله في القراءات كتاب جيد ليس لأحدٍ من الكوفيين قبله مثله ، وكتابه في الأموال من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده (١) .

وقال الذهبي : وصنف التصانيف المونقة التي سارت بها الرُّكبان ، وله مصنف في القراءات لم أره وهو من أئمة الاجتهاد ، وله مجلد كبير سمعناه بالإتصال ، وكتاب « الغريب » مروى أيضاً ، وكتاب « فضائل القرآن » وقع لنا ، وكتاب « الطهور » ، وكتاب « الناسخ والمنسوخ » وكتاب « المواعظ » وكتاب « الغريب المصنف » في علم اللسان ، وغير ذلك ، وله بضعة وعشرون كتاباً (٢) .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٥) وعنه سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٣ ، ٤٩٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩١ ، ٩٢) .

٦ - توقيره لأهل العلم

عن ابن عرعرة قال : كان طاهر بن عبد الله ببغداد فطمع فى أن يسمع من أبي عبيد ، وطمع أن يأتيه فى منزله ، فلم يفعل أبو عبيد ، حتى كان هو يأتيه ، فقدم على ابن المدينى وعباس العنبرى ، فأرادا أن يسمعا «غريب الحديث» فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما فى منزلهما فيحدثهما فيه (١) .

وعن جعفر بن محمد بن على بن المدينى : سمعت أبى يقول : خرج أبى إلى أحمد بن حنبل يعوده وأنا معه فدخل إليه وعنده يحيى بن معين وجماعة ، فدخل أبو عبيد فقال له يحيى : اقرأ علينا كتابك الذى عملته للمأمون «غريب الحديث» ، فقال : هاتوه فجاءوا بالكتاب فأخذه أبو عبيد فجعل يبدأ يقرأ الأسانيد ويدع تفسير الغريب ، فقال أبى : دعنا من الاسناد نحن أحذق بها منك ، فقال يحيى بن معين لأبى دعه يقرأ على الوجه فإن ابنك معك ، ونحن نحتاج أن نسمعه على الوجه ، فقال أبو عبيد : ما قرأته إلا على المأمون ، فإن أحببتم أن تقرؤوه فاقرؤه ، فقال له ابن المدينى : إن قرأته علينا وإلا لا حاجة لنا فيه ، ولم يعرف أبو عبيد على بن المدينى ، فقال ليحيى من هذا ؟ فقال : هذا على بن المدينى فالتزمه وقرأه علينا فمن حضر ذلك المجلس جاز أن يقول : حدثنا وغير ذلك فلا يقول (٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٧) .

٧ - من أقواله رحمه الله

عن على بن عبد العزيز قال سمعت أبا عبيد يقول : المتبع السنة كالقابض على الجمر هو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله [(١)].

وعنه قال : مثل الألفاظ الشريفة والمعانى الظريفة مثل القلائد اللائحة فى الترائب الواضحة [(٢)].

وقال عباس الدُّورى : سمعت أبا عبيد يقول : إنى لأتبين فى عقل الرجل أن يدع الشمس ويمشى فى الظل [(٣)].

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١٠) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١٠) .
(٣) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١٠) .

٨ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الخطيب : سمع إسماعيل بن جعفر ، وشريكا ، وإسماعيل بن عياش ، وهشيم بن بشير ، وسفيان بن عيينة ، وإسماعيل بن عليه ، ويزيد بن هارون ، ويحيى بن سعيد القطان ، وحجاج بن محمد ، وأبا معاوية الضرير ، وصفوان بن عيسى ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وحماد بن مسعده ، ومروان بن معاوية ، وأبا بكر بن عياش ، وعمر بن يونس ، وإسحق الأزرق وغيرهم [(١)] .

تلامذته :

قال الخطيب : روى عنه نصر بن داود بن طوق ، ومحمد بن إسحاق الصاغانى ، والحسن بن مكرم ، وأحمد بن يوسف التغلبى ، وأبو بكر بن أبى الدنيا ، والحارث بن أبى أسامة ، ومحمد بن يحيى المروزى ، وعلى بن عبد العزيز البغوى فى آخرين [(٢)] .

وزاد الذهبى فى سيره : عبد الله بن عبد الرحمن البغوى ، وعباس الدورى وأحمد بن يحيى البلاذرى [(٣)] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٣) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢ / ٤٠٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٢) .

٩ - وفاته رحمه الله

قال البخارى وغيره : مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة [١] .

وقال الخطيب : وبلغنى أنه بلغ سبعاً وستين سنة رحمه الله [٢] .

قال عَبْدان بن محمد المروزى : حدثنا أبو سعيد الضرير قال : كنت عند عبد الله بن طاهر فورد عليه نَعْىُ أبى عبيد فأنشأ يقول :

يَاطالبَ العلمِ قد ماتَ ابنُ سَلَّامِ ... وَكَانَ فَارِسَ عِلْمٍ غَيْرَ مِحْجَامِ
مَاتَ الَّذِى كَانَ فِينَا رُبعَ أَرْبَعَةٍ ... لَمْ يُلْقَ مِثْلُهُمُ إِسْتَارَ أَحْكَامِ
خَيْرُ البَرِيَّةِ عَبْدُ الله أَوَّلُهُمْ ... وَعَامِرٌ وَلنِعْمَ التِّلْوُ يا عَامِ
هُمَا اللَّذَانِ أَنَافَا فَوْقَ غَيْرِهِمَا ... وَالقَاسِمَانِ ابْنُ مَعْنٍ وابْنُ سَلَّامِ [٣]

وكان عبد الله بن طاهر يقول : الأئمة للناس أربعة : ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه والقاسم بن معن فى زمانه ، وأبو عبيد فى زمانه [٤] .

---

(١) التاريخ الكبير (٧ / ١٧٢) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢ / ٤١٠) .
(٣) طبقات الشافعية (٢ / ١٥٦) .
(٤) طبقات الشافعية (٢ / ١٥٦) .

من أعلام السلف

٣٠

يَحْيَى بن مَعِيْنٍ

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : يحيى بن معين بن عَوْنٍ بن زياد بن بسْطام بن عبد الرحمن وقيل اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفانى ثم المُرىّ مولاهم البغدادى .

مولده : قال أحمد بن زهير : ولد يحيى فى سنة ثمان وخمسين ومائة قال الذهبى : وكتب العلم وهو ابن عشرين سنة [(١)] .

وقال الحسين بن فهم : سمعت يحيى بن معين يقول : ولدت فى خلافة أبى جعفر سنة ثمان وخمسين ومائة فى آخرها [(٢)] .

صفته : قال الذهبى : قيل : أصل ابن معين من الأنبار ونشأ ببغداد وهو أسن الجماعة الكبار الذين هم : على بن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهوية وأبو بكر بن أبى شيبه ، وأبو خيثمة فكانوا يتأدبون معه ويعترفون له وكان له هيبة وجلال يركب على البغلة ويتجمل فى ثيابه رحمه الله [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٧٦ ، ٧٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٧٨) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال عبد الخالق بن منصور : قلت لابن الرومى : سمعت بعض أصحاب الحديث يحدث بأحاديث يحيى ويقول : حدثنى من لم تطلع الشمس على أكبر منه فقال : ما تعجب سمعت على ابن المدينى يقول : ما رأيت فى الناس مثله [(١)] .

وقال أيضاً : قلت لابن الرومى : سمعت أبا سعيد الحداد يقول الناس كلهم عيال على يحيى بن معين فقال : صدق ما في الدنيا أحد مثله سبق الناس إلى هذا الباب الذى هو فيه لم يسبقه إليه أحد وأما من يجئ بعده لا ندرى كيف يكون [(٢)] .

قال الحافظ الخطيب البغدادى : وكان إماماً ربانياً عالماً حافظاً ثبتاً متقناً [(٣)] . وعن العباس الدورى قال : رأيت أحمد بن حنبل فى مجلس روح بن عبادة سنة خمس ومائتين يسأل يحيى بن معين عن أشياء يقول له : يأبا زكريا كيف حديث كذا ، وكيف حديث كذا ، يريد أحمد أن يستثبته فى أحاديث قد سمعوها فما قال : يحيى كتبه أحمد ، وقلما سمعت أحمد بن حنبل يسمى يحيى بن معين باسمه : إنما كان يقول : قال أبو زكريا ، قاله أبو زكريا [(٤)] .

وقال ابن المدينى : انتهى علم الناس إلى يحيى بن معين [(٥)] .

وقال يحيى القطان : ما قدم علينا مثل هذين أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين .

---

(١) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٥٣) .
(٢) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٥٣) .
(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٧٧) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٠) .
(٥) تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٣٠) .

وقال أحمد بن حنبل : يحيى بن معين أعلمنا بالرجال .

ثم قال الذهبى : يحيى أشهر من أن نطول الشرح بمناقبه [١] .

وعن جعفر الطيالسى قال : سمعت ابن معين يقول : لما قدم عبد الوهاب ابن عطاء أتيته فكتبت عنه فبينا أنا عنده إذ أتاه كتاب من أهله فقرأه وأجابهم فرأيته وقد كتب على ظهره قدمت بغداد وقبلنى يحيى بن معين والحمد لله رب العالمين [٢] .

وقال عبيد الله القواريرى : قال لى يحيى القطان ما قدم علينا البصرة مثل أحمد ويحيى بن معين [٣] .

وعن عبد الخالق بن منصور قال : سمعت ابن الرومى يقول : ما رأيت أحداً قط يقول الحقّ فى المشايخ غير يحيى وغيره كان يتحامل بالقول .

قلت (الذهبى) : هذا القول من عبد الله بن الرومى غير مقبول وإنما قاله باجتهاده ونحن لا ندعى العصمة فى أئمة الجرح والتعديل لكن هم أكثر الناس صواباً وأندرهم خطأ ، وأشدهم إنصافاً ، وأبعدهم عن التحامل ، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرح فتمسك به واعضض عليه بناجذيك ، ولا تتجاوزه فتندم ، ومن شذ منهم فلا عبرة به فخلّ عنك العناء ، واعط القوس باريها فوالله لولا الحفاظ الآكابر لخطبت الزنادقة على المنابر ، ولئن خطب خاطب من أهل البدع فإنما هو بسيف الإسلام ، وبلسان الشريعة وبجاه السنة وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ فنعوذ بالله من الخذلان [٤] .

وروى عبد الله بن أبى زياد القطوانى عن أبى عبيد قال : انتهى الحديث

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٣٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٨٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٨٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٨٢) .

إلى أربعة : أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه ، وإلى يحيى بن معين ، وهو أكتبهم له ، وإلى على بن المدينى وهو أعلمهم به وإلى أبى بكر بن أبى شيبة وهو أحفظهم له .

وفى رواية عن أبى عبيد : وإلى ابن معين وهو أعلمهم بصحيحه وسقيمه [(١)] .

قال أحمد بن يحيى بن الجارود : قال ابن المدينى : ما أعلم أحداً كتب ما كتب يحيى بن معين [(٢)] .

وقال البراء سمعت عليا يقول : لا نعلم أحداً من لدن آدم كتب من الحديث ما كتب ابن معين [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٨٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩١) .

٣ - مهارته فى معرفة خطأ الحديث

قال عباس الدورى : حدثنا يحيى بن معين قال : حضرت نعيم بن حماد بمصر فجعل يقرأ كتاباً صنفه فقال : حدثنا ابن المبارك عن ابن عون وذكر أحاديث ، فقلت : ليس ذا عن ابن المبارك فغضب وقال : تردُّ علىَّ ؟ قلت : إى والله أريد زينك فأبى أن يرجع فلما رأيته لا يرجع . قلت : لا والله ما سمعت هذه من ابن المبارك فغضب وغضب من كان عنده وقام فدخل فأخرج صحائف فجعل يقول وهى بيده : أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمير المؤمنين فى الحديث ؟ نعم يا أبا زكريا غلطت وإنما روى هذه الأحاديث غير ابن المبارك عن ابن عون (١) .

عن ابن الرومى قال : كنت عند أحمد فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله : انظر فى هذه الأحاديث فإن فيها خطأ قال : عليك بأبى زكريا فإنه يعرف الخطأ (٢) .

وقال عبد الخالق لابن الرومى حدثنى أبو عمرو أنه سمع أحمد بن حنبل يقول : السماع مع يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور فقال لى : وما تعجب من هذا كنت أختلف أنا وأحمد إلى يعقوب بن إبراهيم فى المغازى ويحيى بالبصرة فقال أحمد : ليت أن يحيى ههنا قلت له : وما تصنع به ؟ قال : يعرف الخطأ (٣) .

وعن أبى مقاتل سليمان بن عبد الله قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين – يعنى يحيى بن معين (٤) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٨٩ ، ٩٠) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٧٩) .
(٣) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٠) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٠) .

٤ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الذهبي : سمع من ابن المبارك وهشيم ، وإسماعيل بن عياش وعباد ابن عباد ، وإسماعيل بن مجالد بن سعيد ، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ومعتمر بن سليمان ، وسفيان بن عيينة ، وغندر ، وأبي معاوية ، وحاتم بن إسماعيل ، وحفص بن غياث ، وجرير بن عبد الحميد ، وعبد الرزاق ، ومروان ابن معاوية ، وهشام بن يوسف ، وعيسى بن يونس ، ووكيع أو معن ، وأبي حفص الأبار ، وعمر بن عبيد ، وعلي بن هاشم ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، وعفان وخلق كثير بالعراق والحجاز والجزيرة والشام ومصر [(١)] .

تلامذته :

قال الحافظ : وعن البخاري ومسلم وأبو داود ورووا هم أيضاً والباقون له بواسطة عبد الله بن محمد المسندي وهناد بن السري وهما من أقرانه ، والفضل ابن سهل الأعرج ، ومحمد بن عبد الله بن المبارك المخزومي ، ومحمد بن إسحاق الصفاني ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، ومعاوية بن صالح الأشعري وأبو بكر بن علي المروزي ، وروى عنه أيضاً أحمد بن حنبل ، وأحمد بن أبي الحواري ، وابن سعد ، وداود بن رشيد ، وأبو خيثمة ، وهم من أقرانه ، وأحمد ويعقوب إبنا إبراهيم الدورقي ، وتلامذة إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي ، وأبو بكر بن أبي خيمة [(١)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٧٢) .
(٢) تهذيب التهذيب (١١ / ٢٤٦ ، ٢٤٧) وانظر بقية تلامذته .

٥ - درر من أقواله

عن يزيد بن مجالد المعبّر قال : سمعت يحيى بن معين يقول : إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش [(١)].

وعن أحمد بن على الأبار قال يحيى بن معين : كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزاً نضيجاً [(٢)].

قال يحيى : ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحببتُ أن أزين أمره وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته [(٣)].

عن أبى بكر محمد بن مهرويه قال سمعت : على بن الحسين بن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول : إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حَطّوا رحالهم فى الجنة من أكثر من مئتى سنة قال ابن مهرويه : فدخلت على ابن أبى حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب « الجرح والتعديل » فحدثته بهذه الحكاية فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكى ويستعيدنى الحكاية أو كما قال [(٤)].

وعن داود بن رشيد قال أنشدنى يحيى بن معين :

المال يذهب حله وحرامه ... يوماً وتبقى فى غَدٍ آثامُهُ

ليس التقى بمتقٍ لإلهه ... حتى يطيب شرابه وطعامه

---

(١) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٤٩) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ١٨٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٨٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٥) .

ويطيب ما يحوى وتكسب كفه ... ويكون فى حسن الحديث كلامه
نطق النبى لنا به عن ربه ... فعلى النبى صلاته وسلامه(١)

وعن جعفر بن أبى عثمان الطيالسى قال أنشدنا يحيى بن معين :

أخلاء الرجال هم كثير ... ولكن فى البلاء هم قليل
فلا يغررك خلّه من نؤاسخى ... فما لك عند نابية خليل
سوى رجل له حسب ودين ... لما قد قاله يوماً فعول(٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٤) .
(٢) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٦٣) .

٦ - وفاته رحمه الله

قال محمد بن جرير الطبرى : خرج ابن معين حاجاً وكان أكولاً فحدثنى أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في رفقته ، فلما قدموا فيد أهدى إلى يحيى فالوذج لم ينضج فقلنا له : يا أبا زكريا لا تأكله فإنا نخاف عليك فلم يعبأ بكلامنا وأكله فما استقر في معدته حتى شكا وجع بطنه وأسهل إلى أن وصلنا المدينة ولا نهوض له فتفاوضنا فى أمره ، ولم يكن لنا سبيل إلى المقام لأجل الحج ولم ندر ما نعمل في أمره فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج وبتنا فلم يصبح حتى وصى ومات فغسلناه ودفناه (١) .

وقال أبو حسان مهيب بن سليم البخارى : سمعت محمد بن يوسف البخارى والد أبي ذر يقول : كنت فى الصحبة في طريق الحج مع يحيى بن معين فدخلنا المدينة ليلة الجمعة ومات من ليلته فلما أصبحنا تسامع الناس بقدوم يحيى وبموته فاجتمع العامة وجاءت بنو هاشم فقالوا : نخرج له الأعواد التى غسل عليها النبى ﷺ فكره العامة ذلك وكثر الكلام فقالت : بنو هاشم : نحن أولى بالنبى ﷺ منكم وهو أهل أن يغسل عليها فأخرج الأعواد وغسل عليها ودفن يوم الجمعة في شهر ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومئتين قال أبو حسان وهى السنة التى ولدت فيها (٢) .

وقال جعفر بن محمد بن كزال :كنت مع يحيى بن معين بالمدينة فمرض مرضه الذى مات فيه وتوفى بالمدينة فحمل على سرير رسول الله ﷺ ورجل ينادى بين يديه : هذا الذى كان ينفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ (٣) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٠) .
(٢) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٦٦) .
(٣) تهذيب الكمال (٣١ / ٥٦٧) .

من أعـلام السلـف

٣١

على بن المدينـى

١ - اسمه ومولده

اسمه : على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدى مولاهم البصرى مولى عروة بن عطية السعدى ، وكنيته أبو الحسن ، وأبوه كان محدثاً مشهوراً لين الحديث .

مولده : سنة إحدى وستين ومائة بالبصرة [١] .

(١) باختصار من سير أعلام النبلاء (١١ /٤٢ ، ٤٣) .

٢ - منزلته وثناء العلماء عليه

قال شيخه يحيى بن سعيد القطان : الناس يلومونى فى قعودى مع عَلِىٍّ وأنا أتعلم من عَلِىٍّ أكثر مما يتعلم عَلِىٌّ مِنىِّ [(١)] .

وقال شيخه سفيان بن عيينة : إنى لأرغب بنفسى عن مجالستكم منذ ستين سنة ولولا على بن المدينى ما جلست [(٢)] .

وعن أبى قدامة قال : سمعت على بن المدينى يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الثُّرَيَّا تدلت حتى تناولتها ، قال أبو قدامة : فصدق الله رؤياه ، بلغ فى ا لحديث مبلغا - لم يبلغه أحد - أو لم يبلغه كبير أحد [(٣)] .

وقال أبو عبد الرحمن النَّسوى : كأن الله خلق على بن المدينى لهذا الشأن [(٤)] .

وعن محمد بن إسحاق السراج قال : سمعت محمد بن إسماعيل البخارى وقلت له : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى أن أقدم العراق وعلى بن المدينى حَىٌّ فأجالسه [(٥)] .

وقال البخارى كذلك : ما استصغرت نفسى عند أحدٍ إلا عند على بن المدينى [(٦)] .

وسئل يحيى بن معين عن على بن المدينى والحُميدى ، فقال : ينبغى للحميدى أن يكتب عن آخر عن على بن المدينى [(٧)] .

---

(١) تاريخ بغداد (١١ / ٤٦٠) .
(٢) تاريخ بغداد (١١ / ٤٥٩)
(٣) تاريخ بغداد (١١ / ٤٦١)
(٤) تاريخ بغداد (١١ / ٤٦٢) .
(٥) تاريخ بغداد (١١ / ٤٦٣) .
(٦) تاريخ بغداد (١١ / ٤٦٣) .
(٧) سير أعلام النبلاء (١١ / ٥٠) .

وعن الأَعْيَنْ قال : رأيت على بن المدينى مستلقياً ، وأحمد عن يمينه وابن معين عن يساره ، وهو يملى عليهما (١) .

وقال أبو يحيى محمد بن عبد الرحيم : كان على إذا قدم بغداد تصدر فى الحلقة ، وجاء ابن معين وأحمد بن حنبل ، والمعيطى والناس يتناظرون ، فإذا اختلفوا فى شئ تلكم فيه على (٢) .

وقال عبد الله بن أبى زياد القطوانى : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم إلى أربعة : أبو بكر بن أبى شيبة أسردهم له ، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه ، وعلى بن المدينى أعلمهم به ، ويحيى بن معين أكتبهم له (٣) .

وقال النووى فى ترجمته : اجمعوا على جلالته وإمامته وبراعته فى هذا الشأن وتقدمه على غيره (٤) .

وقال تاج الدين السبكى : على بن المدينى الحافظ أحد أئمة الحديث ورفعائهم ومن انعقد الاجماع على جلالته وإمامته (٥) .

وقال أبو داود : ابن المدينى أعلم من أحمد باختلاف الحديث (٦) .

وقال أحمد بن سنان : كان ابن عيينة يسمى علياً حيَّة الوادى (٧) .

قال الذهبى : مناقب هذا الإمام جمة لولا ما كدرها بتعلقه بشئ من مسألة خلق القرآن وتردده إلى أحمد بن أبى داود ، إلا أنه تنصَّل وندم ، وكفَّرَ من يقول بخلق القرآن ، فالله يرحمه ويغفر له (٨) .

قال أزهر بن جميل . كنا عند يحيى بن سعيد أنا وعبد الرحمن وسفيان

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٥٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٨) .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٣٥٠) .
(٥) طبقات الشافعية (١٤٥/٢) .
(٦) تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٢٨) .
(٧) تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٢٨) .
(٨) تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٢٨) .

الرؤاسى وعلى بن المدينى وغيرهم إذ جاء عبد الرحمن بن مهدى منتقح الدون أشعث فقال له يحيى : ماحالك أبا سعيد ؟ قال : خير رأيت البارحة فى المنام كأن قوماً من أصحابنا قد نكسوا ، قال على بن المدينى : يا أبا سعيد هو خير ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٨] قال : اسكت فوالله إنك لفى القوم [١] .

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٥١) .

٣ - براعته رحمة الله فى معرفة العلل

والعلة هى سبب غامض خفى يقدح فى صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها .

ومعرفة علة الحديث من أشرف معارف المحدثين وأجلها وأعلاها وأدقها ، لايضطلع بها إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب .

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : معرفة علل الحديث ، وهو علم برأسة غير الصحيح والسقيم ، والجرح والتعديل .

وقال أيضاً : « إن معرفة علل الحديث من أجل هذه العلوم والإمام على بن المدينى إمام حملة راية السنة المشرقة كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وهى أدق شئ فى علم الدراية ، وكلما ذكر الأئمة البارزون فى علل الحديث ذكر ابن المدينى فى مقدمتهم [(١)] .

قال الإمام أحمد : أعلمنا بالعلل على بن المدينى [(٢)] .

وقال أبو حاتم الرازى : كان على بن المدينى علماً فى الناس [(٣)] فى معرفة الحديث ، والعلل. وكان أحمد بن حنبل لايسميه إنما يكنيه تبجيلاً له .

وقال صالح بن محمد جزرة : أعلم من أدركت بالحديث وعلله على بن المدينى وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر ابن أبى شيبة [(٤)] .

وقال الحافظ : لا ريب فى تقدم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما

---

(١) باختصار من الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال (١٧٤ ، ١٧٥) ، تأليف إكرام الله إمداد الحق . ط . دار البشائر .
(٢) المجروحين (١ / ٥٥) .
(٣) الجرح والتعديل (المقدمة ٣١٩) .
(٤) تذكرة الحافظ (٢ / ٤٣٣) .

ومن بعده من أئمة هـذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلّل ، فإنهم لا يختلفون فى أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلل الحديث ، وعنه أخذ البخارى ذلك (١) .

وقال أحمد شاكر رحمه الله : هذا الفن من أدق فنون الحديث وأعوصها ، بل هو رأس علومه وأشرفها ، ولا يتمكن منه إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل كابن المدينى وأحمد البخارى ويعقوب ابن شيبة وأبى حاتم وأبى زرعة والترمذى والدراقطنى (٢) .

---

(١) هدى السارى (٣٤٦ ، ٣٤٧) .
(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (٦٥) .

٤ - حفظه رحمه الله

عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سألت أبى عن أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى أيهما كان أحفظ قال : كانا فى الحفظ متقاربين وكان أحمد أفقه [١] .

وعن عبد الرحمن قال : سمعت محمد بن مسلم بن وارة وسئل عن على ابن المدينى ويحيى بن معين أيهما كان أحفظ ؟ قال : كان على أسرد وأتقن ، وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه [٢] . وقال الإمام أحمد : وكان عَلى أحفظنا للطوال [٣] .

ولما أراد الذهبى مدح أحمد بن حنبل قال : « والله لقد بلغ فى الفقه خاصة رتبة الليث ومالك والشافعى وأبى يوسف ، وفى الزهد والورع رتبة الفضيل وإبراهيم بن أدهم ، وفى الحفظ رتبة شعبة ويحيى القطان وابن المدينى [٤] .

فقرن ابن المدينى فى الحفظ بشعبة ويحيى القطان ، وهما جبلان فى الحفظ ثم شبه أحمد بن حنبل بهم فى الحفظ .

وقال عبد المؤمن النسفى : سألت صالح بن محمد : هل كان يحيى بن معين يحفظ ؟ فقال : لا إنما كان عنده معرفة . قلت فَعَلِيٌّ ؟ قال كان يحفظ ويعرف [٥] .

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل (٢٩٤) .
(٢) مقدمة الجرح والتعديل (٣١٤) .
(٣) تاريخ بغداد (٩ /٤١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٢١) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٨) .

٥ - موقفه رحمه الله من المحنة

كان الإمام على بن المدينى رحمه الله ضمن الجماعة التى تعرضت للإمتحان فى مسألة خلق القرآن الكريم ، فقد تعرض للتخويف والإرهاب الشديد من قبل السلطة فى دولة بنى العباس . آنئذ ويبدو أن موقفه رحمه الله فى المحنه ظَلَّ صلباً قويا كغيره من الأئمة إلا أنه لما اشتد عليه البلاء والوعيد الشديد وزُجَّ فى السجن اضطر أن يقول بعضَ الشئ للسلطة التى ولدت فتنة العلماء مما يوهم أنه أجاب فى المحنة ، ولكن فى واقع الأمر فعل ذلك فى الظاهر وهو غير مطمئن الجنان لذلك ، فقد ندم وتاب وصرح بقول أهل السنة والجماعة : وكَفَّر القائلين بخلق القرآن [(١)].

وقد أشار إلى ذلك ابن المدينى قال أبو يوسف القُلُّوسى : « قلت لعلى بن المدينى مثلك فى علمك تجيب إلى ما أجبت إليه ؟ فقال لى : يا أبا يوسف : ما أهون عليك السيف » [(٢)].

وقال العباس بن عبد العظيم العنبرى : « قال على بن المدينى وذكر رجلاً فتكلم فيه ، فقلت له : لا يقبلون منك ، إنما يقبلون من أحمد بن حنبل قال : قوى أحمد على السوط وأنا لا أقوى [(٣)].

وقال السبكى : « والصحيح عندنا أنه إنما أجاب خشية السيف » [(٤)].

وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبه : سمعت على بن المدينى يقول : قبل أن يموت بشهرين – القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق

---

(١) الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال (١٠٠) .
(٢) الكامل (١ / ٣٠) والميزان (٣ / ١٤١) .
(٣) تاريخ بغداد (١١ / ٤٦٩) .
(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٢ / ١٤٧) .

فهو كافر [(١)] .

قال ابن أبى حاتم : ترك أبو زرعة الرواية عنه من أجل ما كان منه فى المحنة وكان أبى يروى عنه لنزوعه عما كان منه [(٢)] .

قال الحافظ : تكلم فيه أحمد ومن تابعه لأجل ما تقدم من إجابته فى المحنة ، وقد اعتذر الرجل عن ذلك وتاب وأناب [(٣)] .

---

(١) تاريخ بغداد (١١ / ٤٧٢) .
(٢) الجرح والتعديل (٦ / ١٩٤) .
(٣) التهذيب (٧ / ٣٥٦) .

٦ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الذهبي : سمع على أباه ، وحماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان ، ويزيد بن زريع ، وعبد الوراث ، وهشيم بن بشير ، وعبد العزيز الداروردى ، ومعتمر بن سليمان ، وسفيان بن عيينة ، وجرير بن عبد الحميد ، والوليد بن مسلم ، وبشر بن المفضل ، وغندرا ، ويحيى بن سعيد ، وخالد بن الحارث ومعاذ بن معاذ ، وحاتم بن وردان وابن وهب ، وعبد الأعلى السامى ، وعبد العزيز بن أبى حازم ، وعبد العزيز العمّى ، وعمر بن طلحة بن علقمة بن وقاص الليثى ، وفضيل بن سليمان النميرى ، ومحمد بن طلحة التيمى ، ومرحوم بن عبد العزيز ، ومعاوية بن عبد الكريم ، ويوسف بن الماجشون ، وعبد الوهاب الثقّفى ، وهشام بن يوسف وخلقاً كثيراً [(١)] .

تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه أحمد بن حنبل ، وأبو يحيى صاعقة ، والزعفرانى ، وأبو بكر الصاغانى ، وأبو عبد الله البخارى ، وأبو حاتم ، وحنبل بن إسحاق ، ومحمد بن يحيى ، وعلى بن أحمد بن النّضر ، ومحمد بن أحمد بن البراء ، والحسن بن شبيب المعمرى ، وولده عبد الله بن على وحميد بن زنجويه وصالح ابن محمد جزرة وعبيد الله بن عثمان العثمانى ، وهلال بن العلاء ، والحسن البزار ، وأبو داود الحرانى ، وإسماعيل القاضى ، وأبو مسلم الكَجّى وعلى بن غالب البتلهى ، وأبو خليفة الفضل بن الحباب ، ومحمد بن جعفر بن الإمام بدمياط ، وأبو يعلى الموصلى ، ومحمد ابن محمد الباغندى وأبو القاسم البغوى ، وعبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب خاتمة من روى عنه [(٢)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٣) .

٧ - مصنفاته رحمه الله

قال إكرام الله : يتبين أن معظم مؤلفات على بن المدينى لا تزال فى عداد المفقودات كما هو الشأن فى كثير من تراثنا العلمى القديم ، والموجود من مؤلفاته قليل جداً بالنسبة للمفقود[(١)] .

فمن مؤلفاته :

١ - علل الحديث ومعرفة الرجال .

٢- تسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ .

٣ - سؤالات ابن المدينى ليحيى بن سعيد القطان .

٤ - أبواب السجدة .

٥ - اختلاف الحديث .

٦ - الأخوة والأخوات .

٧ - أسباب النزول .

٨ - الأسماء والكنى .

٩ - الأسامى الشاذة .

١٠ - التاريخ .

---

(١) الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال (٢٦٤) .

٨ - وفاته رحمه الله

اختلف المترجمون للإمام على بن المدينى رحمه الله فى تاريخ وفاته والراجح فيه قول البخارى رحمه الله وأنه يوم الإثنين ليومين بقيا من شهر ذى القعدة سنة أربع وثلاثين بعد المائتين وكذا فى الطبقات الكبرى لابن سعد .

وهو الذى يتفق مع ماذكروا فى مبلغ سِنِّه ؛ فقد قالوا إنه توفى وله ثلاث وسبعون سنة .

وكانت وفاته رحمه الله بالعسكر بمدينة سُرَّ مَنْ رأى .

رحم الله أبا الحسن رحمة واسعة ، وأنزله منازل المقربين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

من أعــلام السلـف

٣٢

إسحـــاق بــن راهـويـــة
(إسحاق بن إبراهيم الحنظلى)
رحمـه اللـه

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَدَ بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن وارث بن عبيد الله بن عطية بن مُرَّة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمى ، ثم الحنظلى المروزى (١) .

قال ابن خلكات : « وَراهْوَيْهِ : لقب أبيه أبى الحسن إبراهيم ؛ وإنما لقب بذلك لأنه ولد فى طريق مكة ، والطريق بالفارسية « راه » ، و « وية » معناه وجُدَ ، فكأنه وجد فى الطريق ، وقيل فيه أيضاً : « راهُوية » .

وقال إسحاق المذكور : قال لى عبد الله بن طاهر أمير خرسان : لم قيل لك ابن راهوية ؟ وما معنى هذا ؟ وهل تكره أن يقال هذا ؟ قلت : أعلم أيها الأمير أن أبى ولد فى الطريق ، فقالت المراوزة : « راهوية » ؛ لأنه ولد فى الطريق ، وكان أبى يكره هذا ، وأما أنا فلست أكره هذا (٢) .

مولده : قال الذهبى : مولده فى سنة إحدى وستين ومائة (٣) .

صفته : قال على بن إسحاق بن راهوية : ولد أبى من بطن أمه مثقوب الأذنين ، فمضى جدى راهوية إلى الفضل بين موسى فسأله عن ذلك فقال : يكون إبنك رأساً ، إماٌ فى الخير ، وإما فى الشر (٤) .

وقال أبو يحيى الشعرانى : إن إسحاق كان يخضب بالحنّا (٥) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩) .
(٢) وفيات الأعيان ١ ، ١ / ٢٠٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٥٩) .
(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى (٢ / ٨٤) .
(٥) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى (٢ / ٨٨) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال المزِّى : أحدُ أئمة المسلمين ، وعلماء الدين ، اجتمع له الحديث ، والفقه ، والحفظ والصدق والورع ، والزهد ، ورحل إلى العراق ، والحجاز واليمن ، والشام ، وعاد إلى خرسان ، فاستوطن نيسابور ، إلى أن مات بها ، وانتشر علمه عند أهلها [(١)].

وعن أبى داود الخفاف قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يعبر الجسر مثل إسحاق [(٢)].

وقال نعيم بن حماد : إذا رأيت الخرسانى يتكلم فى إسحاق بن رهوايه فاتهمه فى دينه .

قال السبكى : إنما قيد الكلام بالخرسانى لأنه أهل إقليم المرء هم الذين بحيث لو كان فيه كلام لتكلموا فيه ، فكأنه يقول : من تكلم فيه من أهل إقليمه فهو متهم بالكذب ، لأنه لا يتكلم بحق لبراءته مما يشينه فى دينه [(٣)].

وقال أبو بكر محمد بن النضر الجارودى : حدثنا شيخنا وكبيرنا ، ومن تعلمنا منه ، وتجملنا به أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رضي الله عنه [(٤)].

وقال الحاكم : هو إمام عصره فى الحفظ والفتوى [(٥)].

وقال أبو إسحاق الشيرازى : جمع بين الحديث والفقه والورع [(٦)].

وعن عبد الله بن محمد الفراء قال : دخلت على يحيى بن يحيى فسألته عن إسحاق فقال : ليوم من إسحاق أحبُّ إلىَّ من عمرى [(٧)].

---

(١) تهذيب الكمال (٢ / ٣٧٣) .
(٢) تاريخ بغداد (٦ / ٣٥٠) .
(٣) طبقات الشافعية (٢ / ٨٥) .
(٤) طبقات الشافعية (٢ / ٨٧) .
(٥) طبقات الشافعية (٢ / ٨٧) .
(٦) طبقات الشافعية (٢ / ٨٧) .
(٧) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٦٨) .

وقال أحمد بن سعيد المرباطى : لو كان الثورى والحمادان فى الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق فى أشياء كثيرة [(١)].

وقال أبو محمد الدرامى : ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه [(٢)].

وقال أبو نعيم الحافظ : كان اسحاق قرينَ أحمد ، وكان للآثار مثيراً ، ولأهل الزيغ مبيراً [(٣)].

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله ، وسئل عن إسحاق بن راهويه ، فقال : مثل إسحاق يسأل عنه ؟! إسحاق عندنا إمام [(٤)].

وعن الإمام أحمد أيضاً قال : لا أعرف لإسحاق فى الدنيا نظيراً [(٥)].

قال الشافعى : ابن راهوية أحد الأئمة ، ثقة مأمون ، سمعت سعيد بن ذؤيب يقول : لا أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق [(٦)].

وقال أبو عبد الله الأخرم : سمعت محمد بن إسحاق بن راهويه يقول : دخلت على أحمد بن حنبل فقال : أنت ابن أبى يعقوب قلت : بلى ، قال : أما إنك لو لزمته كان أكثر لفائدتك ، فإنك لم تر مثله [(٧)].

وقال قتيبة بن سعيد : الحافظ بخرسان : إسحاق بن راهويه ثم عبد الله الدرامى ، ثم محمد بن إسماعيل [(٨)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٢) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٢) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٢) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٢) .
(٧) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٤) .
(٨) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٤) .

٣ - علمه وحفظه رحمه الله

قال محمد بن عبد الوهاب : كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق نعود مريضاً ، فلما حاذينا الباب تأخَّرَ إسحاق ، وقال ليحيى تقدم ، فقال : يحيى لإسحاق بل أنت تقدم ، فقال : يا أبا زكريا أنت أكبر مني ، قال : نعم أنا أكبر منك ، ولكنك أعلم مني ، قال : فتقدم إسحاق (١) .

قال ابن عدى : ركب إسحاق بن راهويه دين فخرج من مرو ، فلكم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحاق ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا :تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعةً وكان عبد الله بن طاهر أمير خرسان ، وكان بنيسابور فقال يحيى : ما كتبت إليه قط فألحُّوا عليه ، فكتب فى رقعة إلى عبد الله بن طاهر : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح ، فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر ، فلما جاء إلى الباب ، قال للحاجب معى رقعه يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فدخل الحاجب فقال له : رجل بالباب زعم أنَّ معه رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير، فقال : يحيى بن يحيى ؟ قال : أدخله ، فدخل إسحاق وناوله الرقعة فأخذها عبد الله وقبلها ، وأقعد إسحاق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيرة من ندمائه .

قال السبكى : انظر ماكان أعظم أهل العلم عند الأمراء وانظر ما أدنى هذه الكلمة وأقصر هذه الرقعة وما ترتب علهيا من الخير ، وماذلك إلا لحسن اعتقاد ذلك الأمير ، وصيانة أهل العلم أيضاً ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم (٢) .

---

(١) طبقات الشافعية (٢ / ٨٧) .
(٢) طبقات الشافعية (٢ / ٨٥) .

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء : رحم الله إسحاق ما كان أفقهه وأعلمه (١) .

وقال على بن حجر : لم يخلف إسحاق يوم فارق الدنيا مثله بخرسان علماً وفقهاً :

بيَّضَ الله وجهه ووقاه فَزَعاً يومَ القَمْطَرِيرِ وهَوْله
وأثابَ الفردوس مَنْ قال آميـ نَ وأعطاهُ يومَ يلقاه سُؤْلَه (٢) .

وعن محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : والله لو أن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى كان فى التابعين لأقروا له بحفظه وفقهه (٣) .

وعن على خُشرُم : حدثنا ابن الفضل عن ابن شُبْرمة عن الشعبى قال : ماكتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا ولا حدثنى رجل بحديث قط إلا حفظته . قال على : فحدثت بهذا إسحاق بن راهوية . فقال : تعجب من هذا ؟ قلت : نعم . قال : ما كنت أسمع شيئاً إلا حفظته ، وكأنى أنظر إلى سبعين ألف حديث - أو قال : أكثر فى كتبى (٤) .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت أبا حاتم الرازى يقول : ذكرت لأبى زرعة حفظ إسحاق بن راهويه فقال : أبو زرعة مَارُئِىَ أحفظ من إسحاق .

ثم قال : أبو حاتم : والعجب من إتقان[illegible] سلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ ، فقلت لأبى حاتم : إنه أَمْلَى [illegible] ر عن ظهر قلبه . قال : وهذا أعجب ؛ فإن ضبط الأحاديث المسندة أ[illegible] هون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها (٥) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٦٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٢) .
(٣) تاريخ بغداد (٦ / ٣٥٠) .
(٤) سير[illegible]م النبلاء (١١ / ٣٧٣) .
(٥) سير[illegible]م النبلاء (١١ / ٣٧٣) .

٤ - خشيته وصدقه رحمه الله

عن محمد بن داود الضَّبي قال : سمعت محمد بن أسلم الطوسى يقول حين مات إسحاق الحنظلى : ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق ، يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٢٨] وكان أعلم الناس ، ولو كان سفيان الثورى فى الحياة لاحتاج إلى إسحاق .

قال محمد بن عبد السلام : أخبرت بذلك أحمد بن سعيد الرباطى فقال : والله لو كان الثورى وابن عيينة والحمادان فى الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق قال محمد : فأخبرت بذلك محمد بن يحيى الصَّفَّار فقال : والله لو كان الحسن البصرى فى الحياة لاحتاج إلى إسحاق فى أشياء كثيرة .

حدثنى على بن أحمد الهاشمى قال : هذا كتاب جدى فقرأت فيه حدثنى محمد بن داود النيسابورى قال : سمعت أبا بكر بن نعيم يقول : سمعت الدارمى يقول : ساد إسحاق بن إبراهيم أهل المشرق والمغرب بصدقه (١) .

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٣٤٩) .

٥ - مناظرة إسحاق للشافعي رحمهما الله

تناظر إسحاق والشافعي رحمهما الله في كراء دور مكة .

فقال الشافعي : قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾ [الحشر : ٨] فنسب الديار إلى مالكها أو إلى غير مالكها ؟ وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة : من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فنسب الديار إلى أربابها ، أم إلى غير أربابها ؟ واشترى عمر بن الخطاب داراً للسجن من مالكٍ أو من غير مالك، وقال النبي ﷺ : « وهل ترك لنا عقيل من دار » .

قال : إسحاق فقلت : الدليل على صحة قولي أن بعض التابعين قال به .

فقال الشافعي لبعض الحاضرين من هذا ؟ فقيل : إسحاق بن إبراهيم الحنظلي . فقال الشافعي : أنت الذي يزعم أهل خرسان أنك فقيههم قال إسحاق : هكذا يزعمون . فقال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك فكنت آمر بعرك أذنيه .

أقول : قال رسول الله ﷺ وأنت تقول : قال عطاء وطاووس والحسن وإبراهيم ، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة .

فقال إسحاق : اقرأ : ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [الحج – ٢٥] .

فقال الشافعي : هذا في المسجد خاصة .

في رواية قال إسحاق : لما عرفت أني أفحمت قمت [١] .

وعن زكريا الساجي قال : حدثني جماعة من أصحابنا : أن إسحاق بن

---

(١) باختصار من طبقات الشافعية (٢ / ٨٩ – ٩٠) .

راهويه ناظر الشافعي وأحمد بن حنبل حاضر في جلوء الميته إذا دبغت فقال الشافعي : دباغها طهورها .

فقال إسحاق : ما الدليل ؟

فقال الشافعي : حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة أن النبي ﷺ مر بشاه ميتة فقال : « هلا انتفعتم بجلدها » .

فقال إسحاق : حديث ابن عُكيم كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل موته بشهر : « لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب » أشبه أن يكون ناسخاً لحديث ميمونة لأنه قبل موته بشهر .

فقال الشافعي : هذا كتاب وذاك سماع .

فقال إسحاق : إن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر وكان حُجةً عليهم عند الله .

فسكت الشافعي : فلما سمع ذلك أحمد بن حنبل ذهب إلى حديث ابن عكيم وأفتى به ورجع إسحاق إلى حديث الشافعي فأفتى بحديث ميمونة [(١)].

(١) طبقات الشافعية باختصار (٢ / ٩١ – ٩٢) .

٦ - إتباعهُ للسنَّة

عن وهب بن جرير قال : جزى الله إسحاق بن راهوية ، وصدقه بن الفضل ، ومَعْمَر عن الإسلام خيراً ، أحيوا السُّنّة بالمشرق [(١)] .

قال حرب الكرمانى : قلت لإسحاق : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] كيف تقول فيه ؟ قال : حيثما كنت ، فهو أقرب إليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه ، وأبين شئ فى ذلك قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [(٢)] [طه : ٥] .

وقال سليمان بن داود الخفاف قال إسحاق بن راهوية : إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى ويعلم كُلَّ شئٍ فى أسفل الأرض السابعة [(٣)] .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت إسحاق الحنظلى يقول : ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وكيف يكون شئ خرج من الرب عز وجل مخلوقاً [(٤)] .

وورد عن إسحاق أن بعض المتكلمين قال له كفرتُ برب ينزل من السماء إلى سماء . فقال : آمنت برب يفعل ما يشاء [(٥)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٦٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٦) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٦) .

٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الخطيب : سمع جرير بن عبد الحميد الرازى ، وإسماعيل ابن علية ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وأبا معاوية ، وأبا أسامة ، ويحيى بن آدم ، وبقية بن الوليد ، وعبد الرزاق بن همام ، والنضر بن شُمَيل ، وعبد العزيز الداروردى ، وعيسى بن يونس ، وعبدة بن سيلمان ، وأبا بكر بن عياش ، وعبد الوهاب الثقفى ، ومعتمر بن سليمان ، ومحمد بن بكر البرسانى ، وعبد الله بن وهب ، ومحمد بن سلمة الحرانى ، وسويد بن عبد العزيز ، ومعاذ بن هشام ، والوليد بن مسلم ، وورد بغداد غير مرة وجالس حفاظ أهلها وذاكرهم ، وعاد إلى خرسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفى بها وانتشر علمه عند الخرسانيين [(١)] .

تلامذته :

قال الذهبى قال الحاكم أصحاب إسحاق عندنا على ثلاث طبقات فالأولى : محمد بن يحيى وإبراهيم بن عبد الله السعدى ، ومحمد بن عبد الوهاب العبدى ، وأحمد بن يوسف السلمى ، وإسحاق بن إبراهيم العفصى ، وعلى بن الحسن الدّارْ بجردى ، وحامد ابن أبى حامد المقرئ ، وخشنام بن الصديق ، وعبد الله بن محمد الفراء ، ويحيى بن الذهلى .

الطبقة الثانية : مسلم بن الحجاج وسرد جماعة .

الطبقة الثالثة : خاتمتهم أبو العباس السَّرَّاج [(٢)] .

---

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٠) .

وقال الخطيب : وروى عنه محمد بن إسماعيل البخارى ، وإسحاق بن منصور الكوسج ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، ومحمد بن نصر المروزى ، وأبو عيسى الترمذى وأحمد بن سلمة وخلق يطول ذكرهم ، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم ، وبقية بن الوليد ومن أقرانه : أحمد بن حنبل أو لم أر فى أحاديث البغداديين شيئاً استدل به على أنه حدث ببغداد إلا أن يكون على سبيل المذاكرة ، والله أعلم [١].

---

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٣٤٦) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال الدولابى : قال محمد بن إسحاق بن راهويه : ولد أبى فى سنة ثلاث وستين ومائة وتوفى ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومئتين . قال : وفيه يقول الشاعر :

يا هَـدَّةً ما هُدِدْنـا ليلـة الأحـــد   فى نصف شعبان لا تنسى بد الأُبد[1]

وقال أبو عبد الله البخارى : توفى ليلة نصف شعبان وله سبع وسبعون سنة ثم قال الخطيب عقيب هذا : فهذا يدل على أن مولده فى سنة إحدى وستين ومائة[2] .

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٦) .

من أعلام السلف

٣٣

إمام أهل السُّنَّة
أحمد بن حنبل

بين يدي الترجمة:

هذه السلسلة المباركة «من أعلام السلف» المقصود بها تربية جيل الصحوة المباركة على أخلاق العلماء الأعلام ، والأئمة الكرام . حيث يصحب القارئ الكريم في كل ترجمة علماً من هؤلاء الأعلام ، يرى زهده وورعه ،وأخلاقه ونزاهته ، وصبره على دين الله، وبذله لإعزازه ، فصارت لهم بذلك اليد البيضاء على الأمة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ،وتاريخ الإسلام غنى زاخر بهذه الأمثلة الرائعة ، والقمم الشامخة ، نسأل الله أن يميتنا على حبهم وأن يحشرنا فى جمعهم .

والعلم الذى نرفعه اليوم والإمام الذى نتشرف بترجمته كما قال بعض العلماء : كاد أن يكون إماماً فى بطن أمه ، إنه الذى أخبر عنه الشافعى رحمه الله فقال : رأيت شاباً ببغداد إذا قال حدثنا، قال الناس : صدق .إنه الإمام الذى دخل الكير فخرج ذهباً أحمر وعرضت عليه الدنيا فأباها ، والبدعة فنفاها .

قال بعضهم : لولا أحمد بن حنبل لصار النّاس كلهم معتزلة . قيل لبشر الحافى لماذا لم تخرج فتقول كما قال أحمد بن حنبل ؟ فقال : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء . إنه العالم العابد الفقيه الزاهد الصابر فى المحنة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، وما أحوج الطلاب والعلماء والدعاة إلى معرفة أخباره ، فى أزمنة أطلت فيها رؤوس الفتن ، وكثرت فيها الإحن والمحن ، وظهر فيها العلمانيون والمنافقون يريدون أن ينالوا من الإسلام وأهله ، فلا يكفى من يرجو الله واليوم الآخر أن يجتهد فى العبادة وطلب العلم النافع حتى يضم إلى ذلك البذل لإعزاز الدين ، والجهر بكلمة الحق حتى تعلو راية المسلمين .

فقد تعرض الإمام للفتنة من أربعة من الخلفاء ، وهم : المأمون ، والمعتصم ، والواثق ،والمتوكل، وقد كانت الأمة قبل ذلك ترتفع فيها راية السنة إلى عهد الخليفة هارون الرشيد رحمه الله ، فكان أهل البدع يستخفون ببدعتهم، ولا يجهرون بباطلهم حتى مال المأمون بن هارون الرشيد إلى مقالة المعتزلة ، وحاول أن يجبر العلماء والقضاة على القول بمذهبه الردىء ، فأجابه أكثرهم تقية ، وقتل من قتل في المحنة ، ووقف الإمام أحمد موقفاً لا يستطيعه إلا نبي ،وقف كأنه جبل شامخ تكسرت عليه المحن ،وانهزمت على قدميه الفتن ، ولماهلك المأمون تبعه المعتصم فجلد الإمام ،وحبسه ثمانية وعشرين شهراً على أن يلين ، وكانت له من المنزلة والمكانة في قلوب المسلمين ما إن مال عن الحق زل بزلته عالم لايحصون كثره ، وهيء الله عز وجل له أسباب الثبات فقال له بعضهم : ما عليك أن تموت ههنا فتدخل الجنة. وقال بعضهم : إن عشت عشت حميداً ، وإن متّ مت شهيداً . فثبت على الحق حتى هلك المعتصم، ومن بعده الواثق ، ثم أشرقت عليه خلافة المتوكل، وكان من أهل السنة فرفعت أعلام السنة ،ونكست أعلام البدعة ، وأهلك الله عز وجل كل من شارك في المحنة ، ولكن الإمام لم يسلم في زمن المتوكل من الفتنة ولكنها فتنة من نوع جديد ، إنها فتنة الدنيا فتنة المال والجاه والدخول على السلطان ، فقد حاول المتوكل أن يغدق على الإمام الأموال ، ولكن إمامنا وعالمنا لم ترهبه السياط والتعذيب ، ولم يجذبه بريق المال والسلطان فقال: أسلم من هؤلاء ستين سنة ثم ابتلي بهم ، فما قبل من ذلك شيئاً ، وعاش بقية عمره زاهداً في الدنيا راغبا في الآخرة ، فازداد ارتفاعاً في قلوب الخلق ، وكان له أكبر الأثر في علماء عصره ومن بعد عصره ، فنشأت مدرسة هي مدرسة الحنابلة مدرسة إمامها أحمد بن حنبل ، فلله دره وعلى الله تعالى أجره ، ونحن في ذيل الزمان نسمع أخباره

فتمتلأ قلوبنا روعة ومحبة له فكيف بمن عاصره ، وشاهد علمه ، وزهده ،وصبره ،وليس الخبر كالعيان ، وقبل أن نضع القلم فى التقديم لهذا العلم ، نسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه الكلمات من قرأها ، وأن يقربنا بها من هؤلاء الأعلام وأن يفتح علينا وعلى المسلمين كما فتح عليهم فى الدين ، وأن يرزقنا برها، وذخرها يوم العرض على رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله الطيبين وأصحابه الغر الميامين ، والحمد لله رب العالمين.

١ - اسمه ومولده وصفته

هو : الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ابن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبه بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن قصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان.

وهذا النسب فيه منقبة عظيمة ورتبة جليلة من وجهين :

أحدهما: حيث يلاقي فيه نسب رسول الله ﷺ في نزار لأن نزاراً كان له أربعة أولادمنهم مضر ونبينا ﷺ من ولده،ومنهم ربيعة وإمامنا أبو عبد الله أحمد من ولده .

والوجه الثاني: أنه عربي صحيح النسب.

حملت به أمه بمرو ، وقدمت بغداد وهي حامل به فولدته في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائه ، وكان أبوه محمد والى سرخس ،وكان من أبناء الدعوة العباسية ، توفى وله ثلاثون سنة ، وكانت وفاته فى سنة تسع وسبعين ومائة [١] .

صفته رحمه الله :

قال ابن ذريح العكبرى : طلبت أحمد بن حنبل فسلمت عليه وكان شيخنا مخضوباً طوالاً أسمر شديد السمرة .

---

(١) باختصار من المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد لأبى اليمن مجيد الدين محمد بن عبد الرحمن العليمى (١ / ٧) تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

وعن محمد بن عباس النحوى قال : رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ، ربعة،يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقانى ، في لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً بيضاً ، ورأيته معتماً وعليه إزار (١) .

وقال الميمونى : ما أعلم أنى رأيت أحداً أنظف ثوباً ، ولا أشد تعاهدا لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وبدنه ، ولا أنقى ثوبا من أحمد بن حنبل (٢) .

(١) تهذيب الكمال للحافظ المزى (١ / ٤٤٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبى (١١ / ١٨٤) ، مؤسسة الرسالة) .
(٢) المنهج الأحمد (١ / ٢٤) .

٢ - ابتدآء طلبه للعلم ورحلاته - رحمه الله -

قال أبو نعيم : قال أبو الفضل : قال أبي طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة وأول سماعي ابن هشيم سنة تسع وسبعين وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة وهي آخر قدمة قدمها فذهبت إلى مجلسه فقالوا خرج إلى طرسوس وتوفى سنة أحدى وثمانين [(١)] .

وقال العليمي ما ملخصه :

وكانت لوائح النجابة تظهر منه زمن الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً وعلمه به متوافراً وربما كان يريد البكور في الحديث فتأخذ أمه بثيابه فتقول : حتى يؤذن الناس، أو حتى يصبحوا، وسافر في طلب العلم أسفاراً كثيرة إلى البلاد، الكوفة ، والبصرة ، والحجاز ، ومكة والمدينة ، واليمن والشام، والثغور ،والسواحل والمغرب والجزائر والفراتين جميعاً وأرض فارس وبلد خراسان والجبال والأطراف وغيرذلك .

ثم رجع إلى بغداد وساد أهل عصره، ونصر الله به دينه وصار أحد الأعلام من أئمة الإسلام .

طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة ، وخرج إلى الكوفة سنة مات هشيم ، سنة ثلاث وثمانين ومائة ،وهو أول سفر ، وخرج إلى البصرة سنة ست وثمانين ،وخرج إلى سفيان بن عيينة إلى مكة سنة سبع وثمانين ، وقد مات الفضيل بن عياض وهي أول سنة حج فيها ، وخرج إلى عبد الرزاق بصنعاء اليمن سنة سبع وتسعين ، ورافق يحيى بن معين .

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (١٦٣/٩) مطبعة السعادة .

قال يحيى : فلما خرجنا إلى عبد الرزاق إلى اليمن حججنا فبينا أنا بالطواف إذا بعبد الرزاق في الطواف ،فسلمت عليه وقلت له : هذا أحمد بن حنبل . فقال: حياه الله ، وثبته فإنه بلغني عنه كل جميل.

فقلت لأحمد : قد قرب الله خطانا ووفر علينا النفقة وأراحنا من مسيرة شهر .

فقال : إني نويت ببغداد أن أسمع عنه بصنعاء ، والله لا غيرت نيتي فخرجنا إلى صنعاء فنفدت نفقته ، فعرض علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة ، فلم يقبلها ، فقال : على وجه القرض ، فأبى وعرضنا عليه نفقاتنا فلم يقبل فاطلعنا عليه وإذا هو به يعمل التك (١) ويفطر على ثمنها، واحتاج مرة فأكرى نفسه للجمالين ، وحج خمس حجات، ثلاث حجج ماشيًا ،واثنتين راكباً ، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً .

وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه ، ولم يزل يصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر ، وكان الشافعي يجله ويثني عليه ثناء حسناً .

قال حرملة :سمعت الشافعي رضي الله عنه (٢) يقول : عند قدومه إلى مصر من العراق : ماخلفت بالعراق أحداً يشبه أحمد بن حنبل (٣) .

وقال أحمد الدورقي : لما قدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق رأيت به شحوباً بمكة ،وقد تبين عليه النصب والتعب ، فكلمته فقال : هين فيما استفدناه من عبد الرزاق (٤) .

---

(١) كذا ولم يصرح بمعناه .
(٢) الأولى تخصيص الترضي بالصحابة الكرام ، والترحم على العلماء .
(٣) باختصار من المنهج الأحمد (١ / ٧ ، ٨ ، ٩) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ ، ٢١٥) .

٣ - ثناء العلماء عليه رحمه الله

وهذا بحر لا يدرك قعره ، فلو تتبعنا أقوال العلماء فى المدح والثناء لطال الفصل جداً ، فنكتفى بإشارات ،والله يغفر لنا تقصيرنا، فى حقه .

روى الخطيب بسنده عن على بن المدينى قال : إنا الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث ،أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة (١) .

وقال الحسين بن محمد بن حاتم المعروف بعبيد العجل عن مهنا بن يحيى الشامى : مارأيت أحداً أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل ، ولقد رأيت سفيان بن عيينة ، ووكيع ،وعبد الرزاق ، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة ، وكثيراً من العلماء فما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، فى علمه وفقهه وزهده وورعه (٢) .

وقال أبو يَعْلَى الموصلى : سمعت أحمد بن إبراهيم الدورقى يقول: من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام (٣) .

وقال أبوجعفر محمد بن بدينا الموصلى : أنشدنى ابن أعين فى أحمد ابن حنبل :

أَضْحَى ابنُ حنبلَ محنةً مأمونةً ... وبحُبِّ أحمدَ يُعرَفُ المتنسِّكُ
وإذاَ رأيتَ لأحمدَ متنقصاً ... فاعلمْ بأنَّ ستورهُ ستُهتَكُ

---

(١) تاريخ بغداد (٤ / ٤١٨) .
(٢) أبو نعيم فى الحلية (٩ / ١٦٥) ، والمزى فى تهذيب الكمال (١ / ٤٥٣ - ٤٥٤) .
(٣) تاريخ بغداد (٤ / ٤٢٠) وذكره المزى فى تهذيب الكمال (١ / ٤٥٧) .

وروى أبونعيم بسنده عن سعيد بن الخليل الخزاز: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آية (١).

وقال المزني : قال لى الشافعي : رأيت ببغداد شاباً إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم :صدق. قلت: ومن هو؟ قال:أحمد بن حنبل (٢).

وقال عبد الله بن أحمد : قال أصحاب بشر الحافي له حين ضرب أبي : لو أنك خرجت فقلت : إني على قول أحمد فقال : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء (٣).

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة : سمعت محمد بن سحتويه سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي وذكر أحمد بن حنبل فقال رحمه الله: « عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه ، وبالصالحين ما كان ألحقه ، عرضت له الدنيا فأباها ،والبدع فنفاها » (٤).

وقال أبوداود : كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة ، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا. (٥).

وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن سعيد الدارمي قال : ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبد الله أحمد بن حنبل (٦).

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ١٦٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ١٩٥) .
(٣) السابق (١١ / ١٩٧) .
(٤) السابق (١١ / ١٩٨) .
(٥) السابق (١١ / ١٩٩) .
(٦) تاريخ بغداد (٤ / ٤١٩) .

وروى بسنده أيضًا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:سمعت أبا زرعة الرازى يقول : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث : فقيل له وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب [(١)].

وروى أبونعيم بسنده عن خلف بن سالم قال : كنا فى مجلس يزيد ابن هارون فمزح يزيد مع مستميلة ، فتنحنح أحمد بن حنبل .فقال يزيد : من المتنحنح فقيل له : أحمد بن حنبل فضرب بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتمونى أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح [(٢)].

ورى الخطيب بسنده عن محمد بن الحسين الأنماطى قال: كنا فى مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وجماعة من كبار العلماء ،فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ويذكرون فضائله ،فقال رجل : لا تكثروا بعض هذا القول .فقال يحيى بن معين : وكثرة الثناء على أحمد ابن حنبل يستنكر ؟ لو جلسنا بالثناء عليه ماذكرنا فضائله بكمالها [(٣)].

---

(١) السابق : (٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠) .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ١٦٩)
(٣) تاريخ بغداد (٤ / ٤٢١) .

٤ - زهده رحمه الله

قال صالح بن أحمد بن حنبل : كان كثيراً ما يأتدم بالخل ، وربمارأيته يأكل الكسر فينفض الغبار عنها ، ثم يصيرها فى قصعة ، ويصب عليها الماء، حتى تلين ، ثم يأكله بالملح ، وما رأيته قط اشترى رماناً ، ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة ، إلا أن يشترى بطيخة فيأكلها بالخبز، أو عنباً أو تمراً ، فأما غير ذلك فمارأيته ،وما اشتراه ، وكان ربما اشترينا الشيء ، فنستره عنه حتى لا يراه فيوبخنا على ذلك[(١)] .

قال صالح : ودخل يوماً إلى منزلى ، وقد غيرنا سقفا لنا، فدعانى ثم أملى عَلَىَّ حديث الأحنف بن قيس قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال: حدثنا حماد بن سلمة ، عن يونس عن الحسن قال: قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غير أسقف بيته حمر وشقاشق وخضروها ، فقالوا له : أما ترى إلى سقف بيتك ؟ فقال : معذرة إليكم، إنى لم أره .لا أدخله حتى تغيروه[(٢)] .

وعن موسى بن حماد البربرى قال : حمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار ، وقال: يا أبا عبد الله هذه من ميراث حلال ، فخذها فاستعن بها على عائلتك . قال : لا حاجة لى فيها أنا فى كفاية ، فردها ولم يقبل منه شيئاً[(٣)] .

---

(١) سيرة الإمام أحمد لأبى الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (٤١) تحقيق فؤاد عبد المنعم ط . دار الدعوة ، وذكره العليمى فى المنهج الأحمد (١ / ١١) .
(٢) السابق (٤٢) .
(٣) المنهج الأحمد (١ / ١١) وذكره أبو نعيم مسنداً (٩ / ١٧٥) .

وقال إسحاق بن هانئ : بكرت يوماً لأعارض أحمد بالزهد فبسطت له حصيراً ومخدَّة فنظر إلى الحصير والمخدة فقال : ما هذا ؟ قلت : لتجلس عليه ، فقال : ارفعه الزهد لا يحسن إلا بالزهد ، فرفعته وجلس على التراب (١) .

وروى أبو نعيم بسنده عن صالح بن أحمد قال: دخلت على أبى فى أيام الواثق- والله يعلم فى أى حالة نحن – وقد خرج لصلاة العصر ، وقد كان له لبد يجلس عليها قد أتت عليه سنون كثيرة ، حتى قد بلى ، فإذا تحته كتاب كاغد ، وإذا فيه بلغنى يا أبا عبد الله ، ما أنت فيه من الضيق ، وما عليك من الدين ، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدى فلان لتقضى دينك وتوسع بها على عيالك ، وما هى من صدقة ولا زكاة ، وإنما هو شىء ورثته من أبى ، فقرأت الكتاب ، ووضعته فلما دخل قلت : يا أبت ما هذا الكتاب ؟ فاحمر وجهه ، وقال: رفعته منكَ . ثم قال : تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل : وصل كتابك إلىَّ ، ونحن فى عافية ، فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا ، وأما عيالنا فَهُمْ فى نعمة والحمد لله . فذهب بالكتاب إلى الرجل الذى كان أوصل كتاب الرجل فقال : ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشىء ورمى به فى شبكة مثلا فى الدجلة كان مأجوراً ، لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فردَّ عليه الجواب بمثل ماردَّ ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال:لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت (٢) .

وعن عبد الله بن أحمد بن حفصة قال: نزلنا بمكة داراً وكان فيها

---

(١) السابق (١١ / ١٢٠) وقوله : « لأعارض أحمد بالزهد » أى يقرأ عليه كتابه « الزهد » .
(٢) أبو نعيم فى الحلية (٩ / ١٧٨) .

شيخ يكنى بأبو بكر بن سماعة وكان من أهل مكة قال: نزل علينا أبو عبد الله في هذه الدار وأنا غلام . فقال: فقالت لي أمي الزم هذا الرجل فاخدمه فإنه رجل صالح . فكنت أخدمه وكان يخرج يطلب الحديث ، فَسُرِق متاعه ، وقماشه ، فجاء فقالت له أمي : دخل عليك السُّرَّاق فسرقوا قماشك ، فقال: ما فعلت بالألواح ؟ فقالت له أمي : في الطاق ، وما سأل عن شيء غيرها (١) .

وعن الرمادي قال: سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد فدمعت عينه وقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت ، فأخذت عشرة دنانير وعرضناها عليه فتبسم وقال : يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك ، ولم يقبل مني شيئاً (٢) .

ونختم بقول العليمي : أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها، وعرضت عليه الأموال وفوضت إليه أحوال ، وهو يرد ذلك بتعفف وتعلل ، وتقلل ، ويقول: قليل الدنيا يجزى وكثيرها لا يجزى ويقول : أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء. ويقول : إنما هو طعام دون طعام ،ولباس دون لباس ، وأيام قلائل (٣) .

---

(١) أبو نعيم في الحلية (٩ / ١٧٩ ، ١٨٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٢٩) .
(٣) المنهج الأحمد (١ / ١١) .

٥ - ورعه رحمه الله

قال قتيبة بن سعيد : لولا أحمد لمات الورع [١].

قال العليمي : فمن بعض ورعه أنه كان لأم ولده عبد الله داراً يأخذ منها أحمد درهما بحق ميراثه ، فاحتاجت إلى نفقة تصلح بها فأصلحها ابنه عبد الله ، فترك الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه أخذ الدرهم الذي كان يأخذه ، وقال: قد أفسده علي ، تورع عن أخذ حقه من الأجرة خشية أن يكون ابنه أنفق على الدار مما يصل إليه من الخليفة ،ونهى ولديه وعمه عن أخذ العطاء من مال الخليفة ، فاعتذروا بالحاجة فهجرهم شهراً لأخذ العطاء، ووصف له في علته قرعة تشوى ويؤخذ ماؤها ، فلما جاءوا بالقرعة قال بعض من حضر : اجعلوها في تنور صالح . فإنهم قد خبزوا . فقال بيده : لا وأبى أن يوجه بها إلى منزل صالح ومثل هذا كثير .

وأجرى عليه المتوكل وعلى ولده وأهله أربعة آلاف درهم في كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله إنهم عن كفاية ، فبعث إليه المتوكل إنما هذا لولدك مالك ولهذا . فقال أحمد : يا عم ما بقي من أعمارنا ؟ كأنك بالأمر وقد نزل بنا ، فالله الله ، فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا، وإنا هي أيام قلائل ، ولو كشف للعبد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر ، صبر قليل ، وثواب طويل إنما هذه فتنة [٢].

وقال صالح : كان أبي إذا دعا له رجل قال: ليس يحرز الرجل المؤمن إلا حفرته. الأعمال بخواتيمها . وقال أبي في مرضه : أخرج كتاب

---

(١) أبو نعيم (٩ / ١٦٨) .
(٢) باختصار من المنهج الأحمد (١ / ١٢ ، ١٣) .

عبد الله بن إدريس فقال: اقرأ عليّ حديث ليث : إن طاووسًا كان يكره الأنين في المرض ، فماسمعت لأبي أنيناً حتى مات .

وعن أحمد بن محمد التستري قال: ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ماطعم فيها فبعث إلى صديق له فاقترض منه دقيقًا فجهزوه بسرعة فقال: كيف ذا ؟ قالوا : تنور صالح مسجر فخبزنا فيه فقال : ارفعوا وأمر بسد باب بينه وبين صالح . قال الذهبي لكونه أخذ جائزة المتوكل [١] .

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢١٤) .

٦ - آدابه وأخلاقه

قال الخلال : حدثنا محمد بن الحسين أن أبا بكر المروذى حدثهم عن آداب أبى عبد الله قال: كان أبو عبد الله لا يجهل وإن جهل عليه حلم ، واحتمل، ويقول : يكفى الله ولم يكن بالحقود ، ولا العجول ، كثير التواضع ، حسن الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ ، يحب فى الله ويبغض فى الله ، وإذا كان فى أمر من الدين اشتد له غضبه ، وكان يحتمل الأذى من الجيران (١).

وعن أبى داود السجستانى قال: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض فى شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا ،فإذا ذكر العلم تكلم.

وقال : مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، مارأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط (٢).

وعن أبى الحسين بن المنادى قال: سمعت جدى يقول : كان أحمد من خيار الناس ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير الإطراق والغض ، معرضاً عن القبيح ، واللغو ، لايسمع منه إلا المذاكرة بالحديث ، وذكر الصالحين والزهاد ، عن وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه إنسان بشر به وأقبل عليه ، وكان يتواضع للشيوخ تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم يفعله بغيره من التواضع والتبجيل ، وكان يحيى أكبر منه بنحو من سبع سنين ، وكان إذا دخل من المسجد إلى البيت يضرب برجله قبل أن يدخل

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٢١)
(٢) المنهج الأحمد (١ / ٢٧)

الدار ، حتى يسمع ضرب نعله لدخوله الدار ،وربما تنحنح ليعلم من في الدار بدخوله .(١)

وروى أبو نعيم بسنده عن العباس بن محمد الدوري قال : حدثني علي بن أبي مرارة – جار لنا– قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة فقالت لي يوماً اذهب إلى أحمد بن حنبل فاسأله أن يدعو الله لي : فسرت إليه فدققت عليه الباب وهو في دهليزه فلم يفتح لي . وقال: من هذا؟ فقلت: أنا من أهل ذاك الجانب . سألتني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفًا ، فخرجت امرأة عجوز من داره فقالت : أنت الذي كلمت أبي عبد الله ؟ قلت : نعم . قال: قد تركته يدعو الله لها، قال: فجئت من فوري إلى البيت فدققت الباب فخرجت أمي على رجليها تمشي حتى فتحت الباب فقالت : قد وهب الله لي العافية (٢) .

وعن الحسين بن إسماعيل قال: سمعت أبي يقول : كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء على خمسة آلاف أويزيدون ، أقل من خمسمائة يكتبون ، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب ، وحسن السمت (٣) .

وعن أبي بكر المطوعي قال : اختلفتُ إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل اثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولادة فما كتبت منه حديثًا واحداً، وإنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه (٤) .

---

(١) السابق (١ / ٢٧) وذكره الذهبي في السير (١١ / ٣١٨) بنحوه .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ١٨٦ ، ١٨٧) .
(٣) المنهج الأحمد (١ / ٢٦) .
(٤) السابق (١ / ٢٧) .

٧ - تمسكه بالسنن

قال أبو نعيم : وكان الإمام أحمد بن حنبل موضعه من الإمامة موضع الدعامة ، لقدوته بالآثار وملازمته للأخيار ، لا يرى له عن الآثار معدلاً ، ولا يرى للرأى معقلاً ، كان فى حفظ الآثار الجبل العظيم ، وفى العلل والتعليل البحر العميم [(١)].

وعن عبد الملك الميمونى قال: مارأت عينى أفضل من أحمد بن حنبل ،وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ إذا صحت عنه ، ولا أشد اتباعاً منه.

وقال الإمام أحمد رضى الله عنه : ما كتبت حديثًا عن النبى ﷺ إلا وقد عملت به ، حتى مر بى فى الحديث أن النبى ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً . فأعطيت الحجام ديناراً ، وتسرى واختفى ثلاثًا [(٢)].

وقال عبد الله بن أحمد: ما رأيت أبى حدث من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث وسمعت أبى يقول : قال الشافعى : يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأخبرونى حتى نرجع إليه ، أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح فأعلمنى حتى أذهب إليه ،كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً .

قال الذهبى: لم يَحْتَجْ إلى أن يقول حجازياً ، فإنه كان بصيراً بحديث الحجاز ،ولا قال مصرياً ، فإن غيرهما كان أقعد بحديث مصر منهما [(٣)].

---

(١) حلية الأولياء (٩ / ٢٢١) .

(٢) المنهج الأحمد (١ / ٢٤) والحديث رواه مالك فى الموطأ (٢ / ٩٧٤) الاستئذان والبخارى (٣٨٠/٤) البيوع ، ومسلم (١٠ / ٢٤٢) المساقاة ، والدارمى (٢ / ٢٧٢) ، وأحمد (١٠٠/٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢) وليس فى هذه المواضع أنه أعطاه ديناراً وفى بعضها أنه أعطاه صاعاً من تمر وفى بعضها من شعير ، فلعل للحديث روايات أخرى لم أقف عليها .

(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢١٣ / ٢١٤) .

٨ - محنته رحمه الله

مضت سنة الله عز وجل فى عباده أنه يمتحنهم حتى يظهر بالإمتحان صدق الصادقين وكذب الكذابين قال الله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت :٢، ٣] وسئل النبى ﷺ عن أشد الناس بلاء فقال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »(١). وقد سئل الإمام الشافعى : هل الأفضل أن يمكن العبد أو يبتلى فقال : لا يمكن حتى يبتلى . وما تعرض له إمامنا وإمام الدنيا أحمد بن حنبل رحمه الله يدل على مكانته في الإيمان ، وعلو شأنه عند الملك الديان قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤] . قال بعض السلف: لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسا ، فبالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين . وقد أخذ الله عز وجل على أهل العلم الميثاق على أن يبينوا للناس الحق ، ولا يكتمونه.

وقال النبى ﷺ : « أفضلُ الجهادِ كلمة عدلٍ عند سلطانٍ جائر»(٢).

قال العلماء: وإنما كان ذلك أفضل الجهاد ، لأن الجهاد تعريض للنفس للتلف ،وكلمة العدل عند السلطان الجائر يغلب على الظن تلفها.

---

(١) رواه الترمذى (٩ / ٢٤٣) الزهد وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤٠٢٣) وقال الألبانى : حسن صحيح .

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٢) الفتن والترمذى (٩ / ٢٠) الفتن وله شاهد عند النسائي (١٦١/٧) هو به حسن .

فالواجب على العلماء والدعاة إلى الله عز وجل الجهر بكلمة الحق غير هائبين ولا وجلين .

قال الذهبي- رحمه الله- : الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوى بلا إخلاص يخذل ، فمن قام به كاملاً فهو صديق ، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب ،وليس وراء ذلك إيمان فلا قوة إلا بالله (١) .

وقد تداول الإمام أحمد أربعة خلفاء،بعضهم بالتهديد والوعيد ، وبعضهم بالضرب والحبس ،وبعضهم بالنفي والتشريد ، وبعضهم بالترغيب في الرياسة والمال ، ولا يزداد الإمام إلا ثقة وإيماناً ويقيناً ، وهذا شأن الإيمان الصادق قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢]

فالمؤمنون الصادقون يزدادون بالبلاء إيماناً وتسليماً والمنافقون يخافون من لاشيء كما قال تعالى :﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون:٤] .

قال العليمي ما ملخصه:

لما ولي المأمون أبو جعفر بن هارون الرشيد وكانت ولايته في المحرم وقيل في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ، صار إليه قوم من المعتزلة وأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل ، وحسنوا له قبيح القول بخلق القرآن ، فصار إلى مقالتهم وقدر أنه في آخر عمره خرج من بغداد

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٣٤) .

لغزو بلاد الروم فعن له أن يكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب صاحب الشرطة أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، فاستدعى جماعة من العلماء والقضاة وأئمة الحديث ودعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فهدّدهم فأجاب أكثرهم مكرهين ، واستمر الإمام رضى الله عنه على الامتناع واشتد غضبه.

فلما أصرّ الإمام أحمد على الامتناع حمل على بعير ، وسيروه إلى الخليفة .

قال أبو جعفر الأنبارى: لما حمل الإمام أحمد بن حنبل إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات فإذا هو جالس فى الخان فسلمت عليه ،فقال : يا أبا جعفر تعَنَّيْتَ.

فقلت : ليس هذا عناء . وقلت له : يا هذا أنت اليوم رأس الناس ، والناس يقتدون بكم ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق كثير من خلق الله تعالى ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ، ولا بد من الموت ، فاتق الله ولا تجبهم إلى شىء فجعل أحمد يبكى ويقول: ماشاء الله ما شاء الله.

ثم سار أحمد إلى المأمون فبلغه توعد الخليفة له بالقتل إن لم يجبه إلى القول بخلق القرآن ، فتوجه الإمام أحمد بالدعاء إلى الله تعالى أن لا يجمع بينه وبينه فبينا هو فى الطريق قبل وصوله إليه إذ جاءهم الصريخ بموت المأمون.

وكان موته فى شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، فرد الإمام إلى بغداد وحبس ، ثم ولى الخلافة المعتصم - وهو أبو إسحاق محمد بن

هارون الرشيد .

وقدم من بلاد الروم فدخل بغداد فى مستهل شهر رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ،فامتحن الإمام أحمد وضرب بين يديه.

وكان من خبر المحنة أن المعتصم لما قصد إحضار الإمام ازدحم الناس على بابه كيوم العيد وبسط بمجلسه بساطًا ونصب كرسياً جلس عليه ثم قال: أحضروا أحمد بن حنبل ، فأحضروه ، فلما وقف بين يديه سلم عليه فقال له : يا أحمد تكلم ولاتخف فقال الإمام أحمد: والله لقد دخلت عليك وما فى قلبى مثقال حبة من الفزع . فقال له المعتصم : ما تقول في القرآن ؟ فقال: كلام الله قديم ، غير مخلوق . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] .

فقال له: عندك حجة غير هذا ؟ فقال : نعم ، قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [الرحمن: ١ ، ٢] ولم يقل الرحمن خلق القرآن.

وقوله تعالى : ﴿ يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس: ١ ، ٢] ولم يقل : يس، والقرآن المخلوق.فقال المعتصم : احبسوه ، فحبس وتفرق الناس.

فلما كان من الغد جلس المعتصم مجلسه على كرسيه ، وقال : هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس ، وسمعت لهم ضجة ببغداد ، فلما جيء به ، وقف بين يديه والسيوف قد جردت والرماح قد ركزت ، والأتراس قد نصبت ،والسياط قد طرحت . فسأله المعتصم عما يقول فى القرآن : قال : أقول غير مخلوق ، قال : ومن أين قلت؟ فقال : حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :« إن كلام الله الذى استخص به موسى مائة ألف كلمة ، وثلاثمائة وثلاث عشرة

كلمة فكان الكلام من الله والاستماع من موسى » . ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣] . فإن يكن القول من الله تعالى فإن القرآن كلام الله ، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروا بحضرته فى مدة ثلاثة أيام ، وهو يناظرهم ويظهر عليهم بالحجج القاطعة ، ويقول: أنارجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا ، أعطونى شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . حتى أقول به ،وكلما ناظروه وألزموه القول بخلق القرآن يقول لهم : كيف أقول مالم يُقَل ؟ وكان من المعتصبين (١) عليه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وأحمد بن أبى دواد القاضى ، وبشر المريسى ، وكانوا معتزلة قائلين بخلق القرآن فقال ابن أبى دواد وبشر للخليفة : اقتله حتى نستريح منه . هذا كافر مضل فقال : إنى عاهدت الله أن لا أقتله بسيف ولا آمر بقتله بسيف فقالا له: اضربه بالسياط،فقال المعتصم له : وقرابتى من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط أو تقوله كما أقول ، فلم يرهبه ذلك فقال المعتصم : احضروا الجلادين فأحضروا فقال المعتصم لواحد منهم :بكم سوط تقتله ؟ قال : بعشرة ، قال خذه إليك ، فأخرج الإمام أحمد من أثوابه وشد فى يديه حبلان جديدان ،ولما جئ بالسياط فنظر إليها المعتصم قال : ائتونى بغيرها ثم قال للجلادين :تقدموا . فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثانى قال : لا حول ولاقوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق فلما ضرب الرابع قال : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾[التوبة : ٥١] وجعل الرجل يتقدم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين فيحرضه المعتصم على التشديد فى

---

(١) كذا وهو صواب ولعله أصله من : « المتعصبين » كما أشار إليه فى الهامش الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد .

الضرب ، فلما ضرب تسعة عشر سوطاً قام إليه المعتصم فقال له : يا أحمد علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق . قال أحمد فجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال تريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلك ! الخليفة عل رأسك قائم . وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين دمه في عنقي ، اقتله . وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين إنه صائم وأنت في الشمس قائم .فقال لي :ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول به ، ثم رجع الخليفة فجلس . ثم قال للجلاد : تقدم وحرّضه على إيجاعه بالضرب، ثم قام الثانية فجعل يقول ويحك يا أحمد أجبني . قال الإمام أحمد : فجعلوا يقبلون على ويقولون يا أحمد إمامك على رأسك قائم . وجعل بعضهم يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ قال : وجعل المعتصم يقول ، ويحك أجبني إلى شيء لك منه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، فقلت : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى أقول به ، فرجع المعتصم فجلس وقال للجلادين تقدموا فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحى وهو عند ذلك يحرضهم على التشديد في الضرب ويقول : شدوا قطع الله أيديكم قال: قال الإمام أحمد فذهب عقلي فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني ، فقال رجل ممن حضر إنا كفيناك على وجهك وطرحنا على ظهرك باريه (١) ودسناك ، قال: فما شعرت بشيء من ذلك فأتوني بسويق فقالوا لي اشرب وتقيأ فقلت : لست أفطر ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى فلما انفتل من الصلاة قال

(١) البارية : الحصير .

لى : صليت والدم يسيل فى ثوبك ، فقلت : قد صلى عمر وجرحه يثغب [٢] دماً .

وقال بعض المؤرخين : إن المحنة كانت فى سنة تسع عشرة ومائتين ورأيت فى موضع أنها كانت فى العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين ، والصواب ماقدمناه عند إبتداء خبر المحنة أن وقوعها فى شهر رمضان سنة ثماني عشرة ومائتين بدليل أن بشراً المريسى هو الذى تولى كبرها ،ومات بشر فى ذى الحجة فى سنة ثمانى عشرة ، وقد قيل : إن موته كان سنة تسع عشرة كما قاله بعض المؤرخين ، والأول أولى لأن المعتصم ولى الخلافة بعد المأمون ، ودخل بغداد فى غرة رمضان سنة ثمانى عشرة كما تقدم ، والإمام أحمد فى الحبس ، وامتحنه عقب دخوله بغداد.

وقد رأيت فى موضع آخر أن الإمام أحمد أخرج من السجن فى شهر رمضان سنة عشرين ومائتين ، وهذا متجه يعضده ماقدمناه قريبًا أنه مكث فى السجن نحو ثمانية وعشرين شهراً ، لأن ابتداء حبسه فى أيام المأمون قبل وفاته،وكانت وفاة المأمون فى رجب سنة ثمانى عشرة ، فمن ذلك التاريخ إلى رمضان سنة عشرين نحو ثمانية وعشرين شهراً فيظهر من ذلك صحة القول بأن المحنة فى شهر رمضان سنة ثمانى عشرة ، وإخراجه من السجن فى شهر رمضان سنة ثمانى وعشرين ومائتين والله أعلم .

ولما ولى الواثق بعد المعتصم ، وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم ،

---

(١) يثغب : أى يسيل .

وكانت ولايته في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين – لم يتعرض للإمام أحمد في شيء إلا أنه بعث إليه يقول : لاتساكني بأرض ، وقيل : أمره ألا يخرج من بيته ، فصار الإمام أحمد يختفي في الأماكن ثم صار إلى منزله ، فاختفى فيه عدة أشهر إلى أن مات الواثق [١] .

ولما ولي المتوكل بعد الواثق – وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم وكانت ولايته في ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين – خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد، وطعن عليهم فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن ، ونهى عن الجدال والمناظرة عن الأداء ، وعاقب عليه ،وأمر بإظهار الرواية للحديث ، فأظهر الله به السنة ، وأمات به البدعة ، وكشف عن الخلق تلك الغمة ، وأنار به تلك الظلمة ، وأطلق من كان اعتقل بسبب القول بخلق القرآن ، ورفع المحنة عن الناس ، فاستبشر الناس بولايته ،وأمر بالقبض على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، ووضعه في تنور إلى أن مات ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وابتلى الله أحمد بن أبي دواد بالفالج بعد موت الوزير بسبعه وأربعين يومًا ، فولى القضاء مكانه ولده أبو الوليد محمد فلم تكن طريقته مرضية وكثر ذاموه وقل شاكروه، ثم سخط المتوكل على أحمد بن أبي دواد وولده محمد في سنه تسع وثلاثين ومائتين وأخذ جميع ضياع الأب وأمواله من الولد– مائة وعشرين ألف دينار– وجواهر بأربعين ألف دينار وسيره إلى بغداد من « سرَّ من رأى » [٢] وولى القاضي يحيى بن أكثم قاضي القضاة [٣] فإنه كان

---

(١) قال الذهبي : قال إبراهيم نفطويه حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهتدى أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن (١١ / ٣١٦) سير أعلام النبلاء .
(٢) اسم الموضع الذى به الخليفة .
(٣) ورد النهى عن التسمى بقاضي القضاة وملك الملوك وشاه شاه .

من أئمة الدين وعلماء السنة ثم مات أحمد بن أبي دواد بمرض الفالج في المحرم سنة أربعين ومائتين ، ومات ولده محمد قبله بعشرين يوماً ، وكان بشر المريسى قد أهلكه الله ومات في ذى الحجة سنة ثمانى عشرة . وقيل : تسع عشرة ومائتين.

وعن عمران بن موسى قال : دخلت على أبى العروق الجلاد الذى ضرب أحمد لأنظر إليه ، فمكث خمسة وأربعين يوماً ينبح كما ينبح الكلب .

وقد انتقم الله من كل خصومه المبتدعين الذين سعوا في أمره ، وخذلهم ، ونصره عليهم بحول الله وقوته ، وبركة كتابه العزيز ،وسنة نبيه محمد ﷺ .

وشرع المتوكل في الإحسان إلى الإمام أحمد رضى الله عنه وتعظيمه وإكرامه ، وكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم أن يبعث إليه بالإمام أحمد فجهزه معظماً مكرماً إلى الخليفة المتوكل على الله – بسُرَّ من رأى – قال عبد الله بن أحمد :.وبعث المتوكل إليه يقول : قد أحببت أن أراك وأتبرك بدعائك ، فخرجنا من بغداد فأنزلنا داراً والمتوكل يرانا من وراء الستر، وأخبر بعض الخدم أن المتوكل لما كان قاعداً ، وراء الستر ودخل الإمام الدار قال لأمه : يا أماه قد أنارت الدار . قال عبد الله : فأمر لأبى بثياب ودراهم وخلعة فبكى وقال : أسلم من هؤلاء منذ ستين سنة فلما كان آخر العمر ابتليت بهم ،ولما جاءوا بالخلعة لم يمسها ولا غيرها ، فجعلها على كتفيه فمازال يتحرك حتى رمى بها، وأرسل إليه المتوكل مالا جزيلاً فأبى أن يقبله ، فقيل له : إن رددته وجد عليك في نفسه ، ففرقه على مستحقيه ، ولم يأخذ منه شيئاً ، وكان كل يوم يُرسِل

إليه من طعامه الخاص فلا يأكل منه لقمة.

قال صالح : وأمر المتوكل أن يشترى لنا داراً . فقال : يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دار ليكونن القطيعة بينى وبينك ،فلم يزل يدفع شراء الدار حتى اندفع ثم عاد إلى بغداد ، وكان المتوكل لا يولى أحداً إلا بمشورة الإمام أحمد ومكث الإمام إلى حين وفاته قلّ أن يأتى يوم إلا ورسالة الخليفة تنفذ إليه فى أمور يشاوره فيها ويستشيره رحمهما الله ورضى عنهما (١).

---

(١) باختصار من المنهج الأحمد (١ / ٣١ - ٤١) .

٩ - شيوخه وتلامذته

شيوخه رحمهم الله :

قال الخطيب [١] : سمع من إسماعيل بن علية ،وهشيم بن بشير ، وحماد بن خالد الخياط ، ومنصور بن سلمة الخزاعي ،والمظفر بن مدرك ، وعثمان بن عمر بن فارس ، وأبي النضر هاشم بن القاسم ، وأبي سعيد مولى بني هاشم ، ومحمد بن يزيد ، ويزيد بن هارون الواسطيين ،ومحمد بن أبي عدى ، ومحمد بن جعفر غندر، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدى ،وبشر بن المفضل ، ومحمد بن بكر البرساني ، وأبي داود الطيالسي ، وروح بن عبادة ، ووكيع بن الجراح ، وأبي معاوية الضرير ، وعبد الله بن نمير، وأبي أسامة ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى ابن سليم الطائفي ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وإبراهيم بن سعد الزهرى ، وعبد الرزاق بن همام ، وأبي قرة موسى بن طارق ، والوليد بن مسلم ، وأبي مسهر الدمشقي ، وأبي اليمان ، وعلى بن عياش ، وبشر بن شعيب بن أبي حمزة الحمصيين، وخلق سوى هؤلاء يطول ذكرهم ، ويشق إحصاء أسمائهم وذكر المزى في تهذيبه مائة وأربعة من شيوخه ، وليس ذلك كذلك على سبيل الاستقصاء والله أعلم [٢] .

تلامذته رحمهم الله :

قال الخطيب: وروى عنه غير واحد من شيوخه الذين سميناهم وحدث أيضًا عنه ابناه صالح وعبد الله، وابن عمه حنبل بن إسحاق ، والحسن بن

(١) تاريخ بغداد (٤١٢/٤ ، ٤١٣) .
(٢) انظر تهذيب الكمال (١ / ٤٣٧ - ٤٤٠) .

الصباح البزار ، ومحمد بن إسحاق الصاغاني ،وعباس بن محمد الدوري، ومحمد بن عبيد الله المنادى ، ومحمد بن إسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم الرازيان ، وأبو داود السجستانى ، وأبو بكر الأثرم ، وأبو بكر المروذى ، ويعقوب بن شيبة ، وأحمد ابن أبى خيثمة ، وأبو زرعة الدمشقى ، وإبراهيم الحربى ، وموسى بن هارون، وعبد الله بن محمد البغوى وغيرهم.

وقد ذكر المزى أيضًا فى تهذيبه ثمانية وثمانين من تلامذته وفيهم جملة من شيوخه منهم محمد ابن إدريس الشافعى ، ووكيع بن الجراح ، ويحيى بن آدم ، ويزيد بن هارون. ومن أقرانه : على بن المدينى ، ويحيى ابن معين ، ودحيم الشامى، وأحمد بن أبى الحوارى ، وأحمد بن صالح المصرى.[1]

(١) انظر تهذيب الكمال (١ / ٤٤٠ - ٤٤) وانظر تاريخ الإسلام للذهبى - حوادث ووفيات (٢٤١-٢٥٠) صفحة (٦٤ ، ٦٥) بتحقيق د . عبد السلام تدمرى - دار الكتاب العربى .

١٠ - مؤلفاته رحمه الله

قال الذهبي ماملخصه:

قال ابن الجوزى : كان الإمام لايرى وضع الكتب وينهى عن كتبة كلامه ومسائله ، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة ، وصنف « المسند » وهو ثلاثون ألف حديث ، وكان يقول لابنه عبد الله : احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً ، و« التفسير » وهو مئة وعشرون ألفًا، و« الناسخ والمنسوخ » و« التاريخ » و « حديث شعبة »، و«المقدم والمؤخر فى القرآن » ، و« جوابات القرآن » ، و« المناسك »، و « الكبير والصغير » ، وأشياء أخر.

قال الذهبى: وكتاب «الإيمان» ، وكتاب «الأشربة» ورأيت له ورقة من كتاب « الفرائض » ، فتفسيره المذكور شيء لا وجود له ،ولو وجد لاجتهد الفضلاء فى تحصيله ، ثم لو ألف تفسيراً لما كان يكون أزيد من عشرة آلاف أثر، ولاقتضى أن يكون فى خمس مجلدت ، فهذا تفسير ابن جرير الذى جمع فيه فأوعى لا يبلغ عشرين ألفًا .وما ذكر تفسير أحمد أحد سوى أبى الحسن بن المنادى فقال فى « تاريخه » : لم يكن أحد أروى فى الدنيا عن أبيه من عبد الله بن أحمد ؛ لأنه سمع منه « المسند » وهو ثلاثون ألفاً ، و« التفسير » وهو مئة وعشرون ألفًا سمع ثلثيه ،والباقى وجاده .

قال ابن السماك: حدثنا حنبل قال:جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا«المسند» ماسمعه غيرنا .وقال : هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من مئة ألف وخمسين ألفًا ، فمااختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله فارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه ، وإلا فليس بحجة.

قال الذهبى: قلت : فى « الصحيحين » أحاديث قليلة ليست فى

« المسند » لكن قد يقال : لاترد علي قوله فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم مايلزم من هذا القول أن ما وجد فيه أن يكون حجة ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها ولا يجب الإحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة ولكنها قطرة في بحر ، وفي غضون المسند زيادات جمة لعبد الله ابن أحمد [(١)]

قال ابن الجوزى : وله - يعني أبا عبد الله- من المصنفات كتاب «نفى التشبيه » مجلدة ، وكتاب « الإمامة » مجلدة صغيرة وكتاب « الرد علي الزنادقة» ثلاثة أجزاء، وكتاب « الزهد » [(٢)] مجلد كبير ، وكتاب «الرسالة» في الصلاة » قال الذهبى : وهو موضوع علي الإمام .

قال وكتاب «الصحابة » [(٣)] قال الذهبى فيه زيادات لعبد الله ابنه ولأبى بكر القطيعى صاحبه.

وقد دون عنه كبار تلامذته مسائل وافرة في عدة مجلدات كالمروذى والأثرم ، وحرب وابن هانئ ، والكوسج ،وأبى طالب. وجمع أبو بكر الخلال سائر ما عند هؤلاء من أقوال أحمد وفتاويه وكلامه في العلل والرجال والسنة والفروع ، حتي حصل عنده من ذلك مالا يوصف كثرة ، ورحل إلي النواحي في تحصيله ، وكتب عن نحو من مئة نفس من أصحاب الإمام ، ثم كتب كثيراً من ذلك عن أصحاب أصحابه ، وبعضه عن آخر عن آخر عن الإمام أحمد ، ثم أخذ في ترتيب ذلك ، وتهذيبه وتبويبه ، وحمل كتاب « العلم» وكتاب « العلل» وكتاب «السنة » كل واحد من الثلاثة في ثلاث مجلدات. [(٤)]

---

(١) صنف الحافظ ابن حجر القول المسدد في الذب عن المسند في دفع القول بوجود أحاديث موضوعة بالمسند فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً .
(٢) وهو مطبوع طبعة غير محققة ويحتاج إلى تحقيق وترتيب والطبعة الموجودة بتحقيق عبد الرحمن بن قاسم ولكنه تحقيق للنص فحسب .
(٣) وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق وصي الله بن محمد عباس وطبع جامعة أم القرى بمكة
(٤) باختصار من سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٢٧ - ٣٣١) .

١١ - نتف من أقواله ودرر من أشعاره

- سئل الإمام أحمد - رحمه الله -عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى .

- وقال : كل شيء من الخير تهتم به فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه .

- وعن علي بن المدينى قال: ودعت الإمام أحمد بن حنبل فقلت له: توصينى بشيء ؟ قال : نعم اجعل التقوى زادك ، وانصب الآخرة أمامك.

- وكان يقول: عزيز عليَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن .

- وكان يقول : ما قل من الدنيا كان أقل للحساب.

- وعن عبد الصمد بن سليمان بن مطر قال: بت عند أحمد بن حنبل فوضع لى ماء فلما أصبح وجدنى لم أستعمله فقال: صاحب الحديث لا يكون له ورد فى الليل قال : قلت : أنا مسافر ، قال : وإن كنت مسافراً ،حج مسرورق فما نام إلا ساجداً.

- وعن حنبل بن إسحاق قال: رآنى أحمد بن حنبل أكتب خطاً دقيقاً فقال : لا تفعل ؛ أحوج ما تكون إليه يخونك .

- وقال: كلِ الطعام مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة .

- ودخل ثعلب علي أحمد بن حنبل ومجلسه غاصٌ ، فجلس إلى جانبه وقال : أخاف أن أكون ضيقت عليك،على أنه لا يضيق مجلس بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين. قال الإمام أحمد : الصديق لا يحاسب

والعدو لا يحتسب له (١) .

وعن أحمد بن يحيي قال : كنت أُحبُّ أن أري أحمد بن حنبل فصرت إليه فلما دخلت عليه قال لي : فيم جئت ؟ قلت : في النحو والعربية فأنشد :

إذا مَا خَلَوْتَ الدهر يوماً فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللّهَ يَغْفلُ ساعةً ... وَلا أنَّ مَا يَخْفي عليْه يَغيبُ
لَهَوْناَ عن الأعمال حتي تتابَعتْ ... ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ
فياليت أن الله يغفرُ مَامضي ... ويأذنَ في توباتنا فنتوبُ
إذا مضي القرن الذى أنت فيهمُ ... وخلفتَ في قرنٍ فأنت غَرِيبُ

وعن علي بن خشرم أنه سمع أحمد بن حنبل يقول :

تَفْني اللذاذَة ممْن نالَ صَفْوتَها ... من الحرام ويبْقي الإثمُ والعَارُ
تبْقي عواقِبُ سوءٍ منْ مغبتهَا ... لا خير في لذةٍ من بعْدِهَا النارُ

- وروى من قوله في علي بن المديني لما أجاب إلى القول بخلق القرآن:

يا ابْنَ المدينيَّ الذى عرَضتْ لَهُ ... دُنْيَا فجاد بدينه لينالهَا
ماذا دعاك إلي انتْحالِ مقالة ... قد كُنْتَ تزعُمُ كافراً منْ قَالَهَا
أمرٌ بدا لك رُشْدُهُ فَتَبِعْتَهُ ... أم زَهْرَةَ الدنيا أردت نَوَالَهَا
ولَقَدْ عهدتك مرة مُتَشَدِّدَا ... صَعْبَ المَقَادَةَ للتى تُدْعَي لهَا
إن المرزأ من يصاب بدينه ... لا من يرزأ ناقة وفصالهَا (٢)

(١) بتصرف واختصار من المنهج الأحمد (١ / ١٩ ، ٢٠) .
(٢) السابق بتصرف (٢٥) .

١٢ - مرضه ووفاته رحمه الله

قال ابنه عبد الله : سمعت أبي يقول : استكملت سبعاً وسبيعن ، فحم من ليلته ومات يوم العاشر.

وقال صالح: لما كان فى أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدي وأربعين ومائتين حمّ أبى ليلة الأربعاء ، وبات وهو محموم يتنفس نفساً شديداً ، وكنت قد عرفت علته ، وكنت أمرضه إذا اعتل ، فقلت له : يا أبة علي ما أفطرت البارحة ؟

قال : على ماء باقلاء.

ثم أراد القيام فقال : خذ بيدى فأخذت بيده فلما صار إلي الخلاء ضعفت رجلاه حتي توكأ عليّ ، وكان يختلف إليه غير مُتَطَبِّب كلهم مسلمون ، فوصف له متطبب قرعة تشوى ويسقى ماؤها ، وهذا يوم الثلاثاء وتوفي يوم الجمعة . فقال : يا صالح : فقلت لبيك.

قال : لا تشوي فى منزلك ، ولا فى منزل أخيك.

وصار الفتح بن سهل إلي الباب ليعوده فحجبه ، وأتى ابن على بن الجعد فحجبة وكثر الناس ، فقال : أى شيء ترى ؟

قلت : تأذن لهم ، فيدعون لك.

قال : أستخير الله تعالى .

فجعلوا يدخلون عليه أفواجًا حتى تمتلئ الدار ، فيسألونه ويدعون له ثم يخرجون ، ويدخل فوج آخر ، وكثر الناس فامتلأ الشارع ، وأغلقنا باب الزُّقاق ، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فقال أبى : إنى لأرى الرجل

يحيي شيئاً من السنة فأفرح به.

وجعل يحرك لسانه ، ولم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قائماً أمسكة فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه.

واجتمعت عليه أوجاع الحصر وغير ذلك ، ولم يزل عقله ثابتًا ، فلما كان يوم الجمعة لإثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي .

وقال المروزي: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول مرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون أفواجًا يسلمون عليه ويرد عليهم بيده.

واشتدت علته يوم الخميس ووضأته فقال :خلال [1] الأصابع فلما كانت ليلة الجمعة وثقل قبض صدرًا ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلأت السكك والشوارع.

وقال حنبل : توفي يوم الجمعة في ربيع الأول .

وقال مطين : في ثاني عشر ربيع الأول .

وكذا قال عبد الله بن أحمد وعباس الدوري.

وقال البخاري : مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول.

وقال الخلال : ثنا المروزي قال : أخرجت الجنازة بعد منصرف الناس من الجمعة.

---

(١) في سير أعلام النبلاء : خلل .

قال الذهبي: وقد روى الإمام أحمد في مسنده : ثنا أبو عامر ، ثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر »(١) .

وقال صالح: وجه ابن طاهر نائب بغداد بحاجبه مظفر ، ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقالوا : الأمير يقرؤك السلام ويقول: قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره كان يفعل.

فقلت : أقرأ الأمير السلام وقل له إن أمير المؤمنين قد أعفاه في حياته مما كان يكره ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكره في حياته ، فعاد وقال: يكون شعاره فأعدت عليه مثل ذلك.

وقد كان غزلت له جارية ثوباً عشارياً قوم بثمانية وعشرين درهماً ليقطع منه قميصين فقطعنا له لفافتين وأخذ منه فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطًا وفرغ من غسله ، وكفناه ، وحضر نحو مائة من بني هاشم ، ونحن وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

وقال عبد الله بن أحمد: صلي على أبي محمد بن عبد الله بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار.

وقال عبيد الله بن يحيي بن خاقان : سمعت المتوكل يقول لمحمد بن عبد الله : طوبى لك يا محمد صليت عل أحمد بن حنبل رحمة الله عليه.

---

(١) رواه أحمد (٢ / ١٦٩) والترمذي (٩ / ٢٩٥) الجنائز ، وقال هذا حديث غريب . وقال هذا حديث ليس إسناده بمتصل . ربيعة بن سيف إنما يروى عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو ، والحديث له طرق ذكرها السخاوي في المقاصد الحسنة وهو بها حسن .

وقال أبو بكر الخلال : سمعت عبد الوهاب الوراق يقول: ما بلغنا أن جمعاً في الجاهليـة والإسـلام مـثله ، حـتى بلغنا أن الموضع مـسح وحُـرِز علي الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف وحرزنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة .

وفـتح الناس أبواب المنازل فى الشـوارع والدروب ينادون من أراد الوضوء .(١)

(١) باختصار من تاريخ الإسلام للإمام الذهبى جزء حوادث ووفيات (٢٤١ - ٢٥٠) صفحة (١٣٧ إلى ١٤١) بتحقيق د . عبد الرحمن تدمرى - دار الكتاب العربى .

من أعلام السلف

٣٤

شيخ المحدثين
محمد بن إسماعيل البخاري

١ - اسمه ونسبه وصفته

اسمه : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبة . وقيل بَذْدُزبة وهى لفظة بخارية الزرّاع ، وكنيته أبو عبد الله .

قال النووى :

رُوِّينا عن الخطيب الحافظ أبي بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى قال : بِرِدِزبة مجوسى مات عليها . قال : وابنه المغيرة أسلم على يد اليمان البخارى الجعفِى والى بخارى ، ويمان هذا هو : أبو عبد الله بن جعفر بن يمان المسندى شيخ البخارى . وإنما قيل للبخارى جعفى ، لأنه مولى يمان الجعفى ولاء إسلام .

أما والده فهو إسماعيل بن إبراهيم ، وكنيته أبو الحسن ، فقد كان من كبار المحدثين ، ذكره البخارى فى « التاريخ الكبير » [(١)] . وكذا ابن حبان فى الثقات ونصه : « إسماعيل بن إبراهيم والد البخارى يروى عن حماد بن زيد ومالك ، وروى عنه العراقيون » [(٢)] .

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخارى : سمعت محمد بن إسماعيل البخارى يقول : سمع أبي مالك بن أنس ، ورأى حماد بن زيد ، قد صافح ابن المبارك بكلتا يديه [(٣)] .

قال الحافظ : ومات إسماعيل ومحمد صغير فنشأ فى حجر أمه [(٤)] .

---

(١) التاريخ الكبير ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣) .

(٢) الثقات لابن حبان (٨ / ٩٨) .

(٣) تغليق التعليق (٥ / ٣٨٥) للحافظ ابن حجر . المكتب الإسلامى . دار عمار .

(٤) هدى السارى « مقدمة فتح البارى » لابن حجر العسقلانى (٥٠٢) .

وكانت والدته عابدة صاحبة كرامات ، روى غُنْجَار فى تاريخ بخارى واللالكائى فى شرح السنة فى باب كرامات الأولياء منه أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه فى صغره ، فرأت والدته الخليل إبراهيم فى المنام ، فقال لها : ياهذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك . قال : فأصبح وقد رد الله عليك بصره [1] .

أما صفته رحمه الله : فقد روى الخطيب فى تاريخ بغداد ، قال : أخبرنا أبو سعد المالينى قال : أنبأنا عبد الله بن عدى قال : سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول : رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخاً نحيف الجسم ، ليس بالطويل ولا بالقصير [2] .

---

(١) المصدر السابق (٥٠٢) .
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٦) .

٢- مولده وموطنه

ولد الإمام البخارى رحمه الله فى « بخارى » المدينة المعروفة فى خراسان ، وهى مدينة قديمة رائعة من بلدان ما وراء النهر ، وكانت عاصمة السامانيين قبل الفتح الإسلامى ، واتفق المؤرخون على أن المسلمين فتحوها فى خلافة بنى أمية .

قال الحافظ :

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشر ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى . قال المستنير بن عتيق : أخرج إلى ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه [(١)] .

(١) هدى السارى (٥٠١) .

٣ - ابتداء طلبه للعلم وعلو همته فى الطلب

لا شك فى أن طيب أصل البخارى ، وأصالة معدنه بعد توفيق الله عز وجل وحفظه ورعايته كان من أعظم أسباب تبكير البخارى فى طلب العلم ، فقد كان أبوه من كبار المحدثين ، وأمه من العابدات الصالحات . قال بعضهم :

« فقد ربا فى حجر العلم حتى ربا ، وارتضع ثدى الفضل فكان فطامه على هذا اللبا »(١).

روى الخطيب البغدادى عن أبى جعفر محمد بن أبى حاتم الوراق النحوى: قال : قلت لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ قال : أُلهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتّاب قال : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال عشر سنين أو أقل ، ثم تخرجت من الكتّاب بعد العصر ، فجعلت أختلف إلى الداخلى وغيره ، وقال يوماً فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم فقلت يا أبا فلان : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرنى فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك ، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لى : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدى عن إبراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه فقال : صدقت . فقال بعض أصحابه : ابن كم كنت إذا رددت عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة ، فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء(٢).

ثم خرجت مع أمى وأخى أحمد إلى مكة ، فلما حججت رجع أخى بها وتخلفت فى طلب الحديث ، فلما طعنت فى ثمان عشرة سنة جعلت أصنف

---

(١) من مقدمة القسطلانى (١٢٥) ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٢) يعنى أهل الرأى .

قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وذلك أيام عبيد الله بن موسى ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة . وقال : قَلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أني كرهت تطويل الكتاب [(١)] .

روى الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول : وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي ، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم ، فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم ؟ فقلت : اثنين وأردت بذلك حديثين ، فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم : لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً .

وسمعته يقول : دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة ، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث ، فلما بصرني الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا ، فعرضا عليَّ فقضيت للحميدي على من يخالفه ، ولو أن مخالفه أصرَّ على خلافه ثم مات على دعواه لمات كافراً .

ثم روى بسنده عن بكر الأعيَن قال : كتبنا عن البخاري على باب محمد ابن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة ، فقلنا : ابن كم أنت ؟ قال : ابن سبع عشرة سنة [(٢)] .

وقال بكر بن منير : سمعت البخاري يقول : كنت عند أبي حفص أُحمد ابن حفص أسمع كتاب « الجامع » لسفيان الثوري ، ومن كتاب والدي ، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر ، فراجعته فقال الثانية والثالثة فراجعته فسكت ، ثم قال : من هذا ؟ قالوا : ابن إسماعيل . فقال : هو كما قال : واحفظوا أن هذا يصير يوماً رجلاً [(٣)] .

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٦ ، ٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٠٠ ، ٤٠١) . بتصرف .
(٣) تغليق التعليق (٥ / ٣٨٧) وانظر القصة المسندة في تاريخ بغداد (٢/ ١١) .

٤ - رحلاته رحمه الله للأمصار لحفظ سنّة المصطفى المختار ﷺ

والرحلة فى اصطلاح المحدثين : هى السفر الذى يخرج فيه الطالب لطلب حديث ، أو علو إسناد ، وكان الصحابة رضى الله عنهم هم القدوة فى ذلك ، فقد سافر جابر بن عبد الله شهراً لطلب علو إسناد حديث من عبد الله بن أنيس ، وعلى هذا الهدى سار التابعون .

قال أبو العالية : كنا نسمع الرواية فى البصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فما نرضى حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم [(١)] . ومن آداب الرحلة أن يبدأ طالب العلم بشيوخ بلده فيكتب عنهم حتى يحكم حديثهم ، ثم يرحل إلى الأمصار يشافه الشيوخ ، وقد بدأ الإمام البخارى بشيوخ بخارى وكبار المحدثين فيها ، فسمع محمد بن سلام البيكندى ، وعبد الله بن محمد المسندى وإبراهيم بن الأشعب .

وكانت أول رحلاته سنة عشرة ومائتين ، وله ست عشرة سنة ، عندما خرج إلى الحج مع أمه وأخيه ، وعاد أخوه بأمه ، وبقى طالباً للعلم ، فسمع بمكة أئمة هذا الشأن ومرجع الناس : الإمام أبو الوليد أحمد بن الأزرقى ، وعبد الله بن يزيد ، وإسماعيل بن سالم الصائغ ، وأبو بكر بن بعد الله بن الزبير ، والعلامة الحميدى ، ثم توجه إلى المدينة ووصلها سنة ٢١٢ هجرية ، وكان إذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمره ، وسمع من إبراهيم بن المنذر ، ومطرف بن عبد الله ، وإبراهيم بن حمزة ، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله ، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسى وأقرانهم .

---

(١) سنن الدرامى (١ / ١٤٠) .

ثم توجه رحمه الله إلى البصرة : وتكررت رحلته للبصرة أربع مرات ، واستفاد في البصرة من الإمام أبى عاصم النبيل ، وصفوان بن عيسى ، وبديل ابن ثابت المحبر ، وحرمى بن عمارة ، وعفان بن مسلم ، ومحمد بن سنان ، وأقرانهم ومن فى طبقتهم .

ورحل إلى الكوفة عدة مرات ، ومن مشاهير أساتذته فى الكوفة : عبد الله ابن موسى ، وأبو نعيم بن يعقوب ، وإسماعيل بن أبان ، والحسن بن الربيع ، وخالد بن مخلد ، وسعيد بن حفص ، وتردد كذلك على بغداد عاصمة الخلافة ، ومن شيوخه ببغداد الإمام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن عيسى الصباغ ، ومحمد بن سائق ، وشريح بن النعمان ولما ودع بغداد فى المرة الأخيرة وكان ذلك فى رحلته الثانية وذهب ليودع الإمام أحمد قال له الإمام فى حسرة وألم : « تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان » .

ومن رحلاته أيضاً رحلته إلى الشام ، وأخذ هناك عن يوسف الفريابى ، وأبى إسحاق بن إبراهيم ، وآدم بن أبى إياس ، وأبى اليمان الحكم بن نافع ، وحيوة بن شريح .

ورحل إلى مصر ، ودرس على عثمان بن الصائغ ، وسعيد بن أبى مريم ، وعبد الله بن صالح ، وأحمد بن صالح ، وأحمد بن شبيب .

ورحل كذلك إلى الجزيرة وخراسان ونواحيها من مرو وبلخ وهراه ، أما بخارى وسمرقند وطشقند وغيرها فهى موطنه [(١)] .

قال الخطيب البغدادى :

« رحل البخارى إلى محدثى الأمصار ، وكتب بخراسان والجبال ومدن

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١ / ٧١ ، ٧٢) وسيرة الإمام البخارى للمباركفورى (٥٩ ، ٦٠) .

العراق كلها والحجاز والشام ومصر وورد بغداد دفعات »[١].

لقد يسرت عناية الله للبخارى سُبُلَ النجاح ، وذللت أمامه الصعَاب ، فاستطاع برحلاته المتتابعة أن يضاعف عدد شيوخه حتى بلغوا الألف ، وأن ينمى ثروته العلمية على النحو الذى رأيناه ، فأقرّ الناس له بالإمامة ، وتبوأ بينهم مركز الصدارة عن جدارة ، وقد أدرك عظيم فضل الله عليه ، فقابل نعمته بشكر يديمها ، ولم يكن هذا إلا بالعمل الذى خلّدها واستبقى آثارها متعاقبة بعده[٢].

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٤) .
(٢) تصدير - لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية برئاسة الأستاذ / محمد محى الدين عبد الحميد لصحيح البخارى (١٠ / ٦٢) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٥ - شيوخه رحمهم الله وطبقاتهم

قال جعفر بن محمد القطان :

سمعت الإمام البخارى يقول : « كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة ، وليس عندى حديث إلا أذكر إسناده »[(١)] .

وروى محمد بن أبي حاتم عن البخارى أنه قال : كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث .

وقال أيضاً : لم أكتب إلا عمن قال الإيمان قول وعمل[(٢)] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢ / ٢٢٢) ط عيسى البابى الحلبى لتاج الدين السبكى وتاريخ بغداد (٢ / ١٠) .

(٢) هدى السارى (٥٠٣) غمز أبو غدة شيخ المحدثين فى تعليقه على كتاب « الرفع والتكميل » للكنوى فنقل عن شيخه الكوثرى قوله : « من الغريب أن بعض من يعدونه أمراء المؤمنين فى الحديث يتبجح قائلاً : إنى لم أخرج فى كتابى عمن لا يرى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، مع أنه أخرج عن غلاة الخوارج وغيرهم فى كتابه ، وهو يدرى أن الحديث القائل بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص غير ثابت عند النقاد ، ولا إلتفات إلى المتساهلين ممن لا يفرقون بين الشمال واليمين ، فماذا بعد ظهور الحجة ، ووضوح المسألة على من يرى إرجاء العمل من أن يكون ركناً أصيلاً للإيمان ، وعليه الكتاب والسنة ، وجمهور الصحابة ، وجميع علماء أهل السنة الذين يستنكرون قول الفريقين الخوارج والمعتزلة فإرجاء العمل من أن يكون من أركانه الأصلية هو السنة » . إلى آخر كلامه الذى فساده يغنى عن إتمامه ، وانتصاراً لأمير المؤمنين وشيخ المحدثين الذى نصر عقيدة أهل السنة والجماعة فى كتابه أيما انتصار ، وبوب أكثر أبواب كتاب الإيمان فى بيان دخول العمل فى مسمى الإيمان ، وأبو غدة والكوثرى لا يجهلان هذه الأحاديث المترجم لها ولا يجهلان قول الله عز وجل : ﴿ وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾ [الأحزاب ٢٢] وقوله عز وجل : ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ [المدثر : ٣١] إلى غير ذلك من الدلائل الواضحات ، والآيات البينات التى تدل على أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، وإن كان ذلك لم يثبت حديثاً مسنداً ، ومثل ذلك : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فلم يصح ذلك سنداً إلا أنه الواقع فى نفسى الأمر كما قال الطحاوى الحنفى : « والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وإن دلّ كلام أبى غدة على شئ فإنه يدل على بدعته ، فلا يبغض أهل الحديث إلا أهل البدع ، على أن كلام أبى غدة عن البخارى لا ينقص من قدر الإمام ، وإنما يهلك هو نفسه ، ونسأل الله العافية ، وإنما ذكرت ما ذكرت رداً لغيبته .

قال الحافظ : وينحصرون في خمس طبقات :

الطبقة الأولى :

من حدثه عن التابعين مثل محمـد بن عبد اللـه الأنصارى حدثه عن حميد ، ومثل مكى بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبى عبيد ، ومثل أبى عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبى عبيد أيضاً ، ومثل عبيد الله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبى خالد ، ومثل أبى نعيم حدثه عن الأعمش ، ومثل خلاد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طهمان ومثل عياش وعصام بن خالد حدثاه عن حريز بن عثمان ، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين .

الطبقة الثانية :

من كان فى عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبى إياس ، وأبى مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، وسعيد بن أبى مريم ، وأيوب بن سليمان بن بلال وأمثالهم .

الطبقة الثالثة :

هى الوسطى بين مشايخه ، وهم ممن لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع التابعين كسليمان بن حرب ، وقتيبة بن سعيد ، ونعيم بن حماد ، وعلى بن المدينى ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبى بكر وعثمان ابنى أبى شيبة ، وأمثال هؤلاء ، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم فى الأخذ عنهم .

الطبقة الرابعة :

رفقاؤه فى الطلب ، ومن سمع قبله قليلاً ، كمحمد بن يحيى الذهلى ، وأبى حاتم الرازى ، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقـه ، وعبد بن حميـد ، وأحمد بن النضر ، وجماعة من نظرائهم ، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن

مشايخه ، أو مالم يجده عند غيرهم .

الطبقة الخامسة :

قوم فى عداد طلبته فى السن والإسناد سمع منهم للفائدة ، كعبد الله بن حماد الآملى ، وعبد الله بن أبى العاص الخوارزمى ، وحسين بن محمد القبانى وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة ، وعمل فى الرواية عنهم ، كما روى عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال : لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ، وعن البخارى أنه قال : لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن فوقه وعمن مثله وعمن هو دونه (١) .

(١) هدى السارى (٥٠٣) .

٦ - زهده وورعه رحمه الله

عن محمد بن أبي حاتم قال : سمعت سليماً - يعنى ابن مجاهد - يقول: ما رأيت بعينى منذ ستين سنة أفقه ، ولا أورع ، ولا أزهد فى الدنيا من محمد بن إسماعيل (١) .

وقال محمد بن أبي حاتم أيضاً : وكان أبو عبد الله ربما يأتى عليه النهار فلا يأكل فيه رقاقه ، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً ، وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره (٢) .

وقال الحافظ : قال وراقة سمعت محمد بن خراش يقول : سمعت أحيد ابن حفص يقول : دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته فقال : لا أعلم من مالى درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة . قلت : وحكى ورقة أنه ورث من أبيه مالاً جليلاً ، وكان يعطيه مضاربه ، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألف فقيل له استعن بكتاب الوالى ، فقال : إن أخذت منهم كتاباً طمعوا ، ولن أبيع دينى بدنياى ، ثم صالح غريمة على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله . وقال سمعته يقول : ما توليت شراء شئ قط ولا بيعه ، كنت آمر إنساناً فيشترى لى . قيل له : ولِمَ ؟ قال : لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط . وقال غُنْجَار فى تاريخه : حدثنا أحمد بن محمد ابن عمر المقرى ، حدثنا أبو سعيد بكر بن منى قال : كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص ، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية ، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم . فقال لهم : انصرفوا الليلة ، فجاءه من

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤٩) .
(٢) المصدر السابق (١٢ / ٤٥٠) .

الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : إنى نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين فدفعها إليهم ، وقال لا أحب أن أنقض نيتى [١] .

وروى الخطيب البغدادى عن عمر بن حفص الأشقر قال : كنا مع محمد ابن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياماً فطلبناه فوجدناه فى بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شئ ، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه ، ثم اندفع معنا فى كتابة الحديث [٢] .

---

(١) هدى السارى (٥٠٣ ، ٥٠٤) ، وتاريخ بغداد (٢ / ١١ ، ١٢) .
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ١٣) .

٧ - عبادته رحمه الله

روى الخطيب في تاريخه عن محمد بن أبي حاتم الوراق قال : دعى محمد ابن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه وقال لبعض من معه : انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً ؟ فإذا زنبور قد أبَرَّه في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً ، وقد تورم من ذلك جسده ، وكانت آثار الزنبور في جسده ظاهرة . فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبَرَّكَ فقال : كنت في سورة فأحببت أن أتمها [(١)] .

وقال كذلك : وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة ، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني ؟ قال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك ، ورأيته استلقى على قفاه يوماً ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير ، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث ، فقلت له : يا أباعبد الله سمعتك تقول يوماً : إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط منذ عقلت ، فأي علم هذا الإستلقاء فقال : أتعبنا أنفسنا هذا اليوم ، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك فإن غافصنا العدو كان بنا حراك [(٢)] .

قال الذهبي : قال عمر بن أبي حاتم سمعت أبا عبد الله يقول : ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يستجب له . فقالت له امرأة أخيه بحضرتي :

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ١٢ ، ١٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤٤) .
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ١٣ ، ١٤) .

فهل تبينت ذلك أيها الشيخ من نفسك أو جربت ، قال : نعم دعوت ربى عز وجل مرتين فاستجاب لى فلن أحب أن أدعو بعد ذلك فلعله ينقص من حسناتي أو يعجل لى فى الدنيا ، ثم قال : ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل [١] .

وقال الحافظ : وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ أخبرنى محمد بن خالد حدثنا مقسم بن سعد قال : كان محمد بن إسماعيل إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلى بهم ، ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليالٍ ، وكذلك يختم بالنهار فى كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة ، ويقول عند كل ختمة دعوة مستجابة [٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤٨) .
(٢) هدى السارى (٥٠٥) .

٨ - كرمه وسماحة نفسه وحسن خلقه

قال الحافظ : وقال عبد الله بن الصيارفى : كنت عند أبى عبد الله محمد ابن إسماعيل فى منزله ، فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه ، فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : إذا لم يكن طريق كيف أمشى ؟ فبسط يديه وقال : اذهبى فقد أعتقتك . (فقيل) له : يا أبا عبد الله أغضبتك الجارية ؟ قال : إن كانت أغضبتنى فقد أرضيت نفسى بما فعلت (١) .

وقال أيضاً : قال ورّاق البخارى : وسمعته يقول لأبى معشر الضرير اجعلنى فى حلٍ يا أبا معشر فقال : من أى شئ ؟ فقال : رويت حديثاً فنظرت إليك ، وقد أعجبت به ، وأنت تحرك رأسك ويديك فتبسمت من ذلك ، فقال : أنت فى حل يرحمك الله يا أبا عبد الله (٢) .

وقال الذهبى : قال محمد بن أبى حاتم : كانت له قطعة أرض يكريها كل سنة بسبع مئة درهم ، فكان ذلك المكترى ربما حمل منها إلى أبى عبد الله قثاة أو قثاتين ، لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقثاء النضيج ، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً ، فكان يهب الرجل مئة درهم كلّ سنة لحمله القثاء إليه أحياناً (٣) .

وقال الذهبى أيضاً حاكياً عن وراقة قال : وكنت اشتريت منزلاً بتسعمائة وعشرين درهماً فقال : لى إليك حاجة تقضيها ؟ قلت : نعم ونعمى عين . قال : ينبغى أن تصير إلى نوح بن أبى شداد الصيرفى وتأخذ منه ألف درهم وتحمله إلىّ ، ففعلت ، فقال لى : خذه إليك فاصرفه فى ثمن المنزل فقلت :

---

(١) تغليق التعليق (٥ / ٣٩٥) .
(٢) هدى السارى (٥٠٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤٩) .

قد قبلته منك وشكرته . وأقبلنا على الكتابة ، وكنا فى تصنيف « الجامع » فلما كان بعد ساعة ، قلت : عرضت لى حاجة لا أجترى رفعها إليك فظن أنى طمعت في الزيادة ، فقال : لا تحتشمنى وأخبرنى بما تحتاج فإنى أخاف أن أكون مأخوذاً بسببك . قلت : كيف ؟ قال : لأن النبى ﷺ آخى بين أصحابه فذكر حديث سعد وعبد الرحمن . فقلت له : قد جعلتك فى حل من جميع ما تقول . ووهبت لك المال الذى عرضته عليّ عنيتُ المناصفة وذلك أنه قال : لى جوارٍ وامرأة وأنت عَزَبٌ ، فالذى يجب عَلَيّ أن أناصفك لنستوى فى المال وغيره ، وأربح عليك في ذلك ، فقلت له : قد فعلتَ - رحمك الله - أكثر من ذلك إذا أنزلتنى من نفسك ما لم تنزل أحداً ، وحللت منك محل الولد ، ثم حفظ عنى حديثى الأول وقال : ما حاجتك ؟ قلت : تقضيها ؟ قال : نعم وأُسَرُّ بذلك . قلت : هذا الألف تأمر بقبوله واصرفه فى بعض ما تحتاج إليه فقبل ، وذلك أنه ضمن لى قضاء حاجتى ، ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف « الجامع » وكتبنا منه ذلك اليوم شيئاً كثيراً إلى الظهر ، ثم صلينا الظهر وأقبلنا على الكتابة من غير أن نكون أكلنا شيئاً ، فرآنى لما كان قرب العصر شبه القلق المستوحش، فتوهم فيَّ ملالا ، وإنما كان بى الحصر غير أنى لم أكن أقدر على القيام ، وكنت أتلوّى اهتماماً بالحصر ، فدخل أبو عبد الله المنزل وأخرج إلى كاغدة فيها ثلثمائة درهم وقال: أما إذا لم تقبل ثمن المنزل ، فينبغى أن تصرف هذا فى بعض حوائجك ، فجهدنى فلم أقبل ، ثم كان بعد أيام كتبنا إلى الظهر أيضاً فناولنى عشرين درهماً فقال: ينبغى أن تصرف هذا فى شراء الخضر ونحو ذلك فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه وبعثت به إلى، وأتيت فقال لى: بيّضَ الله وجهك ليس فيك حيلة ، فلا ينبغى لنا أن نُعَنّى أنفسنا . فقلت له : إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة ، فأى رجل يَبَرُّ خادمه بمثل ما تبرنى، لئن كنت لا أعرف هذا فلست أعرف أكثر منه (١) .

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٥١ ، ٤٥٢) .

٩ - قوة حفظه ونباهة خاطره وسيلان ذهنه

قال الحافظ : قال وراقة محمد بن أبي حاتم سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان : كان البخارى يختلف معنا إلى السماع وهو غلام لا يكتب ، حتى أتى على ذلك أياماً فكنا نقول له فقال : إنكما قد أكثرتما عَلَىَّ فأعرضا على ما كتبتما . فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، ثم قال : أترون أنى أختلف هدرا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

وقال محمد بن خميروية : سمعت البخارى يقول : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح .

وقال ابن خزيمة : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخارى [(١)] .

وروى الحافظ بسنده إلى أبى أحمد بن عدى قال : سمعت عدة مشايخ يقولون : إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا لمتن الآخر ، ودفعوها إلى عشرة أنفس ، لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضر المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ، ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى : لا أعرفه ، فما زال يلقى عليه واحداً بعد واحدٍ حتى فرغ من عشرته ، والبخارى يقول : لا أعرفه . فكان الفقهاء ممن حضر إلى المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : فهم

---

(١) تذكرة الحافظ (٢ / ٥٥٦) .

الرجل ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخارى : لا أعرفه فسأل عن آخر فقال : لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحداً بعد واحدٍ حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه . ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على لا أعرفه ، فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا وصوابه كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا والثالث والربع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى الأسانيدها ، وأسانيدها إلى متونها ، فأقر الناس له بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل . قلت : هنا نخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه مرة واحدة .

وقد روينا عن أبى بكر الكوذانى قال : ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع إليه إطلاعه فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة .

وقال أبو الأزهر : كان بسمرقند أربعمائة محدث فتجمعوا وأحبو أن يغالطوا محمد بن إسماعيل ، فأدخلوا إسناد الشام فى إسناد العراق ، وإسناد اليمن فى إسناد الحرم فما تعلقوا منه بسقطه (١) .

وروى الذهبى عن أُحَيْد بن أبى جعفر والى بخارى : قال محمد بن

(١) بتصرف من تغليق التعليق (٥ / ٤١٤ ، ٤١٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٨/٤٠٩) وذكر قصة الامتحان ببغداد الخطيب (٢ / ٢٠ ، ٢١) تاريخ بغداد .

إسماعيل يوماً : رُبَّ حديثٍ سمعته بالبصرة كتبته بالشام ، ورُبَّ حديث سمعته بالشام كتبته بمصر . قلت له : يا أبا عبد الله بكماله ؟ قال : فسكت [(١)] .

قال الخطيب : وسئل العباس بن الفضل الرازي الصائغ : أيهما أفضل . أبو زرعة أو محمد بن إسماعيل ؟ فقال : التقيت مع محمد بن إسماعيل بين حلوان وبغداد ، فرجعت معه مرحلة وجهدت أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني ، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره [(٢)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤١١) ، وتاريخ بغداد (٢ / ١١) .
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٤) ، وحلوان مدينة من مدن العراق وليست حلوان التي بمصر كما هو ظاهر .

١٠ - تمسكه بالسنن النبوية

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى : مصدر السنة هو الرسول الكريم ﷺ ، وكان أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين إليهم المنتهى فى حبهم له ﷺ واتباعهم لسنته ما لا يمكن أن يقاس أو يقدر ، وصحبهم التابعون رحمهم الله فاصطبغوا بصبغتهم ، وتخلقوا بأخلاقهم ، فكانوا يتفانون فى إتباع سنة رسول الله ﷺ قريباً مما وجدوه لدى الصحابة رضى الله عنهم ، واستمر الحال على ذلك حتى آل الأمر إلى المحدثين ، ولا نستطيع أن ندعى أن جذوة الحب والحماس التى كانت تتوقد فى الصحابة بقيت فى جميع التابعين أو انتقلت إلى كل المحدثين ، ولكن مع ذلك فالحماس الذى كان يوجد لدى المحدثين للتمسك بالسنن والعمل بها يتعبر من الغرائب فى يومنا هذا .

قال إمام أحمد بن حنبل : « ما كتبت حديثاً إلا قد عملت به ، حتى مر بى أن النبى ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً » .

وقال وكيع بن الجراح - أحد كبار المحدثين - : « إذا أردت أن تحفظ حديثاً فأعمل به » .

وكان الإمام المحدث إبراهيم بن إسماعيل يقول : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به » .

فالرمى مع أنه ليس من اختصاص العلماء ولكن لما كنت السنة قد وردت به كان الإمام البخارى يركب إلى الميدان للتدرب على الرمى ، وكان من شدة مهارته لا يخطئ الهدف [1].

(١) سيرة الإمام البخارى (٧٧) .

قال الوراق :

وكان يركب إلى الرمى كثيراً فما أعلم أنى رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق » قال وركبنا يوماً إلى الرمى ، ونحن بفربر ، فخرجنا إلى الدرب الذى يؤدى إلى الفرضه ، فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد ، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمى ، وقال لنا : ارجعوا فرجعنا فقال لى : يا أبا جعفر لى إليك حاجة – وهو يتنفس الصعداء – فقلت : نعم . قال : تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول إنا أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا فى إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حلٍّ مما كان منا ، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : أبلغ أبا عبد الله السّلام ، وقل له : أنت فى حَلٍّ مما كان منك فإن جميع ملكى لك الفداء ، فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سروراً كثيراً ، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث ، وتصدق بثلثمائة درهم [1] . وكان قد بنى رباطاً خارج مدينة بخارى فكان الإمام البخارى يشترك مع العمال ينقل اللبن فيحمله على رأسه ويرفعه ويقدم للبنائين .

قال وراقة : كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبنى رباطا مما يلى بخارى ، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت أقول له : يا أبا عبد الله إنك تكفى ذلك فيقول هذا الذى ينفعنى [2] .

ولا شك فى أنه كان يتأسى فى ذلك برسول الله ﷺ الذى شارك الصحابة الكرام فى حفر الخندق وكذلك بناء المسجد النبوى . وتقدم أنه كان يصلى فى

---

(١) هدى السارى (٥٠٤) وذكره الذهبى أيضاً فى سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤٣ ، ٤٤٤) .
(٢) هدى السارى (٥٠٥) .

السحر إحدى عشرة ركعة وكان يؤم أصحابه فى صلاة التراويح فى رمضان وما تقدم كذلك من زهده وورعه وكرم أخلاقه وسماحة نفسه لا شك أنه كان يقتدى فى ذلك كله بخاتم الأنبياء وإمام المرسلين ﷺ .

١١ - براعته فى معرفة العلل (*)

روى الخطيب البغدادى بسنده عن أبى عيسى الترمذى قال : ولم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان فى معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد ابن إسماعيل (١).

قال الذهبى : قال محمد بن أبى حاتم وسمعته يقول - يعنى البخارى - كنت فى مجلس الفريابى فقال : حدثنا سفيان عن أبى عروة عن أبى الخطاب عن أنس أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه فى غسل واحد ، فلم يعرف أحد فى المجلس أبا عروة وأبا الخطاب ، فقلت : أما أبو عروة فَمَعْمَر ، وأبو الخطاب قتادة ، قال : وكان الثورى فعولاً لهذا يكنى المشهورين (٢).

وقال الحافظ : وقد أحمد بن حمدون الحافظ : رأيت البخارى فى جنازة ، ومحمد بن يحيى الذهلى يسأله عن الأسناد والعلل والبخارى يمر فيه مثل السهم ، كأنه يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٣).

ولا شك فى أن معرفة العلل من أشرف علوم الحديث ، ولا يقدر عليها إلا الجهابذة قال عبد الرحمن بن مهدى : « لأن أعرف علة حديث هو عندى أحبُّ إلىَّ من أن أكتب عشرين حديثاً ليس عندى » (٤). ومما يشهد لبراعة البخارى ومهارته فى هذا الفن الغامض الدقيق ما قاله الترمذى فى كتابه العلل

(*) والعلة اصطلاحاً هى سبب غامض خفى يقدح فى صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها .
(١) تاريخ بغداد (٢ / ٢٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣) وهو نوع من التدليس .
(٣) تغليق التعليق (٥ / ٤١٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٢) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ٦٩) .
(٤) كتاب معرفة علوم الحديث للإمام الحاكم أبى عبد الله (١١٢) مكتبة المتنبى .

وهو مطبوع مع جامعه :

« وما كان فيه من ذكر العلل فى الأحاديث والرجال والتاريخ فهو مما استخرجته من كتاب التاريخ ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل ومنه ما ناظرت عبد الله بن عبد الرحمن وأبا زرعة ، وأكثر ذلك عن محمد وأقل شئ فيه عن عبد الله وأبى زرعة »(١).

وقال الذهبى : قال محمد بن حمدون بن رستم : سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إليه البخارى فقال : « دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله »(٢).

---

(١) جامع الترمذى (١ / ٣٠٣) عارضة .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٢) .

١٢- فقهه رحمه الله

لا شك فى أن تراجم كتابه الصحيح خير دليل على فقهه ، وقد اشتهر من قول العلماء : « فقه البخارى فى تراجمه » .

فقال الحافظ : قال يعقوب الدورقى : محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال بندار : هو أفقه خلق الله فى زماننا .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر : لما مات أحمد بن حرب النيسابورى ركب محمد بن إسماعيل وإسحاق يشيعان جنازته فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون : محمد أفقه من إسحاق .

وقال أحمد بن إسحاق الرسمارىُّ : من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل (١) .

وقال الذهبى : قال محمد بن أبى حاتم سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لى أبو مصعب الزهرى : محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد ابن حنبل . فقيل له : جاوزت الحد . فقال الرجل : لو أدركت مالكاً ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت : كلاهما واحد فى الفقه والحديث (٢) .

قال البخارى : سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسياً فسكت طويلاً متفكراً ، فقلت أنا : قال النبى ﷺ : « إن الله تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم » (٣) . وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث :

---

١) باختصار من تغليق التعليق (٥ / ٤٠٤ - ٤٠٩) .
٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٢٠) .
٣) رواه البخارى (٩/ ٣٠٠) الطلاق ، ومسلم (٢ / ١٤٧) الإيمان .

العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه ، فقال إسحاق : قويتنى وأفتى به [١] .

وقال الحافظ : وسئل قتيبه عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيل ، فقال قتيبة للسائل : « هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وعلى بن المدينى قد ساقهم الله إليك وأشار إلى البخارى » [٢] .

---

(١) تغليق التعليق (٥ / ٤٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤١٤) .
(٢) هدى السارى (٥٠٦) .

١٣ - احتياطه فى جرح الرواة

قال بكر بن منير : سمعت أبا عبد الله البخارى يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبتُ أحداً [(١)].

قال الحافظ الذهبى : صدق رحمه الله ومن نظر فى كلامه فى الجرح والتعديل علم ورعه فى الكلام فى الناس وإنصافه فيمن يضعفه : فإنه أكثر ما يقول منكر الحديث ، سكتوا عنه ، فيه نظر ونحو هذا ، وقل أن يقول : كذاب ، أو كان يضع الحديث ، حتى أنه قال : إذا قلت فلان فى حديثه نظر فهو متهم واهٍ ، وهذا معنى قوله : لا يحاسبنى الله أنى أغتبت أحداً ، وهذا هو والله غاية الورع .

قال محمد بن أبى حاتم الوراق : سمعته - يعنى البخارى - يقول : لا يكون لى خصم فى الآخرة فقلت : إن بعض الناس ينقمون عليك فى كتاب « التاريخ » ويقولون : فيه إغتياب الناس . فقال : إنما روينا ذلك رواية لم نَقُلْهُ من أنفسنا قال النبى ﷺ : « بئس مولى العشيرة » يعنى حديث عائشة [(٢)].

وسمعته يقول : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها [(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٩) ، وتاريخ بغداد (٢ / ١٣) ، وطبقات الشافعية (٢/٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٢) رواه مالك (٢ / ٣ ٩٠ ، ٩٠٤) ، والبخارى (١٠ / ٤٦٧) الأدب : لم يكن النبى ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ومسلم (١٦ / ١٤٤) البر والصلة : باب مداراة من يتقى فحشه .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤١) .

وقال النووى فى الأعذار المبيحة للغيبة : الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجرحين من الرواه والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صوناً للشريعة - شرح النووى على صحيح مسلم (١٦ / ١٤٢) .

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى : وخلاصة القول أن الجرح أمر صعب ويحتاج فيه أقصى درجة من التديـن والـورع والتقـوى والاحتياط قال ابن خلاد للإمـام يحيـى بن سعيـد القطـان : أما تخشى أن يكون هـؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ، فقال : لأن يكونوا خصمائى أحبُّ إلىَّ من أن يكون خصمى رسول الله ﷺ يقول لى : لِمَ لَمْ تذب الكذب عن حديثى .

ومسلك الاحتياط الذى سلكه الإمام البخارى يدل على منزلته العيا من التدين والإخلاص والورع ، فطريقته فى الجرح أنه يختار كلمات لا يمكن أى شخص أن يؤاخذ بها المجروح ومن كلماته فى الجرح :

« تركـوه ، أنكره الناس ، المتروك ، الساقـط ، فيـه نظر ، سكتـوا عنه ، وغيرها » .

ومن النادر أن يثبت عن البخارى أنه قال عن رجل بأنه وضاع أو كذاب ، ومن أشد كلمات الجرح عند البخارى أن يقول : منكر الحديث [1] .

---

(١) سيرة البخارى (٦٨ ، ٦٩) .

١٤ - مكانة الإمام البخارى ومحبته فى قلوب المسلمين

وكما رزق الإمام البخارى هذه الملكة العظيمة فى الحفظ ، ورزق مع ذلك الفقه والزهد والورع والعبادة ، رزق كذلك المحبة والقبول فى قلوب الخلق ، فمالك قلوبهم ومصرفها كيف يشاء هو الذى وهبه هذه الموهوبات الجليلة والنعم الجزيلة ، وقد وعد الله عز وجل أهل الإيمان والعمل الصالح بالمودة والمحبة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

قال بعض السلف : إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله عليه بقلوب أوليائه حتى يرزقهم مودته .

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى : كان الإمام البخارى كلما حل مدينة أو ترك أرضا كان المسلمون يزدحمون حوله حيث يفوق الوصفَ والبيان .

وكان الناس بعد ما سمعوا تلك الأوصاف الخارقة التى وهبها الله هذا الإمام الجليل من فقه عديم النظير ، وذاكرة خارقة وتبحر فى العلم يتمنون رؤيته ، فإذا نزل مكاناً تجمعوا حوله بحيث لا يكاد يوجد موضع قدم .

ولما رجع إلى بخارى عائداً من رحلته الدراسية نصبت له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور ، ونثر عليه الدرهم والدنانير .

وجرى له مثل هذا فى نيسابور قال الإمام مسلم : لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور مارأت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به . استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث .

ولما عقد الإمام البخارى مجلس الإملاء فى عاصمة العلم بغداد كان صالح بن محمد جزرة يستلمى له فقال :

« بلغ من حضر المجلس عشرين ألفاً »

وقال محمد بن عبد الرحمن الدغلوى :

كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخارى كتاباً فيه :

المُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيتَ لَهُمْ
وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تُفْتَقَدُ (١)

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٢٢) .

١٥ - ثناء العلماء عليه

وهذا الفصل يتضمن ثناء شيوخه عليه ، وثناء معاصريه ، وثناء من بعدهم من علماء الأمة ، ونبدأ بثناء شيوخه عليه لأن رأى الشيخ فى تلميذه يكون أصح من غيره ، فهو كثيراً ما يجد فرصاً لإختبار ذكائه وفهمه وحفظه .

أ - ثناء شيوخه عليه

قال قتيبه بن سعيد : جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل ، وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة « أى فى العقل والمعرفة والجهر بالحق » .

وقال أيضاً : لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة لكان آية [١] .

وكان سليمان بن حرب وهو من شيوخ البخارى يقول له : « بين لنا غلط شعبه » [٢] .

ومن شيوخه أيضاً إسماعيل بن أبى أويس وكان البخارى ينتخب الأحاديث الصحيحة من كتابه فكان ينسخ هذه الأحاديث لنفسه وكان يقول باعتزاز : « هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثى » [٣] .

واجتمع أهل الحديث يوماً فسألوا الإمام البخارى أن يكلم لهم إسماعيل ابن أبى أويس « وذلك لأن ابن أبى أويس كان يحترم الإمام البخارى أشد احترام » فحقق الإمام ما أرادوا ، وتقديراً لهذه الشفاعة دعا الشيخ الجارية فأمرها

(١) هدى السارى (٥٠٦)
(٢) المصدر السابق (٥٠٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤١٩) .
(٣) تاريخ بغداد (٢ / ١٩) ، هدى السارى (٥٠٦) .

أن تخرج صرة دنانير وقال : يا أبا عبد الله فَرِّقْهَا عليهم ، قال فقلت : إنما أرادو الحديث قال : أجبتك إلى ما طلبوا من الزيادة غير أنى أحب أن يضم هذا إلى ذاك » (١) .

وقال الذهبى : قال أبو جعفر محمد بن أبى حاتم : سمعت بعض أصحابى يقول : كنت عند محمد بن سَلَاْم فدخل عليه ابن إسماعيل فلما خرج . قال محمد بن سلام : كلما دخل عَلَيَّ هذا الصبى تحيَّرت وألبس عَلَيَّ هذا الحديث وغيره ، ولا أزال خائفاً ما لم يخرج (٢) .

وقال محمد : وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار ، فلما وقع بصره عليَّ ، قال : من أين الفتى ؟ قلت من أهل بخارى فقال له : كيف تركت أبا عبد الله ؟ فأمسكت فقالوا له : يرحمك الله هو أبو عبد الله فقام وأخذ بيدى وعانقنى وقال : « مرحباً بمن افتخر به منذ سنين » (٣) . وقال الفربرى : رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخارى وسمعته يقول : « أنا من تلامذته » .

ومع أنه من شيوخ البخارى قد حدث عنه فى الجامع الصحيح وقال : لم أر مثله ، وكانت وفاته سنه مات أحمد بن حنبل (٤) .

ب - ثناء أقرانه ومعاصريه عليه

وقد جاء فى المثل : « المعاصرة سبب المنافرة » ،هذا ظاهر بالاستقراء كما

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤١٩) ، وهدى السارى (٥٠٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤١٦ ، ٤١٧) ، وطبقات الشافعية الكبرى (٢ /٢٢٢) .
(٣) تاريخ بغداد (٢ / ١٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٢٣) .
(٤) هدى السارى (٥٠٨) وذكر الذهبى فى السير قوله : « أنا من تلامذة محمد بن إسماعيل » (٤٢٤/١٢) .

حدث بين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وابن حجر الهيتمي ، وابن حجر العسقلاني والعيني والسخاوي والسيوطي ، ونبوغ البخاري ، وتقدمه أقر له به شيوخه ، واعترفوا بفضله وعلمه ، وقدموه حتى على أنفسهم ، فلا عجب أن يُقِرَّ لَهُ أقرانه بذلك مع أنه رحمه الله لم يسلم من حسد الحاسدين .

قال أبو حاتم الرازي : لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل ، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه [(١)].

وقال الحسين بن محمد بن عبيد المعروف بالعجلي : « ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل ، ومسلم حافظ ، ولكنه لم يبلغ محمد بن إسماعيل . وقال : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه ، وكان أُمَّةً من الأمم ديِّناً فاضلاً يحسن كل شيء ، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا [(٢)].

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي صاحب السنن : قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق ، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل وقال أيضاً : هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلباً » [(٣)].

ولما نعي الدرامي إلى الإمام البخاري أنشد هذا البيت وأطرق مليّاً :

إنْ عِشت تَفْجَعُ فِي الأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ ... وبَقَاءَ نَفْسِكَ لاَ أَبَالَكَ أفْجَعُ

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة :

ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث بن محمد بن إسماعيل [(٤)].

وقال أبو عمر الخفاف : هو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما

---

(١) تاريخ بغداد (٢٣/٢) ومقدمة الفتح (٥٠٩) .
(٢) تاريخ بغداد (٣٠/٢) ، وهدى الساري (٥٠٩) .
(٣) مقدمة الفتح (هدى الساري) (٥٠٩) .
(٤) تاريخ بغداد (٢ / ٢٧) ، ومقدمة الفتح (٥٠٩) .

بعشرين درجة ، ومن قال فيه شيئاً فعليه منى ألف لعنة .

وقال أيضاً : لو دخل من هذا الباب وهو يحدث لملئت رُعْباً (١) .

وهذا غيضٌ من فيض ، وقليل من كثير ، ولو تتبعنا أقوال أقرانه ومعاصريه لطال الفصل ، وفيما نقلناه كفاية للدلالة على تقدمه على أقرانه ومعاصريه ، ونسأل الله أن لا يحرمنا من رؤية هؤلاء الأعلام ، وأن يجمعنا بهم فى دار السلام ، والله المستعان .

جـ - ثناء المتأخرين عليه

قال الحافظ : « ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره ، لفنى القرطاس ، ونفدت الأنفاس ، فذاك بحر لا ساحل له ، وإنما ذكرت كلام ابن عقده وأبى أحمد عنواناً لذلك ، وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر ، لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا ، ووصفوا ما علموا ، بخلاف من بعدهم ، فإن ثناءهم ووصفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل إليهم ، وبين المقامين فرق ظاهر ، وليس العيان كالخبر (٢) .

وقال العلامة العينى الحنفى :

الحافظ الحفيظ الشهير ، المميز ، النافذ ، البصير ، الذى شهدت بحفظه العلماء الثقات ، واعترف بضبطه المشايخ الأثبات ، ولم ينكر فضله علماء هذا الشأن ، ولا تنازع فى صحة تنقيده اثنان ، الإمام الهمام حجة الإسلام أبو عبد

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧ ، ٢٨) ، ومقدمة الفتح (٥٠٩) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٥ ، ٤٣٦)
(٢) هدى السارى (٥١٠) .

الله محمد بن إسماعيل البخارى [١].

وقال الشيخ نور الحق بن عبد الحي المحدث الدهلوى :

هو « الإمام البخارى » ما كان له مثيل فى عصره فى حفظ الأحاديث واتقانها ، وفهم معانى الكتاب والسنة ، وحدة الذهن ، وجودة القريحة ووفور العفة ، وكمال الزهد ، وغاية الورع ، وكثرة الإطلاع على طرق الحديث وعللها ، ودقة النظر ، ودقة الاجتهاد واستنباط الفروع من الأصول [٢].

وقال النووى رحمه الله فى خاتمة ترجمته :

فهذه أحرف من عيون مناقبه وصفاته ، ودرر شمائله وحلاته ، أشرت إليها إشارات لكونها من المعروفات الواضحات ، ومناقبه لا تستقصى لخروجها على أن تحصى ، وهى منقسمة إلى حفظ ودراية ، واجتهاد فى التحصيل ورواية ، ونسك وإفادة ، وورع وزهادة ، وتحقيق وإتقان ، وتمكن وعرفان ، وأحوال وكرامات ، وغيرها من أنواع المكرمات ، ويوضح ذلك ما أشرت إليه من أقوال أعلام المسلمين ، أولى الفضل والورع والدين ، والحفاظ والنقاد المتفننين الذين لا يجازفون فى العبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات ، وأقاويلهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة ، وفيما أشرت إليه أبلغ كفاية للمستبصر ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجمع بينى وبينه وجميع أحبابنا فى دار كرامته مع من اصطفاه ، وجزاه عنى وعن سائر المسلمين أكمل الجزاء ، وحباه من فضله أبلغ الحباء [٣].

وقال الحافظ ابن كثير فى ترجمته : البخارى الحافظ إمام أهل الحديث

---

(١) عمدة القارى (١/٥) نقلاً عن سيرة الإمام البخارى (١٢٠ ، ١٢١) .
(٢) سيرة الإمام البخارى (١٢١ ، ١٢٢) .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/٧٦) .

فى زمانه ، والمقتدى به فى أوانه ، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام ، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه ، وكذلك سائر أهل الإسلام (١) .

وقال كذلك : ولو استقصينا ثناء العلماء عليه فى حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا ، ونحن على عجل من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان ، وقد كان البخارى رحمه الله فى غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد فى الدنيا دار الفناء والرغبة فى الآخرة دار البقاء (٢) .

وقال القسطلانى :

هو الإمام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام ، شيخ الحديث وطبيب علله فى القديم والحديث ، إمام الأمة عجماً وعرباً ، ذو الفضائل التى سارت السراة بها شرقاً وغرباً ، الحافظ الذى لا تغيب عنه شاردة ، والضابط الذى استوى لديه الطارفه والتالدة (٣) .

وقال الشيخ عبد السلام المباركفورى :

والحق أن الاستدلال على تبحر إمام المحدثين فى العلم وذكائه وقوه اجتهاده وسيلان ذهنه بأقوال المتأخرين ، كرفع السراج أمام الشمس .

قال السبكى :

عَـلاَ عَـنِ المـدحِ حتَّى مَا يُزَانُ بـه
كأنَّمـا المـدحُ من مِقْدَارِه يَضَـعُ (٤) .

---

(١) البداية والنهاية (١٢ / ٢٥) .
(٢) البداية والنهاية (١٢ / ٢٦) .
(٣) مقدمة إرشاد السارى (١٢٣) والطارفة المستحدثة والتالدة القديمة .
(٤) بتصرف من سيرة الإمام البخارى (١٢٢) .

١٦ - تلامذة إمام المحدثين

وقد مضى فى ذكر شيوخ البخارى رحمه الله أنه روى عن ألف وثمانين شيخاً ، ولا شك أن هذا من مناقبه لكثرة المنابع التى استقى منها ، وكلهم من أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون بأن الإيمان قول وعمل ، فإذا نظر إلى تلامذته الذين تربوا فى مجالسه ، واستفادوا منه ، ونهلوا من فيض علومه الزاخرة ، تبين لنا شرف هذا العالم الجليل ، وبركة حياته على الأمة ، كان الإمام الفربرى من أخص تلاميذ الإمام ، وكان يقول : « إن تسعين ألفاً من التلاميذ رووا عنه صحيح البخارى ولا شك كذلك فى أن علو شأن التلاميذ مفخرة لأستاذهم فهذا شيخ المحدثين تلامذته هم أئمة الحديث الذى دونت كتبهم وبقى على مر الأزمنة ذكرهم ، وانتفع الناس فى كل زمان بعد زمانهم بجهدهم وعلومهم ، وتصدى الأئمة الأعلام ، وأرباب القلوب والأفهام لشرح مصنفاتهم ، وتقريب علومهم ، فمن تلامذة الإمام البخارى ، مسلم بن الحجاج ، والترمذى ، والنسائى ، والدارمى ، وكلهم من الفضل بمكان بحيث يصل فضلهم وفيضهم إلى كل مكان وصل إليه الإسلام .

وهذه تراجم مختصرة لبعض تلامذته رحمهم الله :

١ - **مسلم بن الحجاج** : ولد سنة ٢٠٢ هجرية ، وهو نيسابورى الأصل ، ارتحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر ، وهو صاحب الصحيح ، وله مصنفات أخرى يضيق المجال عن ذكرها ، توفى رحمه الله فى ٢٥ رجب سنة ٢٦١ هجرية فى بلده نصر أباد من منطقة نيسابور [(١)] .

(١) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (١٣/١٠٠-١٠٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/٢/٨٩-٩٢) ، وفيات الأعيان (٥/١٩٤ - ١٦٩) ، والبداية والنهاية (١١ / ٣٣ - ٣٥) ، وتذكرة الحفاظ (٢ / ٥٨٨) ، وشذرات الذهب (٢ / ١٤٤ ، ١٤٥)

٢ - الإمام أبو عيسى الترمذى : ولد سنة ٢٠٦ هـ ، واسمه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى ، ومن مؤلفاته جامع الترمذى وكتاب العلل والشمائل ، توفى رحمه الله سنة ٢٧٩ هجرية (١) .

٣ - الإمام النسائى : واسمه أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن دينار ، ولد فى مدينة نساء من أرض خراسان سنة ٢١٥ ، وكان قد صنف كتابه السنن الكبرى فأهداه إلى أمير الرملة ، فقال له الأمير ، أكل ما فى هذا صحيح ، قال : لا . فقال له الأمير فجرد منه الأحاديث الصحيحة ، فاختار المجتبى وهو المعروف بسنن النسائى ، توفى رحمه الله سنة ٣٠٤هـ (٢) .

٤ - الإمام الدارمى : ولد رحمه الله سنة ١٨١ هـ ، واسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التيمى الدارمى ، وكنيته أبو محمد . ومن أهم مصنفاته السنن ، وقد اعتبره بعض المحققين من الكتب الستة بدلاً من ابن ماجه ، توفى رحمه الله يوم عرفه سنة ٢٥٥ هـ ودفن فى مرو (٣) .

٥ - محمد بن نصر المروزى : ولد سنة ٢٠٢ هـ وله قصة ذكرها الذهبى فى تذكرة الحفاظ : عن أبى العباس البكرى قال : « جمعت الرحلة بمصر بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد بن نصر والرويانى، فأرملوا ولم يبق

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢ / ٦٣٣) ، وتهذيب التهذيب (٩ / ٣٨٧ - ٣٨٩) ، وميزان الاعتدال (٥ / ١٢٤) ، ووفيات الأعيان (٤ / ٢٧٨٨) ، وشذرات الذهب (١٧٤/٢ - ١٧٥) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (٦ / ٧٥) .

(٢) الكامل فى التاريخ ، ووفيات الأعيان (١ / ٧٧ - ٧٨) ، والعبر (٢ / ١٢٣ - ١٢٤) ، وتهذيب التهذيب (١ / ٣٦ - ٣٧) وشذرات الذهب (٢ / ٢٣٩ - ٢٤١) ، وتهذيب الكمال (١ / ٢٣ - ٢٥) ، وتذكرة الحافظ ٢ / ٦٩٨ - ٧٠١) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠ / ٢٩ - ٣٢) ، وتهذيب التهذيب (٥ / ٢٩٤ - ٢٩٦) ، وطبقات المفسرين (١ / ٢٣٥) ، وشذرات الذهب (٢ / ١٣٠) ، والعبر (٢ / ٨) .

عندهم ما يقوتهم وجاعوا فاجتمعوا في بيت واقترعوا على من خرجت عليه القرعة يسأل . قال : فخرجت على ابن خزيمة فقال : أمهلوني حتى أصلي وقام . قال : فإذا هم بشمعة وخصي من قبل أمير مصر ففتحوا فقال : أيكم محمد بن نصر فقيل : هذا فأخرج صرة فيها خمسون دينار فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم ابن جرير ؟ فأعطاه مثلها ، ثم كذلك بابن خزيمة وبالروياني ثم حدثهم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في النوم : أن المحامد جياع قد طووا ، فأنفذ إليكم هذه الصرر ، وأقسم عليكم إذا نفدت فعرفوني »[(١)] .

٦ - **الإمام أبو حاتم الرازي :** ولد سنة ١٩٥ هـ ، وهو إمام في الجرح والتعديل وتوفي سنة ٢٧٧ وله اثنتان وثمانون سنة[(٢)] .

٧ - **الإمام ابن خزيمة :** لقبه الحافظ الذهبي بإمام الأئمة وشيخ الإسلام . ولد سنة ٢٢٩ هـ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ ، واسمه أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة[(٣)] .

٨ - **الإمام أبو عبد الله حسين بن إسماعيل المحاملي :** كان فاضلاً صادقاً ديناً ثقة . ولد سنة ٢٣٦هـ ، وتوفي ٣٣٠ هـ[(٤)] .

٩ - **الإمام إبراهيم الحربي :** من أئمة الفقة واللغة والأدب . ولد سنة

---

(١) الترجمة في بغداد (٣ / ٣١٥ - ٣١٨) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ٩٢ - ٩٤) ، وطبقات الشافعية (٢ / ٢٤٦ - ٢٥٥) ، وشذرات الذهب (٢ / ٢١٦ - ٢١٧) وانظر قصة المحمدين في تذكرة الحفاظ (٢ / ٧٥٣) ، وانظر البداية والنهاية ـ (١١ / ١٤٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٤٧ - ٢٦٣) ، وتاريخ بغداد (٢ / ٧٣ - ٧٧) ، وتذكرة الحفاظ (٥٦٧/٢ - ٥٦٩) ، وطبقات الشافعية (٢ / ٢٠٧ - ٢١١) ، وشذرات الذهب (١٧١/٢) ، وتهذيب التهذيب (٩ / ٢٨ - ٣٠) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٧٨/١) ، وتذكرة الحفاظ (٧٢٠/٢ - ٧٣٠) ، والبداية والنهاية (١٤٩/١١) ، وشذرات الذهب (٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣) .

(٤) تاريخ بغداد (٨ / ١٩ - ٢٣) ، والعبر (٢ / ٣٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٥٨ - ٢٦٣) .

١٩٨ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٥هـ (١).

١٠ - الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم :كان ظاهري المذهب. ولد سنة ٢٣٠هـ ، وتوفي سنة ٢٨٧ هـ ، قاضي أصبهان وصاحب المصنفات (٢).

١١ - الإمام الفربري : وهو آخر من روى الصحيح عن إمام المحدثين ، ولد سنة ٢٣١هـ ، وكان الناس يرتحلون إليه من أنحاء الدنيا لأخذ صحيح البخاري عنه . توفي سنة ٣٣٠ هـ (٣).

١٢ - الإمام صالح بن محمد جزره : كان قوي الحافظة . ومن شيوخه يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وسعيد بن سليمان ، وأبو نصر التمار وغيرهم توفي سنة ٢٩٣ هـ (٤).

١٣ - الإمام أبو إسحاق بن معقل النسفي : كان يروي صحيح البخاري بسنده في بلاد المغرب ، توفي سنة ٢٩٥ هـ (٥).

ومن تلامذة إمام المحدثين أيضاً : أبو بكر بن أبي الدنيا (ت ٣٠٥هـ) صاحب التصانيف ، وأبو بكر البزار (ت ٢٩٢ هـ) صاحب التصانيف ، وموسى بن هارون الحمال (ت ٢٩٤ هـ) ، ومحمد بن عبد الله المطين (ت٢٩٧هـ) ، وأبو بشر الدولابي (ت ٣١٠ هـ) وغيرهم كثير من أئمة الحديث وعلماء المسلمين رحمهم الله أجمعين وجمعنا بهم في عليين مع الأنبياء والشهداء والصالحين .

---

(١) تذكرة الحافظ (٢ / ٥٨٤ ، ٢٨٦) ، وطبقات السبكي (٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧) ، وشذرات الذهب (١٩٠/٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) ، والبداية والنهاية (٧٩/١١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) ، وتاريخ بغداد (١٢ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) ، وتذكرة الحافظ (١ / ٣٩٢) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/١٥ ,١١) ، ووفيات الأعيان (٢٩٠/٤) ، وشذرات الذهب(٨٢٦) .

(٤) تاريخ بغداد (٣٢٢/٩-٣٢٨)، والبداية والنهارية (١٠٢/١١)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/١٤-٢٤).

(٥) تذكرة الحافظ (٦٨٦/٢-٦٨٧) ، وشذرات الذهب (٢١٨/٢) ، وسير أعلام النبلاء(٤٩٣/١٣) .

١٧ - مؤلفات شيخ المحدثين
محمد بن إسماعيل البخارى

١ - الجامع الصحيح :

المسمى « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه »

٢ - التاريخ الكبير :

وهو التاريخ الذى ألفه الإمام البخارى حينما كان فى الثامنة عشرة من عمره ، وذلك فى الليالى المقمرة فى المسجد النبوى ، ولما رآه إسحاق بن راهوية فرح به وقدمه إلى الأمير عبد الله بن طاهر الخراسانى وقال له : « ألا أريك سحراً » [(١)] .

٣ - التاريخ الأوسط :

ولم يطبع هذا الكتاب وانظر تاريخ التراث (١ / ٢٠٤) لفؤاد سزكين ، وتاريخ الأدب لبروكلمان (٣ / ١٧٨) .

٤ - التاريخ الصغير :

وهو مطبوع من رواية أبى محمد زنجويه بن محمد النيسابورى ، وقد ذكر فيه الإمام البخارى مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وسنى وفاتهم ، ونسبهم ولقاءهم ، ويذكر فى الغالب الجرح والتعديل ، ورتب تأليفه على السنوات فإذا انتهى من سنة وذكر وفيات مشاهيرها بدأ لسنة أخرى [(٢)] .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٧) .
(٢) سيرة البخارى (١٤٨ ، ١٤٩) .

٥ - خلق أفعال العباد :

ورواه عن البخارى يوسف بن ريحان بن عبد الصمد والعلامة الفربرى ، وفيه رد على الجهمية والمعطلة بالآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين وهو مطبوع .

٦ - كتاب الضعفاء الصغير :

وقد ذكر فيه أسماء الرواة الضعفاء مرتبة على حروف الهجاء ويبين غالب الأحيان أسباب الضعف ، مع ذكر شيوخ الراوى ، وقد روى هذا الكتاب عن البخارى أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى ، وأبو جعفر شيخ ابن سعيد ، وآدم بن موسى الخوارى وغيرهم .

٧ - الأدب المفرد :

وهو يعلم أخلاق النبى ﷺ وآدابه وهو مطبوع مع شرح فضل الله الجيلانى باسم فضل الله الصمد فى توضيح الأدب المفرد . ط . المطبعة السلفية ومكتبتها.

٨ - جزء رفع اليدين :

وهو من رواية محمود بن إسحاق الخزاعي وهو مطبوع بتحقيق العلامة أبى محمد بديع الدين شاه الراشدى السندى ، باسم جلاء العينين بتخريج روايات البخارى فى جزء رفع اليدين ، وفى الهامش تعليقات للشيخ فيض الرحمن النورى وكذلك إرشاد الحق الأثرى .

٩ - جزء القراءة خلف الإمام :

وهى رسالة مشهورة للإمام البخارى أثبت فيها القراءة خلف الإمام ورد على أدلة المخالفين .

١٠ - كتاب الكنى :

ذكره أبو أحمد وهو ينقل منه فى تصانيفه ، وقد طبع فى حيدر أباد .

وله رحمه الله كتب أخرى فى عداد المخطوطات والمفقودات فمن ذلك كتاب المبسوط ، وكتاب بر الوالدين ، وكتاب الأشربة ، وكتاب الوجدان ، وكتاب الجامع الصغير فى الحديث ، وكتاب قضايا الصحابة والتابعين ، وكتاب الرقاق ، وكتاب الفوائد ، والمسند الكبير ، والتفسير الكبير ، وكتاب الهبة ، وكتاب أسامى الصحابة ، وانظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان .

١٨ - فتنة البخارى ووفاته رحمه الله

قال الخطيب البغدادى :

أخبرنى الحسن بن محمد الأشقر قال : أنبأنا محمد بن أبى بكر الحافظ قال : سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول : سمعت أبا سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول : بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلَىَّ كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال محمد بن إسماعيل لرسوله : أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كانت لك إلى شئ منه حاجة فاحضرنى فى مسجدى أو فى دارى ، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم لقول النبى ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار » [١] . قال فكان سبب الوحشة بينهما هذا [٢] .

وقال الحاكم :

سمعت محمد بن العباسى الضبى يقول : سمعت أبا بكر بن أبى عمرو يقول : كان سبب مفارقه أبى عبد الله البخارى البلد أن خالد بن أحمد خليفة ابن طاهر سأله أن يحضر منزله فيقرأ التاريخ والجامع على أولاده فامتنع من ذلك . وقال : لا يسعنى أن أخص بالسماع قوماً دون قوم آخرين فاستعان خالد

(١) رواه الترمذى (١١٨/١٠) العلم ، وأبو داود (٣٦٤١) العلم ، وابن ماجه (٢٦٦) المقدمة ، وحسنه الترمذى وصححه الألبانى ، وقال عبد القادر الأرناؤوط وله شاهد عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٣٣) ، وذكره الذهبى فى سيره (١٢ / ٤٦٤) ، والحافظ فى هدى السارى (٥١٨) .

بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلموا في مذهبه فنفاه عن البلد قال : فأما خالد فلم يأت عليه أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليه وهو على أتان ، وأشخص على أكاف ثم صار عاقبه أمره إلى الذل والحبس ، وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلى في أهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف ، وأما فلان فإنه ابتلى في أولاده فأراه الله فيهم البلايا (١) .

وقال ابن عدى :

سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار يقول : خرج البخاري إلى بخرتنك قرية من قرى سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم قال : فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه : اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك قال : فما تم الشهر حتى قبضه الله (٢) .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق :

سمعت غالب بن جبريل - وهو الذى نزل عليه البخاري بخرتنك - يقول: إنه أقام فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب وتهيأ للركوب ، ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا أخذ بعضده قال : أرسلوني فقد ضعفت فأرسلناه ، فدعا دعوات ثم اضطجع فقضى ، ثم سال منه عرق كثير ، وكان قد قال لنا : كفنوني من ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة . قال ففعلنا أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته وفاح من تراب قبره

---

(١) هدى السارى (٥١٨) ، وتاريخ بغداد (٢ / ٣٣ ، ٣٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٤ - ٤٦٥) .

(٢) هدى السارى (٥١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٦٦) ، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٤) .

رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه مشبكاً (١) .

وروى الخطيب البغدادى :

عن عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال : رأيت النبى ﷺ فى النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف فى موضع - ذكره - فسلمت عليه فرد السلام . فقلت : ما وقوفك يارسول الله ؟ فقال : أنتظر محمد بن إسماعيل البخارى فلما كان بعد أيام بلغنى موته فنظرنا فإذا هو قد مات فى الساعة التى رأيت النبى ﷺ فيها (٢) .

قال الحافظ الذهبى : قال ابن عدى :

سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخارى يقول : توفى البخارى ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء ، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين ، وعاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً (٣) .

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى :

وهكذا غربت تلك الشمس التى أنارت الدنيا بضيائها الباهر ، ووارى التراب حامل العلوم النبوية ، وخادم أحاديث الرسول ﷺ ، الذى أثقل كواهل أهل الدنيا بإحسانه العظيم إليهم ، نعم قد واراه التراب وكأن الدنيا

---

(١) هدى السارى (٥١٨) ، وذكره الذهبى فى السير مع زيادات ولا شك أن أخذ التراب تبركاً لا يجوز فلا يتبرك بأحد بعد رسول الله ﷺ .

(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٣٤) ، وذكره الحافظ فى هدى السارى (٥١٨) ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٦٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٦٨) ؛ وانظر تاريخ بغداد (٢ / ٣٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٦٨/١) ، ووفيات الأعيان (٤ / ١٩٠) .

قد أظلمت وما أحسن ما نظمه بعض الشعراء مبيناً تاريخ ميلاده ووفاته ومدة حياته فقال :

كَانَ البُخَارِى حَافِظًا ومحدثًا ... جَمَعَ الصَّحِيْحِ مُكَمَّلَ التَّحْرِيْر

مِيْلَادُهُ صِدْقٌ ومدة عُمْرِه ... فيها حميد وانقضى فى نور (١)

١٩٤ ... ٦٢ ... ٢٥٦

انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر لنا جمعه فى ترجمة هذا الإمام الهمام . والله أسأل أن يعم نفعه وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ..

(١) سيرة الإمام البخارى (١٠٤) .

من أعـلام السلـف

٣٥

مسلم بن حجاج النيسابوري

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْدِ بن كوشاذ القشيرى النيسابورى ، وكنيته أبو الحسين . الإمام الكبير الحافظ المجوِّد الحجة الصادق .

مولده : قال الذهبى : ولد سنة أربع ومائتين وما أظنُّه إلا ولد قبل ذلك [(١)] .

صفته : قال الحاكم : سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمِىُّ يقول : رأيت شيخاً حسن الوجه والثياب ، وعليه رداء حسن وعمامة قد أرخاها بين كتفيه ، فقيل : هذا مسلم فتقدم أصحاب السلطان فقالوا : قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين ، فقدموه فى الجامع ، فكبر وصلى بالناس [(٢)] .

وقال الحاكم كذلك : وسمعت أبى يقول : رأيت مسلم بن الحجاج يحدث فى خان محمش ، فكان تام القامة ، أبيض الرأس واللحية ، يرخى طرف عمامته بين كتفيه [(٣)] .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٠ / ١٨٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٦٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٧٠) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن أحمد بن سلمة قال : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما [(١)].

وعن الحسين بن منصور قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وذكر مسلم بن الحجاج فقال : مراد كابن بوذ . قال المنكدرى وتفسيره : أى رجلٍ كان هذا [(٢)].

وقال أبو عمرو أحمد بن المبارك : سمعت إسحاق بن منصور يقول لمسلم ابن الحجاج : لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين [(٣)].

وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم : كان ثقة من الحافظ ، كتبت عنه بالرى وسئل أبى عنه فقال : صدوق [(٤)].

وقال أبو قريش الحافظ : سمعت محمد بن بشار يقول : حفاظ الدنيا أربعة : أبو زرعة بالرَّىّ ، ومسلم بنيسابور ، وعبد الله الدارمى بسمرقند ، ومحمد ابن إسماعيل ببخارى .

وقال أبو عمرو بن حمدان : سألت ابن عقدة الحفاظ عن البخارى ومسلم أيهما أعلم ؟ فقال : كان محمد عالماً ، ومسلم عالماً .

فكررت عليه مراراً ثم قال : يا أبا عمرو قد يقع لمحمد بن إسماعيل الغلط فى أهل الشام ، وذلك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها فربما ذكر الواحد منهم

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ١٠١) .
(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ١٠٢) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٠ / ١٨٤) .
(٤) تاريخ الإسلام (٢٠ / ١٨٥) .

بكنيته ، ويذكره فى موضع آخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان ، وأما مسلم فَقَلَّ ما يقع له من الغلط فى العلل ، لأنه كتب المسانيد ، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل [١] . وقوله : « المسانيد » أى الأحاديث المسنده ، وذلك لأن البخارى رحمه الله أكثر فى صحيحه من المقاطيع والموقوفات والأحاديث المعلقة ، وذلك لأن البخارى رحمه الله قصد مع تجريد الصحيح استنباط الأحكام الفقهية والنكت الحكمية ، أما مسلم رحمه الله فقصد جمع جملةَ أحاديث صحيحة لتكون مرجع الناس ، فقسم كتابه إلى كتب ، ولم يقسم كل كتاب إلى أبواب ، فالبخارى رحمه الله كان يستأنس بالموقوفات والمقطوعات والمعلقات لما يذهب إليه من آراء فقهيه فرحم الله الجميع .

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم : إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال : محمد بن يحيى الذهلى ، ومسلم بن الحجاج ، وإبراهيم بن أبى طالب [٢] .

وقال النووى رحمه الله : واجمعوا على جلالته وإمامته وعلو مرتبته فى هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها ، ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعة وحذقه وقعوده فى علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح الذى لم يوجد فى كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب ، وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان إلى أن قال رحمه الله :

واعلم أن مسلماً رحمه الله أحد أعلام أئمة هذا الشأن وكبار المبرزين فيه ، وأهل الحفظ والإتقان ، والرحالين فى طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان ، والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان ، والمرجوع إلى

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ١٠٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٠ / ١٨٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٦٥) ، وتاريخ الذهبى (٢٠ / ١٩٥) .

كتابه ، والمعتمد عليه فى كل الأزمان [(١)].

ونقل أبو عبد الله الحاكم أن محمد بن عبد الوهاب الفرّاء قال : كان مسلم بن الحجاج من علماء الناس ومن أوعية العلم [(٢)].

وقال الحافظ : ثقة حافظ إمام مُصنِّف [(٣)].

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٩٠/٢ ، ٩١) ونقله أيضاً فى مقدمة شرح صحيح مسلم (١ / ١٠) باختصار .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٧٩) .
(٣) تقريب التهذيب (٥٢٩) ترجمة رقم ٦٦٢٣ ط . دار الرشيد بتحقيق عوامة .

٣ - أهمية صحيحه الجامع

قال النووى رحمه الله : ومن حقق نظره فى صحيح مسلم رحمه الله واطلع على ما أودعه فى إسناده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقة من نفائس التحقيق وجواهر التدقيق وأنواع الورع والاحتياط ، والتحرى فى الروايات ، وتلخيص الطرق واختصارها ، وضبط متفرقها وانتشارها ، وكثرة إطلاعه واتساع روايته وغير ذلك مما فيه من المحاسن والأعجوبات واللطائف الظاهرات والخفيات ، علم أنه إمامٌ لا يلحقه من بعد عصره ، وقل من يساويه بل يدانيه من أهل دهْرِهِ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم (١) .

وقال الحافظ رحمه الله : حصل لمسلم فى كتابه حظٌّ عظيمٌ مفرط ، لم يحصل لأحدٍ مثله ، بحيث أن بعض الناس كان يفضله على « صحيح » محمد ابن إسماعيل ، وذلك لما اختص به من جمع الطرق ، وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى ، من غير تقطيع ولا رِوايةٍ بِمعنى ، وقد نسِج على منواله خلق من النيسابوريين ، فلم يبلغوا شأوه فسبحان المعطى الوّهاب (٢) .

وقال ابن كثير رحمه الله فى ترجمة الإمام مسلم : صاحب الصحيح الذى هو تلو صحيح البخارى عند أكثر العلماء ، وذهبت المغاربة وأبو على النيسابورى إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فإن أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شئ من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ٩١ ، ٩٢) ، ومقدمة صحيح مسلم (٨ / ١١) .
(٢) تهذيب التهذيب (١٠ / ١١٤) .

الأبواب ، فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى واختياره فى « الصحيح » لها ما أورده فى « جامعة » معاصرة الراوى لشيخه وسماعه منه (١) .

وقال الذهبى رحمه الله : ليس فى « صحيح » مسلم من العوالى إلا ما قَلّ كالقعنبى عن أفلح بن حميد ، ثم حديث حماد بن سلمة وهمام ومالك والليث وليس فى الكتاب حديث عالٍ لشعبة ولا للثورى ولا لإسرائيل ، وهو كتاب نفيس كامل فى معناه ، فلما رآه الحفاظ أعجبوا به ولم يسمعوه لنزوله ، عمدوا إلى أحاديث الكتاب فساقوها من مروياتهم عاليه بدرجة وبدرجتين ونحو ذلك ، حتى أتوا على الجميع هكذا وسموه « المستخرج على صحيح مسلم » فعل ذلك عدّة من فرسان الحديث منهم أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء ، وأبو عَوَانة يعقوب بن إسحاق الاسفراييني وزاد فى كتابه متوناً معروفة بعضها ليّن ، والزاهد أبو جعفر أحمد بن حمدان الحيرى ، وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه ، وأبو حامد أحمد بن محمد الشاركى الهروى ، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقى ، والإمام أبو على الماسرجسى ، وآخرون لا يحضرنى ذكرهم الآن (٢) .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى أول « الأطراف » له بعد أن ذكر « صحيح البخارى » ثم سلك سبيله مسلم بن الحجاج فأخذ فى تخريج كتابه وتأليفه وترتيبه على قسمين وتصنيفه ، وقصد أن يذكر فى القسم الأول أحاديث أهل الاتقان، وفى القسم الثاني أحاديث أهل الترو الصدق الذين لم يبلغوا درجة المتثبتين ، فحالت المنية بيْنَه وبين هذه الأمنية ، فمات قبل استتمام كتابه غير أن كتابه مع إعوازه اشتهر وانتشر (٣) .

---

(١) البداية والنهاية (١١ / ٣٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٦٩ ، ٥٧٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٧٣ ، ٥٧٤) .

وقال الحاكم : أراد مسلم أن يخرج الصحيح على ثلاثة أقسام وعلى ثلاث طبقات ، من الرواة وقد ذكر هذا فى صدر خُطبته فلم يُقَدَّر له إلا الفراغ من الطبقة الأولى ومات ، ثم ذكر الحاكم مقالة هى مجرد دعوى فقال : إنه لا يذكر من الأحاديث إلا ما رواه صحابى مشهور له روايان ثقتان فأكثر ، ثم يرويه عنه أيضاً روايان ثقتان فأكثر ، ثم كذلك من بعدهم فقال : أبو على الجيانى : المرادُ بهذا أن هذا الصحابى أو هذا التابعى قد روى عنه رجلان خرج بهما عند حَدّ الجهالة .

قال القاضى عياض : والذى تأوله الحاكم على مسلم من اخترام المنية له قبل استيفاء غرضه إلا فى الطبقة الأولى فأنا أقول : إنك إذا نظرت فى تقسيم مسلم فى كتابه الحديث على ثلاث طبقات من الناس على غير تكرار ، فذكر أن القسم الأول حديث الحفاظ ثم قال إذا انقضى هذا أتبعه بأحاديث من لم يوصف بالحذق والإتقان ، وذكر أنهم لاحقون بالطبقة الأولى ، فهؤلاء مذكورون فى كتابه لمن تدبر الأبواب ، والطبقة الثانية قوم تكلم فيهم قوم وزكاهم آخرون ، فخرج حديثهم عمن ضُعّفَ أو أُتهم ببدعة وكذلك فعل البخارى .

ثم قال القاضى عياض : فعندى أنه أتى بطبقاته الثلاث فى كتابه ، وطرح الطبقة الرابعة .

قال الذهبى : بل خرج أحاديث الطبقة الأولى وحديث الثانية إلا النَّزْرَ القليل مما يستنكره لأهل الطبقة الثانية ، ثم خرج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث ليست بالكثيرة فى الشواهد والاعتبارات والمتابعات ، وقَلّ أن خَرّجَ لهم فى الأصول شيئاً ، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة فى « الصحيح » لجاء الكتاب فى حجم ماهو مرة أخرى ، ولنزل كتابه بذلك الاستيعاب عند رتبة الصحة وهم كعطاء بن السائب ، وليث ، ويزيد بن أبى زياد ، وأبان بن

ضمعة ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وطائفة أمثالهم ، فلم يخرج لهم إلا الحديث بعد الحديث ، إذا كان له أصل ، وإنما يسوق أحاديث هؤلاء ويكثر منها أحمد فى مسنده ، وأبو داود ، والنسائى ، وغيرهم ، فإذا انحطوا إلى إخراج أحاديث الضعفاء الذين هم أهل الطبقة الرابعة اختاروا منها ولم يستوعبوها على حسب آرائهم واجتهاداتهم فى ذلك .

وأما أهل الطبقة الخامسة كمن أجمع على إطراحه وتركه لعدم فهمه وضبطه أو لكونه مهتماً فيندر أن يخرج لهم أحمد والنسائى ، ويورد لهم أبو عيسى فيبينه بحسب اجتهاده لكنه قليل ، ويورد لهم ابن ماجه أحاديث قليلةً ولا يبين والله أعلم ، وقلّ ما يورد منها أبو داود فإن أورد بيّنه فى غالب الأوقات .

وأما أهل الطبقة السادسة كغلاة الرافضة ، والجهمية الدعاة ، وكالكذابين والوضاعين ، وكالمتروكين المتهوكين ،كعمر بن الصباح ، ومحمد المصلوب ، ونوح بن أبى مريم ، وأحمد الجويبارى ، وأبى حذيفة البخارى فما لهم فى الكتب حرف ما عدا عمر ، فإن ابن ماجة خرّج له حديثاً واحداً فلم يصب ، وكذا خرّجَ ابن ماجه للواقدى حديثاً واحداً ، فدَلّسَ اسمه وأبهمه (١) .

وقال النووى : ومما جاء فى فضل صحيح مسلم ما بلغنا عن مكى بن عبدأن أحد حفاظ نيسابور أنه قال : سمعت مسلم بن الحجاج (رحمه الله) يقول : لو أن أهل الحديث يكتبون مائتى سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند يعنى صحيحه .

قال وسمعت مسلماً يقول : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى

فكل ما أشار أن له علة تركته ، وكل ما قال أنه صحيح وليس له علة خرجته .

وذكر غيره ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى بإسناده عن مسلم رحمه الله قال : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة » (١) .

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٧٤ - ٥٧٦) .

(١) مقدمة شرح النووى لصحيح مسلم (١ / ٣٤) ط . قرطبة .

٤ - دقته رحمه الله وشدة تحريه في الصحيح الجامع

قال النووى رحمه الله ما ملخصه : سلك مسلم رحمه الله فى صحيحه طُرُقًا بالغة فى الاحتياط والإتقان والورع والمعرفة وذلك مصرح بكمال ورعه ، وتمام معرفته ، وغزارة علومه ، وشدة تحقيقه بحفظه ، وتعقده فى هذا الشأن وتمكنه من أنواع معارفة ، وتبريزه فى صناعته ، وعلو محله فى التمييز بين دقائق علومه ، لا يهتدى إليها إلا أفراد فى الأعصار ، فرحمه الله ورضى عنه ، وأنا أذكر أحرفاً من أمثلة ذلك تنبيهاً بها على ما سواها ، إذا لا يعرف حقيقة حاله إلا من أحسن النظر فى كتابه ، مع كمال أهليته ومعرفته بأنواع العلوم التى يفتقر إليها صاحب هذه الصناعة ، كالفقه ، والأصولين والعربية ، وأسماء الرجال ، ودقائق علم الأسانيد ، والتاريخ ومعاشرة أهل هذه الصنعة ، ومباحثتهم ، ومع حسن الفكر ، ونباهة الذهن ، ومداومة الاشتغال به وغير ذلك من الأدوات التى يفتقر إليها .

فمن تحرى مسلم رحمه الله اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا ، وتقييده ذلك على مشايخه وفى روايته ، وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما ، وأن حدثنا لا يجوز إطلاقة إلا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة ، وأخبرنا لما قُرِئَ على الشيخ ، وهذا الفرق هو مذهب الشافعى وجمهور أهل العلم بالمشرق .

ومن ذلك إعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة ، كقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان ، قال : أو قالا : حدثنا فلان ، وكما إذا بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث أو صفة الراوى ، أو نَسَبِه أو نحو ذلك ، فإنه يبينه ، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى ، وربما كان فى بعضه اختلاف فى المعنى ،

ولكن كان خفياً لا يتفطن له إلا ماهر في العلوم التي ذكرتها في أول الفصل مع إطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء .

ومن ذلك تحرية في رواية صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة كقوله : حدثنا محمد بن رافع قال حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن همام قال هذا ماحدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ : « إذا توضأ أحدكم فليستنشق » الحديث .

ومن ذلك تحريه في قوله : حدثنا عبد الله مسلمة حدثنا سليمان – يعني ابن بلال عن يحيى وهو ابن سعيد فلم يستجز – رضي الله عنه (١) . : سليمان ابن بلال عن يحيى بن سعيد لكونه لم يقع في روايته منسوباً فلو قاله منسوباً لكان مخبراً عن شيخه أنه أخبره بنسبه .

من ذلك احتياطه في تلخيص الطرق وتحول الأسانيد مع إيجاز العبارة وكمال حسنها ، ومن ذلك حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم وأصول القواعد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك (٢) .

---

(١) الأولى أن يقول رحمه الله ويقتصر الترضى على الصحابة رضي الله عنهم .
(٢) باختصار من مقدمة الإمام النووي لشرح صحيح مسلم (١ / ٤٣ ، ٤٤) .

٥ - الجواب على من عاب على مسلم إخراجه عن جماعة ممن تكلم فيهم بالضعف

قال النووى رحمه الله ما ملخصه : أعاب عائبون مسلماً بروايته فى صحيحه عن جماعة من الضعفاء والمتوسطين الواقعين فى الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح ، ولا عيب عليه فى ذلك ، بل جوابه من أوجه ذكرها الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله :

إحداها : أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف عند غيره ثقة عنده ، ولا يقال الجرح مقدم على التعديل ؛ لأن ذلك فيْمَا إذا كان الجرح ثابتاً مفسر السبب ، وإلا فلا يقبل الجرح إذا لم يكن كذاً .

وقد قال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى وغيره : ما احتج البخارى ومسلم وأبو داود به مِن جماعة علم الطعن فيهم من غيرهم محمول على أنه لم يثبت الطعن المؤثر مُفَسَّرَ السبب .

الثانى : أن يكون ذلك واقعاً فى المتابعات والشواهد لا فى الأصول ، وذلك بأن يذكر الحديث أولاً بإسناد نظيف رجاله ثقات ويجعله أصلاً ، ثم يتبعه بإسناد آخر أو أسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة أو لزيادة فيه تنبه على فائدة فيما قدمه .

الثالث : أن يكون ضعف الضعيف الذى احتج به طرأ بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه ، فهو غير قادح فيما رواه من قبل فى زمن استقامته ، كما فى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب فذكر الحاكم أبو عبد الله أنه اختلط بعد الخمسين ومائتين بعد خروج مسلم من مصر ، فهو فى ذلك كسعيد بن أبى عَروبة ، وعبد الرازق وغيرهما ، ممن

اختلط آخرا ولم يمنع ذلك من صحة الاحتجاج بما أخذ عنهم قبل ذلك .

الرابع : أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده ، وهو عنده من رواية الثقات نازل ، فيقتصر على العالى ولا يطول بإضافة النازل إليه مكتفياً بمعرفة أهل الشأن فى ذلك [١] .

(١) مقدمة الإمام النووى لشرح صحيح مسلم (١ / ٤٧ ، ٤٨) .

٦ - بين صحيح البخارى وصحيح مسلم

قال النووى رحمه الله تعالى :

اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز « الصحيحان البخارى ومسلم » ، وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث ، وهذا الذى ذكرناه من ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق ، والغوص على أسرار الحديث ، وقال أبو على الحسين ابن على النيسابورى الحافظ شيخ الحاكم أبى عبد الله بن البيع : كتاب مسلم أصح ووافقه بعض شيوخ المغرب ، والصحيح الأول ، وقد قرر الإمام الحافظ الفقيه النظّار أبو بكر الإسماعيلى رحمه الله فى كتابه « المدخل » ترجيح كتاب البخارى ، وروينا عن الإمام أبى عبد الرحمن النسائى رحمه أنه قال : ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخارى .

قال النووى : ومن أخصر ما ترجح به إتفاق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم وأعلم بصناعة الحديث منه ، وقد انتخب علمه عليه ولخّص ماارتضاه فى هذا الكتاب ، وبقى فى تهذيبه وانتقائه ست عشرة سنة ، وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة .

وممّا ترجح به كتاب البخارى أن مسلماً رحمه الله كان مذهبه بل نقل الإجماع فى أول « صحيحه » أن الإسناد المُعَنعَن له حكم الموصول بـ : سمعت بمجرد كون المُعَنعن عنه كانا فى عصر واحد ، وإن لم يثبت اجتماعها ، والبخارى لا يحمله على الإتصال حتى يثبت اجتماعها ، وهذا المذهب يرجح كتاب البخارى .

وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهى كونه أسهل تناولاً من حيث أنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق بـه ، جمع فيه طرقه التى ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخارى فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقه متباعده ، وكثير منها يذكره فى غير بابه الذى يسبق إلى الفهم أنه أولى به وذلك لدقيقه يفهمها البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ماذكره البخارى من طرق هذا الحديث (١) .

وقال السيوطى رحمه الله : فى تفسير قول النووى رحمه الله فى التقريب والبخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ، وقيل : مسلم أصح والصواب الأول : وعليه الجمهور لأنه أشد إتصالاً وأتقن رجلاً ، وبيان ذلك من وجوه :

أحدها : أن الذين انفرد البخارى بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضعة وثلاثون رجلاً، المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلاً ، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخارى ستمائة وعشرين ، المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون .

ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمن تكلم فيه وإن لم يكن ذلك الكلام قادحاً .

ثانيها : إن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم ، وليس لواحد منهم نسخة كثيرة أخرجها كلها أو أكثرها إلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس ، بخلاف مسلم فإنه أخرج أو أكثر تلك ، كأبى الزبير عن جابر ، وسهيل عن أبيه ، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه ؛ وحماد بن

سلمة عن ثابت ، وغير ذلك .

ثالثها : إن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيهم أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وعرف جيدها من غيره ، بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين فمن بعدهم ، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم عنهم .

رابعها : إن البخارى يخرج من الطبقة الأولى البالغة في الحفظ والإتقان ، ويخرج عن طبقة تليها فى التثبت وطول الملازمة إتصالاً وتعليقاً ، ومسلم يخرج عن هذه الطبقة أصولاً كما قرره الحازمى .

خامسا : إن مسلماً يرى أن للمعنعن حكم الإتصال إذا تعاصرا وإن لم يثبت اللقى ، والبخارى لا يرى ذلك حتى يثبت كما سيأتى ، وربما أخرج الحديث الذى لا تعلق له بالباب أصلاً إلا ليبين سماع راوٍ من شيخه ، لكونه أخرج له قبل ذلك معنعناً .

سادسا : إن الأحاديث التى انتقدت عليهما نحو مائتى حديث وعشرة أحاديث كما سيأتى أيضاً ، أختص البخارى منها بأقل من ثمانين ، ولا شك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر .

وقال المصنف فى شرح البخارى : من أخص ما يرجح به كتاب البخارى اتفاق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم ، وأصدق بمعرفة الحديث ودقائقه ، وقد انتخب علمه ولَخّصَ ما ارتضاه فى هذا الكتاب .

وقال شيخ الإسلام : اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم فى العلوم ، وأعرف بصناعة الحديث ، وأن مسلماً تلميذه وخريجه ، ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره ، حتى قال الدارقطنى : لولا البخارى ما راح

(١)

مسلم ولا جاء [١]. ونختم هذا الفصل بقول بعضهم :

تشاجر قومٌ في البخاري ومسلمِ ... لأيهما في الفضل كان التقدم
فقلت لقد فاق البخاري صحةً ... كما فاق في حسن الصناعة مسلمِ [٢]

---

(١) تدريب الراوي (١ / ٩١ - ٩٣) .
(٢) نقلاً عن مقدمة خلاصة القول المفهم على تراجم رجال جامع الإمام مسلم (١/١٤) لمحمد الأثيوبي .

٧ - شيوخه وتلامذته رحمه الله

شيوخه :

قال الخطيب البغدادى رحمه الله : رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر وسمع يحيى بن يحيى النيسابورى ، وقتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهوية ومحمد بن عمرو زنيجاً ، ومحمد بن مهران الحمال ، وإبراهيم بن موسى الفراء ، وعلى بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، وعبيد الله القواريرى وخلف بن هشام وسريج بن يونس وعبد الله بن مسلمة القعنبى وأبا الربيع الزهرانى ، وعبيد الله بن معاذ بن معاذ ، وعمر بن حفص بن غياث وعمرو بن طلحة القناد ، ومالك بن إسماعيل النهدى ، وأحمد بن يونس ، وأحمد بن جواس ، وإسماعيل بن أبى أويس وإبراهيم بن المنذر وأبا مصعب الزهرى ، وسعيد بن منصور ومحمد بن رمح ، وحرملة بن يحيى وعمرو بن سواد وغيرهم (١) .

وذكر المزى فى تهذيب الكمال مائتين وأربعة وعشرين شيخاً تهذيب الكمال (٢٧/٤٩٩ إلى ٥٠٤) .

تلامذته :

قال الذهبى رحمه الله : روى عنه الترمذى حديثاً وحداً فى جامعة ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء ، وعلى بن الحسن بن أبى عيسى الهلالى وهما أكبر منه ، وصالح بن محمد جزرة ، وأحمد بن مسلمة ، وأحمد بن المبارك المستملى ، وهم من أقرانه ، وإبراهيم بن أبى طالب ، والحسين بن محمد القبانى ، وعلى بن الحسين بن الجنيد الرازى ، وابن خزيمة ، وأبو العباس

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ١٠٠ ، ١٠١) .

السراج ، وابن صاعد ، وأبو حامد بن الشرقى ، وأبو عوانة الإسفرائينى ، وأبو حامد أحمد بن حمدون الأعمش ، وسعيد بن عمرو البرذعى ، وعبد الرحمن ابن أبى حاتم ، ونصرك بن أحمد بن نصر الحافظ ، وأحمد بن على بن الحسين القلانسى ، وإبراهيم بن محمد ، وسفيان الفقيه ، وأبو بكر محمد بن النضْر الجارودى ، ومكى بن عبدان ، ومحمد بن مخلد العطار ، وخلق آخرهم وفاة أبو حامد أحمد بن على بن حسنويه المقرئ أحد الضعفاء [١].

وانظر تهذيب الكمال (٢٧/٥٠٤ - ٥٠٥) .

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٠ / ١٨٣ ، ١٨٤) .

٨ - آثاره رحمه الله

قال النووي رحمه الله : صنَّفَ مسلم رحمه الله في علم الحديث كتباً كثيرة منها هذا الكتاب الصحيح الذي منَّ الله الكريم وله الحمد والنعمة والفضل والمنه به على المسلمين ، أبقى لمسلم به ذكراً جميلاً ، وثناءً حسناً إلى يوم الدين ، مع ما أعد له من الأجر الجزيل في دار القرار ، وعم نفعه المسلمين قاطبة ، ومنها الكتاب المسند الكبير على أسماء الرجال ، وكتاب الجامع الكبير على الأبواب ، وكتاب العلل ، وكتاب أوهام المحدثين ، وكتاب التمييز ، وكتاب من ليس له إلا راوٍ واحدٍ ، وكتاب طبقات التابعين وكتاب المخضرمين وغير ذلك [(١)] .

وذكر فؤاد سزكين له رحمه الله في تاريخ التراث كتاب الكنى والأسماء ، وكتاب « المنفردات والوحدات » ولعله الذي أشار إليه النووي بـ « كتاب من ليس له إلا راوٍ واحدٍ » .

وكتاب « الطبقات » يتناول فيه معاصري الرسول ﷺ الذين رأوه ورووا عنه ، والذين شاهدوه فقط ولم يرووا عنه .

ورجال عروة بن الزبير ، وكتاب التمييز ، [(٢)] . وقد تقدم في كلام النووي رحمه الله .

وزاد الذهبي في السير على ماذكر : كتاب الأقران ، وكتاب « سؤالات أحمد بن حنبل » كتاب « عمرو بن شعيب » كتاب « الإنتفاع بأهب السباع » كتاب « مشايخ مالك » ، كتاب « مشايخ الثوري » كتاب « مشايخ شعبة » . كتاب « أفراد الشاميين » [(٣)] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ٩١) .
(٢) تاريخ التراث (٢ / ٢٢٢) .

٩ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي رحمه الله :

توفي مسلم في شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ، عن بضع وخمسين سنة .

وقد ورد في سبب وفاته قصة ذكرها الخطيب في تاريخه عن أحمد بن سلمة قال : وعقد لمسلم مجلس المذاكرة ، فذكر له حديث لم يعرفه ، فانصرف إلى منزله ، وأوقد السراج ، وقال لمن في الدار لا يدخل أحد منكم ، فقيل له : أهديت لنا سلّةُ تمر . فقال : قدموها ، فقدموها إليه فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فأصبح وقد فني التمر ، ووجد الحديث .

رواها أبو عبد الله الحاكم : ثم قال : زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات [(١)] .

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٧٩) .

من أعلام السلف

٣٦

أبو داود السجستانى
سليمان بن الأشعث صاحب السنن

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر كذا قال عبد الرحمن بن أبي حاتم [(١)] . وقال الخطيب : بن عمرو بن عمران وقيل إنَّ جده عمران ممن قتل مع علي رضي الله عنه بصفين .

مولده : قال الذهبي : ولد سنة اثنين ومئتين ورحل وجمع وصنَّف وبرع في هذا الشأن .

وقال أبو عبيد الآجري : سمعته يقول : ولدت سنة اثنين ، وصليت على عفَّان سنة عشرين ، ودخلت البصرة وهم يقولون : أمس مات عثمان بن الهيثم المؤذن ، فسمعت من أبي عمر الضرير مجلساً واحداً [(٢)] .

صفته : عن إبراهيم بن علقمة قال : كان عبد الله يشبه بالنبي ﷺ في هديه ، ودلّه ، وكان علقمه يشبه بعبد الله ، وقال جرير بن عبد الحميد : كان إبراهيم يشبه بعلقمه ، وكان منصور يشبه بإبراهيم وقال غير جرير كان سفيان يشبه بمنصور وقال عمر بن أحمد وقال أبو علي القوهستاني : كان وكيع يشبه بسفيان ، وكان أحمد بن حنبل يشبه بوكيع ، وكان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل [(٣)] .

وعن محمد بن بكر بن عبد الرازق - في كتابه - قال : كان لأبي داود السجستاني كم واسع وكم ضيق فقيل له : يرحمك الله ماهذا ؟ قال الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه [(٤)] .

---

(١) الجرح والتعديل (٤ / ١٠٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٠٤) .
(٣) تاريخ بغداد (٩ / ٥٨) .
(٤) تاريخ بغداد (٩ / ٥٨) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال أبو بكر الخلال : أبو داود الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم ، وبصره بمواضعه أحد في زمانه ، رجل ورع مقدم وسمع أحمد بن حنبل منه حديثاً واحداً كان أبو داود يذاكره وكان إبراهيم الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعون من قدره ويذكرونه بما لا يذكرون أحداً في زمانه مثله (١) .

وقال أحمد بن محمد بن ياسين الهروي : كان أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاة والورع من فرسان الحديث (٢) .

وقال الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة (٣) .

وقال علان بن عبد الصمد : سمعت أبا داود وكان من فرسان الحديث (٤) . وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده : الذين خرجوا وميزوا الثابت من المعلول ، والخطأ من الصواب أربعة : البخاري ومسلم ثم أبو داود والنسائي (٥) .

وقال أبو حاتم ابن حبان : أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً ، جمع وصنف وذبّ عن السنن (٦) .

---

(١) تهذيب الكمال (١١ / ٣٦٤) وهو بسنده في تاريخ بغداد (٩ / ٥٧) .
(٢) تهذيب الكمال (١١ / ٣٦٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٢) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٢) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٥٧) .
(٦) تهذيب التهذيب (٤ / ١٥١) .

وقال الحاكم : أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة [١] .

وقال القاضى أبو سعيد الخليل بن أحمد السجزى سمعت أبا محمد أحمد بن محمد بن الليث قاضى بلدنا يقول : جاء سهل بن عبد الله التسترى إلى أبى داود فقيل يا أبا داود هذا سهل جاءك زائراً ، فرحب به فقال له سهل : أخرج إلىَّ لسانَك الذى تحدث به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبله . فأخرج إليه لسانه فَقَبَّلَهُ .

وقال الذهبى رحمه الله : كان أبو داود مع إمامته فى الحديث وفنونه من كبار الفقهاء ، فكتابه يدل على ذلك ، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد ، لازم مجلسه مدة ، وسأله عن دقائق المسائل فى الفروع والأصول .

وكان على مذهب السلف فى اتباع السنّة والتسليم لها ، وترك الخوض فى مضايق الكلام [٢] .

وقال أبو عبد الله الحاكم : أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة ، سمع بمصر ، والحجاز ، والشام ، والعراقين ، وخرسان ، وقد كتب بخرسان قبل خروجه إلى العراق فى بلده ، وهراه وكتب ببغلان عن قتيبة وبالرّى عن إبراهيم بن موسى ، إلا أنه أعلى إسناده القعنبى ، ومسلم بن إبراهيم ، وسمع جماعة ، قال : وكان قد كتب قديماً بنيسابور ، ثم رحل بابنه أبى بكر إلى خراسان [٣] .

وقال موسى بن هارون : مارأيت أفضل من أبى داود [٤] .

---

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ١٥١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٥ ، ٢١٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٢ ، ٢١٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٣) .

٣ - فضائل سنن أبى داود

قال الخطيب : وكان أبو داود قد سكن البصرة ، وقدم بغداد غير مرة ، وروى كتابه المصنف فى السنن بها ، ونقله عنه أهلها ، ويقال إنه صنفه قديماً ، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه [(١)] .

وروى الخطيب بسنده عن أبى بكر بن داسة قال : سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعنى كتاب السنن - جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها قوله عليه السلام « الأعمال بالنيات » ، والثانى قوله : « من حسن إسلام المرء تركة ما لا يعنيه » والثالث قوله : « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » والرابع قوله : « الحلال بيّن والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات » [(٢)] .

وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ، وعقب بقوله : يكفى الإنسان لدينه ممنوع ، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن [(٣)] .

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغانى وإبراهيم الحربى : لما صنَّفتَ أبو داود كتاب « السنة » أُلين لأبى داود الحديث ، كما أُلين لداود عليه السلام الحديث [(٤)] .

---

(١) تاريخ بغداد (٩ / ٥٦) .
(١) تاريخ بغداد (٩ / ٥٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٠) .
(٤) تهذيب التهذيب (٤ / ١٧٢) .

وقال الحاكم : سمعت الزبير بن عبد الله بن موسى سمعت محمد بن مخلد يقول : كان أبي داود يفي بمذاكرة مئة ألف حديث ، ولما صنَّفَ كتاب السنن وقرأه على الناس صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتبعونه ولا يخالفونه ، وأقَرَّ له أهل زمانه بالحفظ والتقدم فيه [(١)] .

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٢) وانظر تهذيب التهذيب (٤ / ١٧٢) .

٤ - شرط أبي داود في السنن

قال ابن داسة : سمعت أبا داود يقول : ذكرت في السنن الصحيح ومايقاربه فإن كان فيه وهن شديد بينته .

قال الذهبي : فقد وفّى رحمه الله - بذلك بحسب اجتهاده - وبين ما ضعفه شديد ، ووهنه غير محتمل ، وكاسر [(١)] عن ما ضعفه خفيف محتمل ، فلا يلزم من سكوته - والحالة هذه - عن الحديث أن يكون حسناً عنده ، ولا سيما إذا حكمنا على حد الحسن باصطلاحنا المولد الحادث الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح الذي يجب العمل به عند جمهور العلماء ، أو الذي يرغب عنه أبو عبد الله البخاري ويمشيه مسلم وبالعكس ، فهو داخل في أدنى مراتب الصحة ، فإنه لو انحط عن ذلك لخرج عن الاحتجاج ولبقي متجاذباً بين الضعف والحسن ، فكتاب أبي داود أعلى مافيه من الثابت ما أخرجه الشيخان ، وذلك نحو من شطر الكتاب ، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخن ورغب عنه الآخر ، ثم يليه ما رغبا عنه وكان إسناده جيداً وسلم من علة وشذوذ ، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لينين فصاعدا ، يعضد كل إسناد منهما الآخر ، ثم يليه ما ضعّف إسناده لنقص حفظ راويه فمثل هذا يمشيه أبو داود ويسكت عنه غالباً ، ثم يليه ماكان بيّن الضعف من جهة راويه ، فهذا لا يسكت عنه بل يوهنه غالباً ، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارته والله أعلم [(٢)] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : إن قول أبي داود : فإن كان فيه وهن

---

(١) أي كسر طرفه وغض بصره .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٤ ، ٢١٥) .

شديد بينته ... يفهم أن الذى يكون فيه وهن غير شديد أنه لا يبينه ، ومن هنا يتبين أن جميع ما سكت عنه أبو داود لا يكون من قبيل الحسن إذا اعتضد ؛ وهذان القسمان كثير فى كتابه جداً ، ومنه ماهو ضعيف لكن من روايه من لم يجمع على تركه غالباً ، وكل من هذه الأقسام عنده تصلح للاحتجاج بها كما نقل ابن منده عنه أنه يخرج الحديث الضعيف إذا لم يجد فى الباب غيره .

وقال النووى رحمه الله : فى سنن أبى داود رحمه الله أحاديث ظاهرة الضعف لم يبينها ، مع أنه متفق على ضعفها ، والحق أن ما وجدناه فى «سننه» مما لم يبينه ولم ينص على صحته أو حسنه أحد ممن يعتمد فهو حسن ، وإن نص على ضعفه من يعتمد أو رأى العارف فى سنده ما يقتضى الضعف ولا جابر له حكم بضعفه ، ولا يلتفت إلى سكوت أبى داود [(١)] .

وعقب محقق السِّيَر بقوله :

أبو داود يخرج أحاديث جماعة من الضُّعَفَاء ويسكت عنها مثل ابن لهيعة ، وصالح مولى التوأمة ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، وموسى بن وردان ، وسلمة بن الفضل وغيرهم ، فلا ينبغى للناقد أن يقلده فى السكوت على أحاديثهم ، ويتابعه فى الاحتجاج بهم ، بل طريقة أن ينظر هل لذلك الحديث متابع يعتضد به ، أو هو غريب فيتوقف فيه ، لا سيما إن كان مخالفاً لراويه من هو أوثق منه فإنه ينحط إلى قبيل المنكر ، وقد يخرج لمن هو أضعف من هؤلاء بكثير كالحارث بن حيبة ، وصدقه الدقيقى ، وعمرو بن واقد العمرى ، ومحمد بن عبد الرحمن البيلمانى ، وأبى حيان الكلبى ، وسليمان

---

(١) سير أعلام النبلاء هامش (١٣ / ٢١٣ ، ٢٩٤) .

ابن أرقم ، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وأمثالهم ، من المتروكين ، وكذلك ما فيه من الأسانيد المنقطعة وأحاديث المدلسين بالعنعنة ، والأسانيد التي فيها من أبهمت أسماؤهم ، فلا يتجه الحكم لأحاديث هؤلاء بالحسن من أجل سكوت أبي داود ، لأن سكوته تارة يكون اكتفاء بما تقدم من الكلام في ذلك الراوي في نفس كتابه ، وتارة يكون لذهول منه ، وتارة يكون لظهور شدة ضعف ذلك الراوي واتفاق الأئمة على طرح روايته ، كأبي الحويرث ، ويحيى ابن العلاء وغيرهما ، وتارة يكون من اختلاف الرواة عنه ، وهو الأكثر ، فإن في رواية أبي الحسن بن العبد عنه من الكلام على جماعة من الرواة والأسانيد ماليس في رواية اللؤلؤي [(١)]

(١) هامش سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٥)

٥ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن أبي سلمة التبوذكي ، وأبي الوليد الطيالسي ، ومحمد بن كثير العبدي ، ومسلم بن إبراهيم ، وأبي عمر الحوضي ، وأبي توبة الحلبي ، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ؛ وسعيد بن سليمان الواسطي ، وصفوان بن صالح الدمشقي ، وأبي جعفر النفيلي ، وأحمد ، وعلي ، ويحيى ، وإسحاق ، وقطن بن نسير وخلائق من العراقيين ، والخرسانيين ، والشاميين ، والمصريين والجزريين (١) .

تلامذته :

قال الحافظ : وروى عنه أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي ، وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الأشناني ، وأبو عمرو أحمد بن علي بن الحسن البصري ، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي ، وأبو بكر محمد بن عبد الرازق بن داسة ، وأبو الحسن علي بن الحسن بن العبد الأنصاري ، وأبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي وراقة ، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك بن يزيد الرواس وهؤلاء رواه السنن عنه ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي البصري راوي كتاب الرد على أهل القدر عنه ، وأبو بكر أحمد بن سليمان النجار راوي كتاب الناسخ والمنسوخ عنه وأبو عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري الحافظ راوي المسائل عنه ، وإسماعيل بن محمد المطفار ، راوي مسند مالك عنه ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وأبو عيسى الترمذي ، وحرب بن إسماعيل الكرماني ، وزكرياء

---

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ١٤٩) .

الساجي ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال الحنبلي ، وعبد الله بن أحمد بن موسى عبدان الأهوازي ، وأبو بشر محمد بن أحمد الدولابي ، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائني ، وابنه أبو بكر بن أبي داود ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ، وإبراهيم بن حميد بن إبراهيم بن يونس العاقولي ، وأبو حامد أحمد بن جعفر الأصبهاني ، وأحمد بن المعلى بن يزيد الدمشقي ، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروي ، والحسن بن صاحب الشاشي ، والحسين بن إدريس الأنصاري ، وعبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازي ، وعلي بن عبد الصمد ناعمه ، ومحمد بن مخلد الدوري ، ومحمد بن جعفر بن المستفاض الفريابي وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي وجماعة (١)

---

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ١٥٠)

٦ - آثاره رحمه الله

١ - كتاب السنن : وقد تقدم بيان فضائله وشرط مصنفه رحمه الله ، وقد شرحه الإمام الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ وأسماه « معالم السنن » وله شروح أخرى أشهرها وأكثرها تداولاً عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ومعه شرح للحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله .

٢ - كتاب الزهد : وهو مطبوع بتحقيق ياسر بن إبراهيم بن محمد ، وغنيم بن عباس بن غنيم ، ونشر دار المنشأة للنشر والتوزيع ، وهو من رواية ابن الأعرابي عن أبي داود السجستاني ، وقد صنَّفه أبو داود على مسانيد الصحابة والتابعين فابتدأ كتابه بذكر بعض الأخبار عن بني إسماعيل ، ثم بذكر أخبار العشرة سوى سعيد بن زيد ، ومعظمهم من كبار التابعين ، وبلغ عدد الآثار التي ساقها المصنف في كتابه ٥٢١ .

٣ - رسالة في وصف تأليفه لكتاب السنن : طبع بتحقيق محمد زاهد الكوثري القاهرة ١٣٦٩هـ .

٤ - كتاب المراسيل : وهو مطبوع كذلك طبع في القاهرة ١٣١٠هـ ، وله كتب أخرى مخطوطات فيها كتاب في الرجال ، وكتاب في القدر ، والمسائل التي خالف عليها الإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب في تسمية أخوة الذين روى عنهم الحديث ، وانظر مواضع المخطوطات في تاريخ التراث لفؤاد سزكين (١ / ٢٣٨) .

٧ - نتف من أخباره ودرر من أقواله

قال الخطابي : حدثني عبد الله بن محمد المسكي ، حدثني أبو بكر بن جابر خادم أبي داود قال : كنت مع أبي داود ببغداد فصليت المغرب ، فجاء الأمير أبو أحمد الموفّق فدخل فأقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث . قال : وماهي ؟ قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً لترحل إليك طلبة العلم فتعمر بك ، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس ، لما جرى عليها من محنة الزّنج قال : هذه واحدة . قال : وتروى لأولادي « السنن » فقال : نعم هات الثالثة . قال : تفرد لهم مجلساً ، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة قال : أما هذه فلا سبيل إليها لأن الناس في العلم سواء ..

قال ابن جابر : فكانوا يحضرون ويقعدون وبينهم وبين العامة ستر (١) .

روى الخطيب بسنده عن أبي بكر بن أبي داود قال : سمعت أبي يقول : الشهوة الخفية حب الرياسة (٢) .

قال أبو بكر بن أبي داود : سمعت أبي يقول : خير الكلام مادخل الأذن بغير إذن (٣) .

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢ / ٢٩٥ ، ٢٩٦) .
(٢) تاريخ بغداد (٩ / ٥٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢١٧) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال أبو عبيد الآجرى : توفـــى أبو داود فى سادس عشـر شوّال سـنـة خمس وسبعين ومئتين [١] .

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٢١) .

من أعـلام السلـف

٣٧

أبـو حـاتـم الـرازى

محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلى

١ - اسمه ومولده وموطنه

اسمه : محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلى أبو حاتم الرازى الحافظ .

مولده : قال الذهبى : مولده سنة خمس وتسعين ومائة .

وأول كتاب كتبه سنة تسع ومئتين وهو من نظراء البخارى ومن طبقته ولكنه عَمّرَ بعده أزيد من عشرين عاماً [(١)] .

موطنه : قال المزى : قيل كان سكن درب حنظلة بالرّى فنسب إليه [(٢)] . وعن عبد الله بن محمد بن يعقوب : سمعت أبا حاتم يقول : نحن من أهل أصبهان من قرية جروكان ، وأهلنا كانوا يقدمون علينا من حياة أبى ثم انقطعوا عنّا [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٤٧) .
(٢) تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٨١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥٠) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحافظ البغدادى : كان أحد الأئمة الحافظ الأثبات ، ومشهوراً بالعلم ، مذكوراً بالفضل [١].

وعن عبد الرحمن بن أبى حاتم قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أبو زرعة وأبو حاتم إماما خرسان . وقال : بقاؤهما صلاح للمسلمين [٢]. وقال أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى : كان إماماً ، عالماً بالحديث ، حافظاً له ، متقناً متثبتاً [٣].

وقال ابن خراش : كان من أهل الأمانة والمعرفة [٤].

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : إمامٌ فى الحفظ [٥].

وقال الذهبى : كان من بحور العلم ، طَوّفَ البلاد ، وبرع فى المتن والإسناد ، وجمع وصنف ، وجرح وعَدّل ، وصحح وعلّل ، وقال عبد الرحمن ابن أبى حاتم : سمعت موسى بن إسحاق القاضى يقول : ما رأيت أحفظ من والدك ، وكان قد لقى أبا بكر بن أبى شيبة وابن نمير وابن معين ويحيى الحِمّانى [٦].

قال الخليلى : كان أبو حاتم عالماً باختلاف الصحابة وفقه التابعين ومن بعدهم ، سمعت جَدّى وجماعة سمعوا على بن إبراهيم القطان يقول : مارأيت مثل أبى حاتم ،ولا أفضل منه [٧].

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٧٣) .
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٧٤) .
(٣) تهذيب الكمال (٢٤ ـ ٣٨٥) .
(٤) تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٨٥) .
(٥) تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٨٥)
(٦) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥٠)
(٧) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥٠)

وعن الحسن بن الحسين الدارستينى قال : سمعت أبا حاتم يقول : قال لى أبو زرعة : ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك ، فقلت له : إن عبد الرحمن ابنى لحريص ، فقال : « من أشبه أباه فما ظلم » .

قال الرَّقَّام : فسألت عبد الرحمن عن إتفاق كثرة السماع له وسؤالاته لأبيه ، فقال : ربما كان يأكل وأقر عليه ويمشى وأقرأ عليه ، ويدخل الخلاء وأقراء ، ويدخل البيت فى طلب شئ وأقرأ عليه [1] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٥٠ - ٢٥١) .

٣ - اتباعه للسُّنَّة رحمه الله

قال الذهبي : وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي : وجدت في كتاب أبي حاتم بن محمد بن إدريس الحنظلي مما سمع منه يقول : مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ، والتمسك بمذاهب أهل الأثر مثل الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، ولزوم الكتاب والسنة ، ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] وأن الإيمان يزيد وينقص ، ونؤمن بعذاب القبر ، وبالحوض وبالمسائلة في القبر ، وبالشفاعة ، ونترحم على جميع الصحابة [(١)] .

وقال أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن شعيب الغازي الطَّبَرِيُّ ، إذا رأيت رازياً خرسانياً يحبُّ أبا حاتم وأبا زرعة فاعلم أنَّه صاحب سنَّة [(٢)] .

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٦٠) .
(٢) تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٨٩) .

٤ - سعة علمه رحمه الله

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم : قلت على باب أبى الوليد الطيالسى : من أغْرَبَ عَلَىَّ حديثاً غريباً مسنداً صحيحاً لم أسمع به فله على درهم يتصدق به - وقد حضر على باب أبى الوليد خلق من الخلق أبو زرعة فمن دونه ، وإنما كان مرادى أن يلقى عَلَىَّ مالم أسمع به ، فيقولون هو عند فلان فأذهب فأسمع ، وكان مرادى أن أستخرج منهم ماليس عندى ، فما تهيأ لأحدٍ منهم أن يُغرِبَ عَلَىَّ حديثاً [١] .

وعن عبد الرحمن قال : سمعت أبى يقول : قدم محمد بن يحيى النيسابورى الرى فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثاً من حديث الزهرى فلم يعرف منها إلا ثلاثة أحاديث ، وسائر ذلك لم يكن عنده ، ولم يعرفها [٢] .

ومحمد بن يحيى الذهلى شهد له مشايخه وأهل عصره فى معرفة حديث الزهرى ، ومع ذلك فأغرب عليه أبو حاتم [٣] .

وقال عبد الرحمن سمعت أبى يقول : جرى بينى وبين أبى زرعة يوماً تمييز الحديث ومعرفته ، فجعل يذكر أحاديث ويذكر عللها ، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها وخطأ الشيخ ، فقال لى : يا أبا حاتم قَلَّ من يفهم هذا ، ما أعز هذا إذا رفعت هذا من واحدٍ واثنين فما أقل من تجد من يحسن هذا ، وربما أشك فى شئ أو يتخالجنى شك فى حديث فإلى أن ألتقى معك لا أجد من يشفينى منه ، قال أبى : وكذلك كان أمرى [٤] .

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (١ / ٣٥٥) .
(٢) الجرح والتعديل (١ / ٣٥٨) .
(٣) انظر هامش التهذيب (٢٤ / ٣٩١)
(٤) تاريخ بغداد (٢ / ٧٦) .

وقال أحمد بن سلمة النيسابورى : ما رأيت بعد إسحاق ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث من أبى حاتم الرازى ولا أعلم بمعانيه [(١)] .

وقال ابن عدى : سمعت القاسم بن صفوان سمعت أبا حاتم يقول : أورع من رأيت أربعة : آدم ، وأحمد بن حنبل ، وثابت بن محمد الزاهد ، وأبو زرعة الرازى .

قال القاسم : فذكرته لعثمان بن خُرَّذاذ فقال : أنا أقول : أحفظ من رأيت أربعة : محمد بن المنهال الضرير ، وإبراهيم بن عَرْعرة ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم [(٢)] .

وعن عبد الرحمن قال : سمعت أبى يقول : كان محمد بن يزيد الأسفاطى قد ولع بالتفسير وتحفظه فقال يوماً : ما تحفظون فى قوله تعالى ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ ﴾ [ق : ٣٦] فبقى أصحاب الحديث ينظر بعضهم إلى بعض فقلت : حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : ضربوا فى البلاد (فاستحسن) [(٣)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥٥) .

٥ - رحلاته رحمه الله وهمته في الطلب

قال عبد الرحمن سمعت أبي يقول : أول سنة خرجت فى طلب الحديث ، أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ ، لم أزل أحصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته ، ما كانت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فمالا أحصى كم مرة ، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة ، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشياً ، ومن مصر إلى الرملة ماشياً ، ومن الرملة إلى بيت المقدس ، ومن الرملة إلى عسقلان ، ومن الرملة إلى طبرية ومن طبرية إلى دمشق ، ومن دمشق إلى حمص ، ومن حمص إلى أنطاكية ، ومن أنطاكية إلى طرسوس ، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص وكان بقى على شئ من حديث أبى اليمان ، فسمعت ، ثم خرجت من حمص إلى بيسان ، ومن بيسان إلى الرقة ، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد ، وخرجت قبل خروجى إلى الشام من واسط إلى النيل ، ومن النيل إلى الكوفة ، كل ذلك ماشياً ، هذا فى سفرى الأول ، وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين خرجت من الرى سنة ثلاث عشرة ومائتين قدمنا الكوفة فى شهر رمضان سنة ثلاث عشرة والمقرئ حى بمكة ، وجاءنا نعيه ونحن بالكوفة ، ورجعت سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وخرجت المرة الثانية سنة اثنين وأربعين ورجعت سنة خمس وأربعين أقمت ثلاث سنين (١) .

وقال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : بقيت فى سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة وكان فى نفسى أن أقيم سنة فانقطعت نفقتى وبقيت بلا نفقة ، ومضيت أطوف مع صديق لى إلى المشيخة ، وأسمع إلى المساء ، فانصرف

---

(١) الجرح والتعديل (١ / ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

رفيقى ورجعت إلى بيتى ، فجعلت أشرب الماء من الجوع ثم أصبحت فغدا علىّ رفيقى ، فجعلت أطوف معه فى سماع الحديث على جوع شديد ، وانصرفت جائعاً ، فلما كان الغد غدا علىّ فقال : مُرَّ بنا إلى المشايخ ، قلت : أنا ضعيف لا يمكنني . قال : ما ضعفك ؟ قلت : لا أكتمك (أمرى قد) مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً فقال : قد بقى معى دينار فنصفه لك ، ونجعل النصف الآخر فى الكراء ، فخرجنا من البصرة ، وأخذت منه النصف دينار (١) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

٦ - تشدده رحمه الله فى توثيق الرجال

قال الذهبى رحمه الله : إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله : فإنه لا يوثق إلا رجلاً صحيح الحديث ، وإذا لين رجلاً أو قال فيه : لا يحتج به فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه ، فإن وثقه أحد فلا تبن على تجريح أبى حاتم فإنه متعنت فى الرجال ، قد قال فى طائفة من رجال « الصحاح » ليس بحجة ليس بقوى ، أو نحو ذلك ، وآخر من حدث عنه هو محمد بن إسماعيل بن موسى الرازى ، عاش إلى بعد سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة (١) .

وقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح : محمد بن أبى عدى البصرى من شيوخ أحمد قال عمرو بن على : أحسن عبد الرحمن بن مهدى الثناء عليه . وقال أبو حاتم والنسائى وابن سعد ، ثقة ، وفى الميزان أن أبا حاتم قال : لا يحتج به فينظر فى ذلك وأبو حاتم عنده عنت (٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٦٠) .
(٢) هدى السارى (٤٤١) .

٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن محمد بن عبد الله الأنصارى ، وعثمان بن الهيثم ، وعفان بن مسلم ، وأبى نعيم ، وعبيد الله بن موسى ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث وعبد الله بن صالح العجلى ، وأبى توبة الربيع بن نافع ، وآدم بن أبى إياس ، وأبى اليمان ، وسعيد بن أبى مريم وأبى مُسْهِر ، والأصمعى ، وأبى غسان النهدى ، ومحمد بن يزيد بن سنان ، وهوذة بن خالد ، ويحيى بن صالح الوحاظى ، وعمرو بن الربيع بن طارق وعمر بن حفص بن غياث ، وطبقتهم وخلق ممن بعدهم (١) .

قال الحافظ : ويتعذَّر استقصاء مشايخه فقد قال الخليلى : قال لى أبو حاتم اللبان الحافظ : قد جمعت من روى عنه أبو حاتم الرازى فبلغوا قريباً من ثلاثة آلاف (٢) .

تلامذته :

قال الذهبى : حدث عنه ولده الحافظ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم ، ويونس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان المؤذن شيخاه ، وأبو زرعة الرازى رفيقه وقرابته ، وأبو زرعة الدمشقى ، وإبراهيم الحربى وأحمد الرمادى ، وموسى بن إسحاق الأنصارى ، وأبو بكر بن أبى الدنيا ، وأبو عبد الله البخارى - فيما قيل - وأبو داود وأبو عبد الرحمن النسائى فى « سننيهما » ،

(١) تهذيب التهذيب (٣ / ٢٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٤٨) .

وابن صاعد وأبو عوانه الإسفرايني ، وحاجب بن أركين ، ومحمد بن إبراهيم الكتاني ، وزكريا بن أحمد البلخي والقاضي المحاملي ، ومحمد بن مخلد العطار ، وأبو الحسن على بن إبراهيم القطان ، وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حكيم وسليمان بن يزيد الفامي ، والقاسم بن صفوان وأبو بشر الدولابي وأبو حامد بن حَسْنَويه ، وخلق كثير . (١)

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٤٨) .

٨ - من أقواله وأشعاره رحمه الله

عن أبى عبد الله أحمد بن القاسم القاضى قال : حاتم ابن أبى حاتم الرازى قال : سمعت أبى يقول : اكتب أحسن ما تسمع ، واحفظ أحسن ما تكتب وذاكر بأحسن ما تحفظ [1].

وعن محمد بن هارون الرازى قال أنشدنا أبو حاتم الرازى :

تفكرت فى الدنيا فأبصرت رشدها
وذللت بالتقوى من الله خَدَّهَا
أسأت بها ظناً فأخلفت وعدها
وأصبحت مولاها وقد كنت عبدها [1].

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٧٧)
(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٧٧)

٩ - وفاته رحمه الله

قال أبو سعيد بن يونس : قدم مصر قديماً وكتب بها ، وكتب عنه ، وكانت وفاته بالرّى سنة خمس وسبعين ومئتين .

وقال أحمد بن محمود بن صبيح ، وأبو الحسن ابن المنادى وأبو حاتم بن حبّان وأبو نعيم الحافظ : مات سنة سبع وسبعين ومئتين .

زاد ابن صبيح : بالرّى .

وزاد ابن المنادى : فى شعبان [(١)] .

(١) تهذيب الكمال (٢٤ / ٣٩٠) .

من أعلام السلف

٣٨

أبو عيسى الترمذى

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك السُّلَمِي الترمذى الإمام العالم البارع مصنف الجامع .

والترمذى نسبة إلى ترمذ مدينته التى نشأ بها شمال إيران .

مولده : قال الذهبى : ولد فى حدود سنة عشر ومئتين [١] .

صفته : اختلف فيه فقيل : ولد أعمى ، والصحيح أنه أضر فى كبره بعد رحلته وكتابته العلم [٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٠) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحاكم : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخاري فلم يخلف بخرسان مثل أبي عيسى في العلم ، والحفظ ، والورع ، والزهد ، بكى حتى عمي ، وبقي ضريراً سنين (١) .

وذكره ابن حبان في « الثقات » وقال : كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر (٢) . وقال الذهبي : جامعه قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهه ، ولكن يترخص في قبول الأحاديث ، ولا يشدد ، ونفسه في التضعيف رخو (٣) .

وقال الحافظ العالم أبو سعيد الإدريسي : « أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف الجامع والتواريخ والعلل تصنيف رجل عالم متقن ، وكان يضرب به المثل في الحفظ (٤) .

وقال المزي : أبو عيسى الترمذي الضرير الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات ، أحد الأئمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به المسلمين (٥) .

وقال الذهبي في الميزان : الحافظ العلم صاحب الجامع ، ثقة ، مجمع عليه ولا التفات إلى قول أبي محمد بن حزم فيه في الفرائض من كتاب الإيصال : إنه مجهول فإنه ما عرفه ولا درى بوجود الجامع ولا العلل له (٦) .

وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب : « وأما أبو محمد بن حزم فإنه نادى على نفسه بعدم الإطلاع فقال في كتاب الفرائض من الإيصال : محمد بن عيسى بن سورة مجهول . ولا يقولن قائل : « لعله ما عرف الترمذي

---

(١) تذكرة الحافظ (٢ / ٦٣٤) .
(٢) الثقات (٩ / ١٥٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٦) .
(٤) شروط الأئمة الستة ص (٢٠) .
(٥) تهذيب الكمال (٢٦ / ٢٥٠) .
(٦) ميزان الاعتدال (٥ / ١٢٤) .

ولا اطلع على حفظه ولا تصانيفه ، فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة فى خلقٍ من المشهورين من الثقات الحفاظ ، كأبى القاسم البغوى ، وإسماعيل بن محمد الصفار ، وأبى العباس الأصم وغيرهم ، والعجب أن الحافظ ابن الفرضِى ذكره فى كتابه المؤتلف والمختلف ، ونبه على قدره فكيف فات ابن حزم الوقوف عليه فيه (١) .

قال العلامة أحمد شاكر : وأنا أظن أن هذا تحامل من الحافظ ابن حجر على ابن حزم ، ولعله لم يعرف الترمذى ولا كتابه ، بل لعل الحافظ الذهبى أخطأ نظره حين نقل ما نقل من كتاب الإيصال ، وما أظنُّ ابنَ حجر رأى كتاب الإيصال ونقل منه ، وإنما أرجح أنه نقل من الذهبى والله أعلم (٢) .

وقال : أبو الفضل البيْلَمانى : سمعت نصر بن محمد الشيركوهى يقول : سمعت محمد بن عيسى الترمذى يقول : قال لى محمد بن إسماعيل - يعنى البخارى - ما انتفعت بك أكثر مما انتفعتَ بى (٣) .

قال العلامة أحمد شاكر : وهذه شهادة عظيمة من شيخه إمام المسلمين ، وأمير المؤمنين فى الحديث فى عصره (٤) .

قال الشيخ نور الدين عنذ : ومما أفاد الترمذى الرسوخ فى علم الحديث عنايته بلقى الأئمة الكبار الذين إليهم المنتهى فى حفظ الحديث ودرايته ، وأخذه عنهم ، فأكمل تحصيله وتعمقه ، وبرز نبوغه ، فتقدم إلى محراب الإمامة فى الحديث غير منازع ولا ممانع .

لقى الإمام مسلم بن الحجاج وأخذ عنه ، لكنه لم يخرج عنه إلا حديثاً

---

(١) تهذيب التهذيب (٩ / ٣٤٤) .
(٢) مقدمة أحمد شاكر لجامع الترمذى (١ / ٨٦) .
(٣) تهذيب التهذيب (٩ / ٣٤٥) .
(٤) مقدمة أحمد شاكر لجامع الترمذى (١ / ٨٧) .

واحداً ، وهو حديث أبي هريرة « احصوا هلال شعبان لرمضان » .

ولقي أيضاً الإمام أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني وروى له في جامعه ، وأفاد في علل الحديث والرجال وفنون الحديث من الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي ، وأبي زرعة الرازي كما ذكر في آخر جامعه ، ولكن التأثير الكبير والإفادة العظيمة تمت للترمذي على الإمام أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ، فقد لازمه الترمذي طويلاً ، وأخذ عنه العلم الكثير حتى تخرج على يديه وعرف به .

ولم تقتصر إفادته على الحديث وعلومه بل إنه أفاد منه فقه الحديث كما قال الذهبي : « وتفقه في الحديث بالبخاري » وحسبك بالبخاري فقيهاً في الحديث ، غوّاصاً على خفايا فقهه والاستنباط منه (١) .

---

(١) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعة وبين الصحيحين (١٦ / ١٧) .

٣ - فضائل جامعه

عن أبى على منصور بن عبد الله الخالدى قال : قال أبو عيسى صنفت هذا الكتاب وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخرسان ، فرضوا به ، ومن كان هذا الكتاب يعنى « الجامع » فى بيته فكأنما فى بيته نبىٌّ يتكلم .

قال الذهبى : فى الجامع علم نافع وفوائد غزيرة ، ورؤوس المسائل وهو أحد أصول الإسلام ، لولا ما كَدَّره بأحاديث واهية بعضها موضوع ، وكثير منها فى الفضائل [(١)] .

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى (المتوفى سنة ٥٠٧هـ). فى شروط الأئمة الستة : سمعت الإمام أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى بهراة ، وجرى بين يديه ذكر أبى عيسى الترمذى وكتابه فقال : « كتابه عندى أنفع من كتاب البخارى ومسلم ، لأن كتابى البخارى ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم ، وكتاب أبى عيسى قد شرح أحاديثه وبيَّنَهَا يصل إلى فائدته كل أحدٍ من النَّاسِ [(٢)] .

وقال ابن الأثير :

« كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأقلها تكراراً ، وفيه ماليس فى غيره من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب ، وفيه جرح وتعديل ، وفى آخره كتاب العلل ، قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها » .

وقال الشيخ إبراهيم الباجورى فى شرحه على الشمائل :

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٣) .
(٢) شروط الأئمة الستة (١٩) .

« وناهيك بجامعه الصحيح ، الجامع للفوائد الحديثية والفقهية ، والمذاهب السلفية ، والخلفية ، فهو كافٍ للمجتهد مغْنٍ للمقلد »[(١)].

وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله : وللقاضي أبو بكر بن العربي في أول شرحه على الترمذي الذي سماه « عارضة الأحوذي » فصل نفيس في مدح كتاب الترمذي ووصفه ، ولكن طابعيه حرفوه حتى لا يكاد يفهم ، وسأنقله هنا بشيءٍ من الاختصار والتصرف لنصل إلى المراد منه ، قال : « اعلموا أنار الله أفئدتكم أن كتاب الجعفي[(٢)] . هو الأصل الثاني في هذا الباب والموطأ هو الأول واللباب وعليهما بناء الجميع كالقشيري[(٣)] والترمذي فمن دونهما وليس فيهم مثل كتاب أبي عيسى حلاوة مقطع ونفاسة منزَعٍ ، وعذوبة مَشْرَعٍ وفيه أربعة عشر علماً وذلك أقرب إلى العمل وأسلم : أسْنَدَ ، وصحّح ، وضعّف وعَدَّد الطرق ، وجرح وعدَّل وأسمى وأكنى ، ووصل وقطع ، وأوضح المعمول به والمتروك وبيَّن اختلاف العلماء في الرد والقبول لآثاره ، وذكر اختلافهم في تأويله ، وكلُّ علم من هذه العلوم أصل في بابه ، وفرد في نصابه ، فالقارئ له لا يزال في رياض مونقة ، وعلوم متفقة ومتَّسقه ، وهذا شيءٌ لا يعمّه إلا العلم الغزير والتوفيق الكثير والفراغ والتدبير »[(٤)] .

---

(١) نقلاً عن « الإمام الترمذي وجامعه » لنورالدين عتر (٥٤) .
(٢) وهو صحيح البخاري .
(٣) أي الإمام مسلم .
(٤) مقدمة أحمد شاكر لتحقيق جامع الترمذي (١ / ٨٩ ، ٩٠) .

٤ - ما قيل فى تسمية الكتاب وطريقة الترمذى فى تصنيفه

قال العلامة نور الدين عتر :

قد وجدنا له عدة أسماء أطلقت عليه وهى :

١ - صحيح الترمذى وهو إطلاق الخطيب كما ذكر السيوطى .

٢ - الجامع الصحيح وهو إطلاق الحاكم ، ونحن نجد بعض حديثه صحيحاً وبعضه حسناً ، ومنه دون ذلك ، وهو ينص على هذه الدرجات صراحة ، إذا ففى كل من هاتين التسميتين ضرب من التجوز .

٣ - الجامع الكبير ذكره الكتانى فى الرسالة المستطرفة وهو قليل الاستعمال .

٤ - السنن وهو اسم مشهور للكتاب ويكثر نسبته إلى مؤلفه تمييزاً له من بقية السنن ووجه هذه التسمية اشتماله على أحاديث الأحكام مرتبة على ترتيب أبواب الفقه ، وما كان كذلك سمى سنناً ، ولكن الكتاب فيه الأحكام وغيرها ، ففى هذه التسمية تجوز ، بتسمية الكل ببعض أجزائه .

٥ - الجامع وهو أشهر وأكثر استعمالاً ، واشتهر إطلاقه منسوباً إلى مؤلفه ، فيقال جامع الترمذى ، ووجه تسميته بذلك أن الجامع عند المحدثين ماكان مستوعباً لنماذج فنون الحديث الثمانية .

السير ، الآداب ، والتفسير ، والعقائد ، والفتن ، والأحكام والأشراط والمناقب .

فسمى الكتاب جامعاً لوجد هذه الأبواب فيه .

ثم بين منهجه فى التصنيف فقال :

فأبو عيسى يترجم للمسألة ، يورد فيها حديثاً أو أكثر ، ثم يتبع ذلك بآراء

الفقهاء في المسألة ، وعملهم بحديثه ، ويتكلم على درجة الأحاديث ، تصحيحاً ، وتحسيناً ، وتضعيفاً ، ويأتي بذلك واضحاً مبيناً ، ويتلكم في الرجال والأسانيد وما تشتمل عليه الأسانيد من علل ، ويذكر ما للحديث من طرق ، ثم إن كانت هناك أحاديث أخرى تناسب الترجمة فإنه يشير إليها بقوله : « وفي الباب عن فلان وفلان من الصحابة » ونمثل لك من كتابه بما يوضح وصفنا هذا :

قال الترمذي في الطهارة : (باب المسح على الخفين للمسافر والمقيم) :

حدثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله الجدلي عن خزيمة بن ثابت عن النبي ﷺ أنه سئل عن المسح على الخفين فقال : للمسافر ثلاثة ، وللمقيم يوم » .

وذكر عن يحيى بن معين أنه صحح حديث خزيمة في المسح وأبو عبد الله الجدلي اسمه عبد بن عبد ويقال عبد الرحمن بن عبد .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن علي وأبي بكره وأبي هريرة وصفوان بن عسال .

ثم ساق الترمذي بسنده حديث صفوان بن عسال .

ثم قال : قال محمد بن إسماعيل : أحسن شئ في هذا الباب حديث صفوان بن عسال .

ثم قال أبو عيسى : وهو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء مثل سفيان الثوري ، وابن المبارك والشافعي ، وأحمد وإسحاق قالوا : يمسح المقيم يوماً وليلة ، والمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وقد روى عن بعض أهل العلم أنهم لم يوقتوا في المسح على الخفين ، وهو قول مالك بن أنس (١) .

---

(١) باختصار وتصرف من « الإمام الترمذي والموازنة بين جامعة وبين الصحيحة » (٢٤ ، ٤٥ ، ٤٦) .

٥ - تساهله رحمه الله فى التصحيح

تقدم قول الذهبى رحمه الله : ولكنه يترخص فى قبول الأحاديث ولا يشدد ، ونفسه فى التضعيف رخو [(١)].

وانتقد الذهبى رحمه الله فى أكثر من ترجمة فى كتابه ميزان الاعتدال .. تصحيح الترمذى أو تحسينه وبين أنه لا يعتمد قوله فى ذلك إذا انفرد وفى الحديث علة تمنع من القول بصحته [(٢)].

وقال الحافظ ابن رجب فى « شرح العلل » واعلم أن الترمذى رحمه الله خرج فى كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو مانزل عن درجة الصحيح ، وكان فيه بعض ضعف والحديث الغريب ، والغرائب التى خرجها فيها بعض الكبائر ولا سيما فى كتاب الفضائل ولكنه يبين ذلك غالباً ، ولا يسكت عنه ، ولا أعلمه خرج عن متهم بالكذب متفق على إتهامه حديثاً باسناد مفرد إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من طرق ، أو مختلفاً فى إسناده وفى بعض طرقه متهم ، وعلى هذا الوجه خرج حديث محمد بن سعيد المصلوب ، ومحمد بن السائب الكلبى ، نعم قد يخرج عن سيئ الحفظ ، وعمن غلب على حديثه الوهم ، ويبين ذلك غالباً ، ولا يسكتب عنه .

ويخرج حديث الثقة الضابط ، ومن يهم قليلاً ، ومن يهم كثيراً ، ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه نادراً ، ويبين ذلك ولا يسكت عنه [(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٦) .
(٢) انظر هامش سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧٦) .
(٣) شرح علل الترمذى (٢٢٩ ، ٢٣٠) جـ عالم الكتب بتحقيق صبحى السامرائى .

٦ - شرط الترمذي رحمه الله في جامعه

لم يصرح أحد من أصحاب الكتب الستة بشرط في كتابه ، وقد توجد لبعضهم عبارات يفهم منها شيئاً من شروطهم في كتبهم ، فالأصل في معرفة شرط الكتاب دراسته ، ومطالعة أصوله واستقرائها .

قال الدكتور عتر : أما شرط أبي عيسى الترمذي فقد تحدث الترمذي عن أحاديث في كتابه بما يستأنس به لمعرفة شرطه قال في علل الجامع : « جميع ما في هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به ، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين ... إلخ » .

فأفاد أنه بنى اختيار حديث الكتاب على عمل العلماء به في الجملة ، فكل حديث استدل به مستدل أو احتج به عالم فهو من شرطه ، وهو شرط فسيح جداً لكن الترمذي لا ينزل إلى الواهي أو الموضوع ، لأن الأئمة لا يحتجون بالواهي ولا بالموضوع ، وقد دل الاستقراء على أن شرطه هو أن يخرج أحاديث الطبقة الرابعة من الرواة فمن فوقهم ورجال الطبقة الرابعة قوم لم تكثر ممارستهم لحديث شيوخهم ، ولم يسلموا أيضاً من غائلة الجرح [(١)].

قال الحازمي في شروط الأئمة الخمسة :

« ثم اعلم أن لهؤلاء الأئمة مذهباً في كيفية استنباط مخارج الحديث ، نشير إليها على سبيل الإيجاز ، وذلك أن مذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضاً ، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمه إخراجه ، وعن بعضهم مدخول لا يصلح إخراجه إلا في الشواهد والمتابعات ، وهذا باب فيه غموض ، وطريقة معرفة الرواه

---

(١) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (٥٥ ، ٥٦) .

عن رواى الأصل ، ومراتب مداركهم ، ولنوضح ذلك بمثال وهو أن نعلم مثلاً أن أصحاب الزهرى على طبقات خمس لكل طبقة منها مزية على التى تليها :

الطبقة الأولى : قوم جمعوا بين العدالة التامة والإتقان والحفظ وطول الملازمة لشيخهم الزهرى حتى كان فيهم من يزامله فى السفر ويلازمه فى الحضر ،وهم الغاية فى الصحة ، وهم غاية مقصد البخارى .

الطبقة الثانية : شاركت الأولى فى العدالة ، غير أنها لم تلازم الزهرى إلا مدة يسيرة ، فلم تمارس حديثه ، وكانوا فى الإتقان دون الطبقة الأولى ، وهم شرط مسلم .

الطبقة الثالثة : جماعة لزموا الزهرى مثل أهل الطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح ، فهم بين الرد والقبول ، وهم شرط أبى داود والنسائى .

والطبقة الرابعة : قوم شاركوا أهل الطبقة الثالثة فى الجرح والتعديل ، وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهرى ، لأنهم لم يصحبوا الزهرى كثيراً وهم شرط أبى عيسى ، وفى الحقيقة شرط الترمذى أبلغ من شرط أبى داود ، لأن الحديث إذا كان ضعيفاً فإنه يبين ضعفه ، وينبه عليه ، فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ، ويكون إعتماده على ما صح عند الجماعة ، وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن ، فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود .

والطبقة الخامسة : نفر من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يخرج الحديث على الأبواب أن يخرج حديثهم إلا على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند أبى داود ، فأما عند الشيخين فلا [(١)] . انتهى .

(١) شروط الأئمة الخمسة (٥٦ - ٦٠) .

٧ - رتبة جامع الترمذى

قال الدكتور عتر ما ملخصه :

وبمعرفة شروط الأئمة الثلاثة نجد الترمذى :

أ - يشترك فى شرطه مع الشيخين فيخرج فى كتابه حديث الطبقة الأولى والثانية وهما شرط البخارى ، ومن شرط مسلم أيضاً ومن حديث الطبقة الثالثة التى يخرج مسلم عن بعض رجالها .

ب - ويفترق كتاب الترمذى عن كتاب البخارى ومسلم حيث ينزل فيكثر من حديث الطبقة الثالثة ويروى لرجالها على اختلاف أحوالهم ، ويروى أيضاً حديث الطبقة الرابعة فينزل عنهما درجة أخرى ، إذن فكتاب الترمذى دون الصحيحين فى الصحة ، وفوقه كتاب مسلم وفوقهما كتاب البخارى .

ولكن هل يأتى كتاب الترمذى عقب الصحيحين فى المرتبة فيكون ثالثهما ؟ أو أن كتاب أبى داود هو الثالث والترمذى رابعهما ؟

الذى نراه أن كتاب أبى عيسى ثالث الكتب الستة تالى الصحيحين فى الرتبة ، من حيث الصحة ، وذلك لأن شرطه أقوى من شرط أبى داود ، كما نص الإمام الحازمى على ذلك فى كلمته التى نقلناها فى طبقات الرواة .

ولكن الحازمى قدم سنن أبى داود إلى الرتبة الثالثة ، وأخّر جامع الترمذى إلى الرابعة ، وعلل ذلك باشتماله على حديث الطبقة الرابعة فقال : وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود .

وقال الذهبى فيما نقله عنه السيوطى : انحطت رتبه جامع الترمذى عن سنن أبى داود والنسائى : لإخراجه حديث المصلوب والكلبى وأمثالهما أ.هـ . يعنى من الكذابين أو من أتهم بالكذب .

وهذا الذى اعتذر به الحازمى والذهبى موجود فى كتابه أبى داود ، فإنه يخرج أحاديث الطبقة الرابعة وأخرج عن جماعة من أمثال المصلوب والكلبى أيضاً ، بل إنه فوق ذلك قد سكت عن حديثهم ولم ينبه عليه .

قال الحافظ ابن رجب فى شرح علل جامع الترمذى : وقد شاركه أبو داود فى التخريج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كإسحاق بن أبى فروة وغيره .

وإسحاق الذى ذكره ابن رجب قال فيه البخارى فى التاريخ الكبير : تركوه وروى ابن أبى حاتم عن أحمد بن حنبل أنه قال : « لا تحل الراوية عندى عن إسحاق بن أبى فروة ، وعن يحيى بن معين أنه قال فيه : كذاب ، وعن أبى حاتم : متروك . أ. هـ .

وقال ابن حجر : متروك من الرابعة .

فقد تساوى الكتابان من حيث التخريج عن الرجال ، وبقى امتياز الترمذى بما ذكره الحازمى من أبلغية الشرط ، وتقدمه على أبى داود لأنه ينبه على هؤلاء الضعفاء ، ولا يسكت عنهم ، فوق أنه يروى عنهم ما رواه عن غيرهم ممن فوقهم كما سيأتى بيانه فى بحث الرجال ، وقد سكت أبو داود عن حديث جماعة منهم ، فمن الإنصاف إذا أن لا تنزل رتبة الترمذى عن الثالثة [1] .

---

(١) الإمام الترمذى وموازنته بين جامعه والصحيحين (٦١ ، ٦٢ ، ٦٣) .

٨ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الذهبي : حدث عن قتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهَوَيه ، ومحمد بن عمرو السوّاق البَلْخي ، ومحمود بن غيلان ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، وأحمد بن منيع ، وأبي مصعب الزهري ، وبشر بن معاذ العقدي ، والحسن بن أحمد بن أبي شعيب ، وأبي عمار الحسين بن حريث ، والمعمر عبد الله بن معاوية الجمحي ، وعبد الجبار بن العلا ، وأبي كريب ، وعلي بن حجر ، وعلي ابن سعيد بن مسروق الكندي ، وعمرو بن علي الفلاّس ، وعمران ابن موسى القزاز ، ومحمد بن أبان المستملي ، ومحمد بن حميد الرازي ، ومحمد بن عبد الأعلى ، ومحمد بن رافع ، ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، ومحمد ابن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ومحمد بن يحيى العدني ، ونصر بن علي ، وهارون الحمَّال ، وهناد بن السَّرِي ، وأبي همام الوليد بن شجاع ، ويحيى بن حبيب بن عربي ، ويحيى بن درست البصري ، ويحيى بن طلحة اليربوعي ، ويوسف بن حماد المعني ، وإسحاق بن موسى الخطمي وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وسويد بن نصر المروزي .

فأقدم ما عنده حديث مالك ، والحمادين ، والليث ، وقيس بن الربيع ، وينزل حتى إنه أكثر عن البخاري وأصحاب هشام بن عمار ونحوه [(١)].

تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه أبو بكر أحمد بن إسماعيل السمرقندي ، وأبو

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧١).

حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزى ، وأحمد بن على بن حَسْنَويه المقرئ ، وأحمد بن يوسف النسفى ، وأسد بن حمدويه النسفى ، والحسين بن يوسف الفربرى ، وحماد بن شاكر الوراق ، وداود بن نصر بن سهيل البزدوى ، والربيع بن حيان الباهلى ، وعبد الله بن نصر أخو البزدوى ، وعبد بن محمد ابن محمود النسفى ، وعلى بن عمر بن كلثوم السمرقندى ، والفضل بن عمار الصُّرام ، وأبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب ، راوى « الجامع » وأبو جعفر محمد بن سفيان بن نصر الأمين ، ومحمد بن محمد بن يحيى الهروى القَرَّاب ، ومحمد بن محمود بن عنبر النسفى ، ومحمد بن مكى بن نوح النسفى ، ومُسبح بن أبى موسى الكاجرى ، ومكحول بن الفضل النسفى ، ومكى بن نوح ، ونصر بن محمد بن سَبْرة ، والهيثم بن كليب الشاشى الحافظ راوى الشمائل عنه وآخرون .

وقد كتب عنه شيخه أبو عبد الله البخارى ، فقال الترمذى فى حديثه عطية عن أبى سعيد « ياعلى : لا يحل لأحدٍ أن يجنب فى المسجد غيرى وغيرك » سمع منى محمد بن إسماعيل هذا الحديث (١) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٧١ ، ٢٧٢) ، والحديث فى سنن الترمذى (٣٧٢٧) من حديث عطيه بن سعد العوفى وهو ضعيف ومع ذلك قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال النووى : إنما حسنه الترمذى بشواهده وانظر هامش السير (١٣ / ٢٧٢) .

٩ - مؤلفاته رحمه الله

قال العلامة أحمد شاكر :

وصفه العلماء فيما مضى بأنه « صاحب التصانيف » وسموا كتباً من مؤلفاته ولكنّا لم نر منها إلا كتابين (الجامع الصحيح) وكتاب (الشمائل) وهو كتاب نفيس معروف مشهور ولعل باقي كتبه فقد فيما فقد من نفائس المؤلفات ، وكنوز الأئمة العلماء ، وفي التهذيب ، ولأبي عيسى كتاب الزهد مفرد لم يقع لنا ، وكتاب الأسماء والكنى وهذا بيان مؤلفاته كما ظهر لنا من أقوال العلماء :

١ - الجامع الصحيح .

٢ - الشمائل .

٣ - العلل [١] .

٤ - التاريخ .

٥ - الزهد .

٦ - الأسماء والكنى .

ولعل له كتباً أخرى لم يصل إليّ خبرها حين أكتب هذا [٢] .

---

(١) وهو خلاف العلل الذي في آخر جامع الصحيح .
(٢) مقدمة أحمد شاكر للجامع (١/ ٩٠ ، ٩١) .

١٠ - وفاته رحمه الله

قال المزى : قال الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفرى : مات أبو عيسى الترمذى الحافظ بالترمذ ليلة الإثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين [١].

(١) تهذيب الكمال (٢٦ / ٢٥٢) .

من أعلام السلف

٣٩

إبراهيم الحربي
إبراهيم بن إسحاق

١ - اسمه ومولده

اسمه : إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربى .

مولده : قال الذهبى : مولده فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

عن أبى إسحاق إبراهيم بن حبشى قال سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم المروزى قال : أمى تغلبية وكان أخوالى نصارى أكثرهم . فقلت له لم سُمِّيتَ إبراهيم الحربى فقال : صحبت قوماً من الكرخ على الحديث وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحربية فسمونى الحربى بذلك [١] .

وقال ياقوت : وقيل لم سُمِّيتَ إبراهيم الحربى فقال صحبت قوماً من الحربية فسمونى الحربى بذلك [٢] .

---

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٢٨) .
(٢) معجم الأباء (١ / ١١٣) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال الخطيب البغدادى : كان إماماً فى العلم ، رأساً فى الزهد عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله قيماً بالأدب ، جماعة للغة (١) .

وعن أبى الحسن الدارقطنى قال : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى إمام مصنف عالم بكل شئ ، بارع فى كل علم صدوق (٢) .

وقال أبو على الحسين بن فهم - وذكر إبراهيم الحربى - والله يا أبا محمد لا ترى عيناك مثل أبى إسحاق أيام الدنيا ولقد رأيت وجالست الناس من صنوف أهل العلم والحذق بكل فنٍّ منه ، فما رأيت رجلاً أكمل فى ذلك كله من أبى إسحاق رحمه الله (٣) .

وروى المخلّص عن أبيه قال : كان إسماعيل القاضى يشتهى أن يلتقى إبراهيم فالتقيا يوماً وتذاكرا فلما افترق سئل إبراهيم عن إسماعيل فقال : إسماعيل جبل نفخ فيه الروح وقال إسماعيل : ما رأيت مثل إبراهيم .

قال الذهبى : إسماعيل هو ابن إسحاق القاضى عالم العراق (٤) .

ويروى أن إبراهيم لما صنّف غريب الحديث وهو كتاب نفيس كامل فى معناه قال ثعلب : ما لإبراهيم وغريب الحديث ؟ رجل محدث ، ثم حضر مجلسه ، فلما حضر المجلس سجد ثعلب وقال : ما ظننت أن على وجه الأرض مثل هذا الرجل (٥) .

---

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٢٨) .
(٢) تاريخ بغداد (٦ / ٤٠) .
(٣) تاريخ بغداد (٦ / ٣٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٥٧) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦١) .

قال ابن بشكوال فى أخبار إبراهيم الحربى : نقلت من كتاب ابن عتّاب كان إبراهيم الحربى ، رجلاً صالحاً من أهل العلم ، بلغه أن قوماً من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حنبل فوقفهم على ذلك فأقروا به فقال : ظلمتمونى بتفضيلكم لى على رجل لا أشبهه ولا ألحق به فى حالٍ من أحواله فأقسم بالله لا أسمعكم شيئاً من العلم أبداً ، فلا تأتونى بعد يومكم (١) .

وقال المسعودى : كانت وفاة الحربى المحدِّث الفقيه فى الجانب الغربى وله نيِّف وثمانون سنة .... وكان صدوقاً عالماً فصيحاً ، جواداً عفيفاً ، زاهداً ، عابداً ناسكاً وكان مع ذلك ضاحك السن ظريف الطبع ... ولم يكن معه تكبر ولا تجبر (و) ربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين فى وقته وظريفهم وزاهدهم وناسكهم ومسندهم فى الحديث وكان يتفقه لأهل العراق وكان له مجلس فى المسجد الجامع الغربى يوم الجمعة (٢) .

وقال القِفْطِى فى تاريخ النحاة له : كان إبراهيم الحربى رأساً فى الزهد ، عارفاً بالمناقب ، بصيراً بالحديث ، حافظاً له ... له فى اللغة كتاب : « غريب الحديث وهو من أنْفَسِ الكتب وأكبرها فى هذا النَّوع (٣) .

وقال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضى يقول : لا نعلم بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربى فى الأدب والفقه والحديث والزهد . قال الذهبى : يريد من اجتمع فيه هذه الأمور الأربعة (٤) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٨) .

وحَدَّث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبي يقول لي :

امض إلى إبراهيم الحربى يُلْقِ عليك الفرائض قال : ولما مات سعد بن أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحربى إلى عبد الله ، فقام إليه عبد الله فقال : تقوم إليَّ ؟ فقال : لم لا أقوم إليك ، والله لو رآك أبى لقام إليك . قال والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه [(١)] .

وقال أبو عمر الزاهد وابن المنادى : سمعت ثعلباً يقول : ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة [(٢)] .

---

(١) معجم الأدباء (١ / ١٢٠) .
(٢) معجم الأدباء (١ / ١١٨) .

٢ - زهده رحمه الله

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمى : سألت الدارقطنى عن إبراهيم الحربى فقال : كان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وعلمه وورعه (١) .

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان - ويعرف بابن أسد - قال : سمعت إبراهيم بن إسحاق يقول : أجمع عقلاء كُلِّ أُمَّةٍ أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه وكان يقول : كان يكون قميصى أنظف قميص وإزارى أوسخ إزار ، ماحدثت نفسى أنهما يستويان قط ، وفرد عقبى مقطوع ، وفرد عقبى الآخر صحيح ، أمشى بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذلك الجانب ، لا أحدث نفسى أن أصلحها ، وماشكوت إلى أمى ولا إلى إخوتى ، ولا إلى امرأتى ، ولا إلى بناتى قط حُمّى وجدتها ، الرجل هو الذى يدخل غَمَّه على نفسه ، ولا يغم عياله . كان بى شقيقة خمساً وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ، ولى عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحداً ، وأفنيت ثلاثين سنة من عمرى برغيف فى اليوم والليلة ، وإن جاءتنى إمرأتى أو إحدى بناتى به أكلته وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى ، والآن آكل نصف رغيف ، وأربع عشرة تمرة ، إن كان برنيا أو نيِّفاً وعشرين إن دقلا ، ومرضت ابنتى فمضت امرأتى فأقامت عندها شهراً ، فقام إفطارى فى هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف ، ودخلت إلى الحمام واشتريت لهم صابوناً بدانقين ، فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانق ونصف (٢) .

وعن أبى القاسم بن بكير قال : سمعت إبراهيم الحربى يقول : ما كنا

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٠) .
(٢) تاريخ بغداد (٦ / ١٠ ، ٣١) .

نعرف من هذه الأطبخة شيئاً ، وكنت أجئ من عشى إلى عشى وقد هيأت لى أمى باذنجانه مشوية ، أو لعقة بنٍ - أى شحم وسمن - أو باقة فجل . وقال عمر سمعت أبا على الخياط المعروف بالميت يقول : كنت يوماً جالساً مع إبراهيم على باب دارة ، فلما أن أصبحنا قال لى : يا أبا على قم إلى شغلك ، فإن عندى فجلة قد أكلتُ البارحة خضرها ، أقوم أتغدى بجزرتها [١] .

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٣٠ ، ٣١) .

٤ - ورعه وعفته رحمه الله

حدث أبو عثمان الرازي قال : جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين أن يفرق ذلك فرده ، وانصرف الرسول ثم عاد فقال : إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك . فقال له : عافاك الله ، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه ، فلا تشغلها بتفرقته ، قل لأمير المؤمنين إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك (١) .

وحدث أبو القاسم الجيلي قال : أعتلّ إبراهيم بن إسحاق الحربي حتى أشرف على الموت فدخلت عليه يوماً فقال : يا أبا القاسم إني في أمر عظيم مع ابنتي ثم قال لها قومي واخرجي إلى عمك كلميه فقالت لي ياعمُّ : نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، والشهر والدهر مالنا طعام إلى كسر وملح وربما عدمنا الملح ، وبالأمس قد وجه إلينا المعتضد مع بدرٍ بألف دينارٍ فلم يأخذ منها شيئاً وهو عليل فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال : يابنيَّة خفت الفقر ؟ فقالت : نعم . فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية فنظرت ، فإذا كتبٌ . فقال لها : هناك اثنا عشر ألف جزءٍ لغة ، وغريب كتبته بخطي ، فإذا متُّ فوجهي في كل يوم بجزء تبعينه بدرهم ، فما كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقيراً (٢) .

وحدّث أبو بكر الشافعي قال : قال إبراهيم الحربي : ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة ، فإني وقفت على بقال ، فوزنت له قيراطاً إلا فلساً ، فسألني عن مسألة فأجبته فقال للغلام : أعطِ بقيراط ولا تنقصه

(١) معجم الأدباء (١ / ١١٧) .
(٢) معجم الأدباء (١ / ١١٧ ، ١١٨) .

شيئاً ، فزادني فلساً .[(١)]

وروى المخلص عن أبيه أن المعتضد بعث إلى إبراهيم الحربي بمال فرده عليه أوحش ردّ وقال : ردها إلى من أخذتها منه ، وهو محتاج إلى فلس ، وكان لا يغسل ثوبه إلا في كلّ أربعة أشهر مرّةً ، وقد زلق مرةً في الطين ، فلقد كنت أرى عليه أثر الطين في ثوبة إلى أن غسله[(٢)].

---

(١) معجم الأدباء (١ / ١٩٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦٢) .

٥ - طرَفٌ منْ أخباره ودرر من أقواله

قال أحمد بن سلمان القطيعي : ضِقت إضاقة فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه ، فقال لي : لا يضيق صدرك ؛ فإن الله من وراء المعونه ، وإني ضقت مرة حتى انتهى أمري إلى الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم فقالت لي الزوجة هب إني وإياك نصبر فكيف نصنع بهاتين الصبيتين ؟ فهات شيئاً من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه فضننت بذاك . وقلت : اقترض لهما شيئاً وأنظريني بقية اليوم والليلة ، وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي ، فكنت أجلس فيه للنسخ وللنظر ، فلما كان في تلك الليلة إذا داق يدق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : رجل من الجيران . فقلت : ادخل فقال اطفئ السراج حتى أدخل فكببت على السراج شيئاً وقلت ادخل ، فدخل وترك إلى جانبي شيئاً ، وانصرف فكشفت عن السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة ، وفيه أنواع من الطعام وكاغد فيه خمسمائة درهم ، فدعوت الزوجة وقلت : أنبهي الصبيان حتى يأكلوا . ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم ، وكان وقت مجئ الحاج من خرسان ، فجلست على بابي من غدِ تلك الليلة ، وإذا جمّال يقود جملين عليهما حملان ورقاً وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي فانتهى إليَّ . فقلت : أنا إبراهيم الحربي ، فحط الجملين ، وقال : هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خرسان : فقلت : من هو ؟ فقال : قد استحلفني أن لا أقول من هو (١) .

وعن أبي عمران الأشيب قال : قال رجل لإبراهيم الحربي : كيف قويت على جميع هذه الكتب ؟ قال : فغضب وقلت : بحلمي ودمي (٢) .

---

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٣٢) .
(٢) تاريخ بغداد (٦ / ٣٣) .

قال محمد مَخْلد العطار : سمعت إبراهيم الحربي يقول : لا أعلم عصابة خيراً من أصحاب الحديث ، إنما يغدو أحدهم ومعه محبرةً ، فيقول : كيف فعل النبي ﷺ ، وكيف صلى ، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يُفلِح (١) .

وعن أبي الحسن بن قريش قال : حضرت إبراهيم الحربي – وجاءه يوسف القاضي ومعه ابنه عمر – فقال له : يا أبا إسحاق : لو جئناك على مقدار واجب حقك لكانت أوقاتنا كلها عندك . فقال : ليس كلُّ غَيْبَةٍ جَفْوَةً ، ولا كل لقاء مودة ، وإنما هو تقارب القلوب (٢) .

قال أبو ذر الهروي : سمعت أبا طاهر المُخلّص سمعت أبي : سمعت إبراهيم الحربي وكان وعدنا أن يُمِلَّ علينا مسألة في الإسم والمسمى وكان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرةً ، وكان إبراهيم مُقِلاً ، وكانت له غرفة يصعد فيشرف منها على الناس فيها كوّةٌ إلى الشارع ، فلما اجتمع الناس أشرف عليها ، فقال لهم : قد كنت وعدتكم أن أملي عليكم في الإسم والمسمى ، ثم نظرت فإذا لم يتقدمني في الكلام فيها إمام يقتدى به ، فرأيت الكلام فيه بدعة فقام الناس وانصرفوا فلما كان يوم الجمعة أتاه رجل ، وكان إبراهيم لا يقعد إلا وحده فسأله عن هذه المسألة فقال : ألم تحضر مجلسنا بالأمس ؟ قال : بلى فقال : أتعرف العلم كُلَّهُ ؟ قال : لا . قال : فاجعل هذا مما لم تعرف (٣) .

قال أبو الحسين العُكبَري : سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده من تعدون الغريب في زمانكم ؟ فقال رجل : الغريب من نأى عن وطنه وقال آخر :

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٥٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٥٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦) .

الغريب من فارق أحبابه .

فقال إبراهيم الغريب : فى زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين . إذا أمر بمعروف آزروه ، وإذا نهى عن منكر أعانوه ، وإن احتاج إلى سبب من الدُّنيا مانوه ، ثم ماتوا وتركوه [١] .

وقال مقاتل بن بُنان العكى : حضرت مع أبى وأخى عند أبى إسحاق - يعنى إبراهيم الحربى - فقال إبراهيم لأبى هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم . قال : احذر لا يرونك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم [٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٦١) .
(١) تاريخ بغداد (٦ / ٣٧) .

٦ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الخطيب البغدادي : سمع أبا نعيم الفضل بن دكين ، وعفان بن مسلم ، وعبد الله بن صالح العجلي ، وموسى بن إسماعيل التبوذكي ، وأبا عمر الحوضي ، ومسدداً ، وعبيد الله بن محمد بن عائشة ، وعمرو بن مرزوق ، وسعيد بن سليمان الواسطي ، وعلى بن الجعد ، وخلف بن هشام وعاصم بن على ، ومحمد بن مقاتل المروزي ، وأحمد بن يونس ، ومحمد بن بكار بن الريان ، وقتيبة بن سعيد ، ويحيى بن الحماني ، وأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبي شيبة ، وعبيد الله القواريري ، وخلقاً من أمثالهم (١) .

تلامذته :

قال الخطيب البغدادي : روى عنه موسى بن هارون الحافظ ، ويحيى بن صاعد ، وأبو بكر بن أبي داود ، والحسين المحاملي ، ومحمد بن مخلد ، وأبو بكر بن الأنباري النحوي ، وإبراهيم بن حبيش بن دينار ، وعثمان بن عبدويه ، وعبيد الله بن أحمد بن بكير ، وأبو عمرو بن السماك . وأحمد بن سلمان النجاد ، وأبو عمر الزاهد – صاحب ثعلب – ، وأبو سهل بن زياد ، ومحمد ابن على بن علوان المقرئ ، والقاضي أبو الحسين بن الأشناني ، ومحمد بن عبد الله الشافعي ، وعمر بن جعفر بن مسلم ، وأبو بكر بن مالك القطيعي ، وغيرهم (٢) .

---

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٢٧ ، ٢٨) .
(٢) تاريخ بغداد (٦ / ٢٨) .

٧ - وفاته رحمه الله

قال الخطيب البغدادى رحمه الله :

مات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين .

ثم روى بسنده عن إسماعيل بن على الخطبى قال : ومات أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى يوم الإثنين لتسع بقين من ذى الحجة ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى ، فى شارع باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جداً ، وكان يوماً فى عقب مطر ووحل ، ودفن فى بيته رحمه الله [١] .

(١) تاريخ بغداد (٦ / ٤٠) .

من أعـــلام السلــف

٤٠

أبو عبد الرحمن النسائى
أحمـد بن شعيـب الخـرسانـى

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخرسانى النسائى أبو عبد الرحمن ، والنسائى نسبه إلى نسأ ، وهى بلدة بخرسان .

ويجوز أن يقال : نَسَوِىّ .

قال فى معجم البلدان : كان سبب تسميتها بهذا الإسم أن المسلمين لما وردوا خرسان قصدوها فبلغ ذلك أهلها فهربوا ، ولم يتخلف بها غير النساء ، فقالوا : هؤلاء نساء والنساء لا يقتلن فننسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن ، فتركوا ومضوا ، فسموا بذلك نساء ، والنسبة الصحيحة إليها نسائى ، وقيل : نسوى أيضاً ، وكان من الواجب كسر النون [(١)] .

مولده : قال الذهبى : ولد بنسأ فى سنة خمس عشرة ومئتين [(٢)] .

وقيل : ولد سنة ٢١٤ هـ ، وأصل الخلاف هو ما نقل عن تلميذه أبى سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر قوله : رأيت بخطى فى مسوءتى أن مولده بنسا سنة ٢١٥ ، وقيل : ٢١٤ وذكر فى الوافى بالوفيات للصفدى (٦ / ٤١٦) أنه ولد سنة ٢٢٥ قال الحافظ السخاوى : وهو غلط جزما إما من الناسخ أو غيره [(٣)] .

صفته : قال الذهبى : وكان نضر الوجه مع كبر السن ، يؤثر لباس البرود النوبية ، والخضر ، ويكثر الاستمتاع ، له أربع زوجات ، فكان يقسم لهن ، ولا يخلو مع ذلك من سرِّيةٍ ، وكان يكثر أكل الديوك تشترى له

---

(١) نقلاً عن مقدمة شرح سنن النسائى المسمى ذخيرة العقبى فى شرح المجتبى لمحمد بن على بن آدم الأثيوبى (١ / ١٣ - ١٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٢٥) .
(٣) ذخيره العقبى (١ / ١٤) .

وتسمن وتخصى .

وقال مرة بعض الطلبة : ما أظن أبا عبد الرحمن إلا أنه يشرب النبيذ للنُّضْرَةِ التى فى وجهه (١) .

وقال الذهبى : كذلك : وكان شيخاً مهيباً ، مليح الوجه ، ظاهر الدم ، حسن الشيبة (٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٢٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٢٧) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ : سمعت أبا على الحسين بن على الحافظ يقول : سألت أبا عبد الرحمن النسائى ، وكان من أئمة المسلمين : ماتقول فى بقية ... فذكر كلاماً .

وقال أيضاً : أخبرنا أبو على الحافظ أخبرنا أبو عبد الرحمن النسائى الإمام فى الحديث بلا مدافعة .

وقال أيضاً : سمعت أبا على الحافظ غير مرة يذكر أربعة من أئمة المسلمين رآهم فيبدأ بأبى عبد الرحمن .

وقال فى موضع آخر : سمعت أبا على الحافظ يقول : رأيت من أئمة الحديث أربعة فى وطنى وأسفارى اثنان منهم بنيسابور : محمد بن إسحاق ، وإبراهيم بن أبى طالب ، وأبو عبد الرحمن النسائى بمصر ، وعبّدان بالأهواز .

وقال أيضاً : سمعت جعفر بن محمد بن الحارث يقول : سمعت مأمون المصرى الحافظ يقول : خرجنا مع أبى عبد الرحمن إلى طرطوس سنة الفداء فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام ، واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، ومحمد بن إبراهيم مربّع ، وأبو الآذان وكيلجة ، وغيرهم فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ فأجموا على أبى عبد الرحمن النسائى ، فكتبوا كلهم بانتخابه [(١)] .

وقال الدراقطنى : أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره [(٢)] .

---

(١) تهذيب الكمال (١ / ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

(١) طبقات الشافعية (٣/ ١٥) .

وقال أيضاً : كان ابن الحداد أبو بكر كثير الحديث ولم يحدث عن غير النسائي وقال : رضيت به حجة فيما بيني وبين الله (١) .

وقال ابن السبكي : سمعت شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ وسألته : أيهما أحفظ : مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح أو النسائي ؟ فقال : النسائي ثم ذكرت ذلك للشيخ الإمام الوالد تغمده الله برحمته : فوافق عليه (٢) .

وقال الذهبي : وكان من بحور العلم مع الفهم ، والإتقان ، والبصر ، ونقد الرجال ، وحسن التأليف .

جالَ في طلب العلم في خرسان ، والحجاز ، ومصر ، والعراق ، والجزيرة ، والشام ، والثغور ، ثم استوطن مصر ، ورحِل الحفاظ إليه ، ولم يبق له نظير في هذا الشأن (٣) .

وقال الحاكم : سمعت أبا الحسين محمد بن المظفر الحافظ يقول : سمعت مشايخنا بمصر يعترفون لأبي عبد الرحمن النسائي بالتقدم ، والإمامة ، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ، ومواظبته على الحج والإجتهاد وأنه خرج إلى الفداء مع والي مصر ، فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين والمشركين واحترازه عن مجالسة السلطان الذي خرج معه والانبساط بالمأكول والمشروب في رحله ، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد - رحمه الله - بدمشق من جهة الخوارج (٤) .

---

(١) طبقات الشافعية (٣ / ١٦) .
(٢) طبقات الشافعية (٣ / ١٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٢٧) .
(٤) تهذيب الكمال (٦ / ٣٣٤) ، تذكرة الحافظ (٢ / ٧٠٠) وسير أعلام النبلاء (١٣٢،١٣١/١٤) .

وقال الذهبى أيضاً : لم يكن أحدٌ فى رأس الثلاث مئة أحفظ من النسائى ، هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم ، ومن أبى داود ، ومن أبى عيسى ، وهو جارٍ فى مضمار البخارى وأبى زرعة إلا أن فيه قليل تشيع ، وانحراف على خصوم الإمام على ، كمعاوية وعمرو ، والله يسامحه (١) .

وقال ابن الأثير : كان شافعياً له مناسك على مذهب الشافعى ، وكان ورعاً متحرياً ، قيل : إنه أتى الحارث بن مسكين فى زىٍّ أنكره عليه قلنسوه وقباء ، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان ، فخاف أن يكون عيناً عليه فمنعه ، فكان يجئ فيقعد خلف الباب ، ويسمع ولذلك ما قال : حدثنا الحارث ، وإنما يقول : قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع (٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣٠) .

٣ - تشدده رحمه الله في نقد الرجال

قال الحافظ ابن طاهر : سألت سعد بن علي الزَّنْجَاني عن رجلٍ فوثقه فقلت : قد ضعفه النسائي . فقال : يابني إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال ، أشد من شرط البخاري ومسلم .

قال الذهبي : صدق فإنه ليَّنَ جماعة من رجال صحيحي البخاري ومسلم (١) .

وعن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق قال : قال لي أبو عبد الله بن منده : الذين أخرجوا الصحيح ، وميزوا الثابت من المعلول ، والخطأ من الصواب أربعة : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وأبو عبد الرحمن النسائي (٢) .

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمِيُّ الصوفي : سألت أبا الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ فقلت : إذا حَدَّث محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وأحمد بن شعيب النسائي حديثاً من تقدمٍ منهما ؟ قال : النسائي ، لأنه أسند ، على أني لا أقدم على النسائي أحد ، وإن كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً معدوم النظير (٣) .

قال وقال : سمعت أبا طالب الحافظ يقول : من يصبر على ما يصبر عليه أبو عبد الرحمن النسائي ، كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمه ترجمة فما حدث بها ، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة .

وقال حمزة بن يوسف السهمي : وسئل - يعني الدارقطني - إذا حدث

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣٥) .
(٣) تهذيب الكمال (١ / ٣٣٤ ، ٣٣٥) .

أبو عبد الرحمن النسائى وابن خزيمة بحديث أيما تقدمه ؟ فقال : أبو عبد الرحمن ، فإنه لم يكن مثله ، ولا أقدم عليه أحداً ، ولم يكن فى الورع مثله ، لم يحدث بما حدث ابن لهيعة وكان عنده عالياً عن قتيبة (١) .

(١) تهذيب الكمال (١ / ٣٣٥) .

٤ - شرط النسائي في سننه الكبرى والمجتبى

ذكر أبو عمرو بن الصلاح في مقدمته عن أبي عبد الله بن منّدَه أنه سمع محمد بن سعد الباوردي بمصر يقول : كان من مذهب أبي عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه .

قال ابن منده :ومثله أبو داود وإلى ذلك أشار العراقي في ألفيته حيث قال :

والنسئي يخرج من لم يجمعوا　　　عليه تركاً مذهبٌ متَّسِعُ

وقوله : مذهب متسع أى أنه لم يُرِدْ به إجماعاً خاص ، وذلكُ أن الحافظ ابن حجر رحمه الله قال : إن ذلك إجماع خاص ، وذلك أن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط ، فمن الأولى : شعبة والثوري ، وشعبة أشدهما ومن الثانية : يحيى القطان وابن مهدي ، ويحيى أشدهما ، ومن الثالثة : ابن معين وأحمد ، وابن معين أشدهما .

فقال النسائي : لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه ، فإذا وثقه ابن مهدي ، وضعفه يحيى القطان مثلاً لا يترك ، لما عرف من تشدد يحيى ، ومن هو مثله في النقد ، فإذا تقرر ذلك ظهر أن الذي يتبادر إلى الذهن من أن مذهب النسائي في الرجال مذهب متسع ليس كذلك ، فكم من رجل أخرج له أبو داود والترمذي تجنب النسائي إخراج حديث ، بل تجنب إخراج حديث جماعة من رجالي الصحيحين .

وقال أحمد بن محبوب الرملي : سمعت النسائي يقول : لما عَزَمْتُ على جمع السنن استخرت الله تعالى في الرواية عن شيوخ كان في القلب منهم بعض الشيء ، فوقعت الخيرة على تركتهم ، فتركت جملة من الحديث كنت أعلو فيها عنهم .

وقال الحسين المعافرى : إذا نظرت إلى ما يخرجه أهل الحديث فما خرجه النسائى أقرب إلى الصحة مما خرّجه غيره .

وقال الإمام أبو عبد الله بن رُشيد : كتاب النسائى أبدع الكتب المصنفة فى السنن تصنيفاً ، وأحسنها ترصيفاً وكان كتابه جامعاً بين طريقى البخارى ومسلم ، مع حظ كثير من بيان العلل .

وقال محمد بن معاوية الأحمر : الراوى عن النسائى قال النسائى : كتاب السنن كله صحيح ، وبعضه معلول ، إلا أنه لم يبين علته ، والمنتخب المسمى بالمجتبى صحيح كله ، وذكر بعضهم أن النسائى لما صنف السنن الكبرى أهداه إلى أمير الرملة ، فقال له الأمير : أكل مافى هذا صحيح ؟ قال : لا . قال : فجردِ الصحيح منه فصنف المجتبى .

وهو بالباء الموحدة . قال الزركشى فى تخريج الرافعى : ويقال بالنون أيضاً.

وقال الزركشى فى نكته على ابن الصلاح : تسمية الكتب الثلاثة صحاحاً إما باعتبار الأغلب لأن غالبها الصحاح والحسان وهى ملحقة بالصحاح والضعيف منها ربما إلتحق بالحسن ، فإطلاق الصحة عليها من باب التغليب .

وكتب محقق عمل اليوم والليلة : فبهذا يظهر أن النّسائى أخرج أحاديث الثقات فقط ، والآخرون نَصَّ على ضعفهم ، كما يظهر من خلال سننه ، فإذا تتبعناها وجدنا أنه يتوخى إخراج أقوى مافى الباب من الأحاديث ، ويعتمد العدالة والضبط فى الحديث بقطع النظر عن المعتقد والإتجاه المذهبى ، فقد روى عن الجوزجانى مثلاً وفيه انحراف عن على وأهل الكوفة ، وهو - يعنى النسائى - ميّال إلى التشيع كما تقدم ، وأخرج عن عمر بن سعيد بن أبى وقاص المدنى وهو الذى كان أميراً على الجيش الذى قتل الحسين بن على

رضى الله عنهما ، وكذلك وثق أسد بن وداعة ، وهو ناصبى شديد النصب ، كما روى عن الأجلح فى اليوم والليلة وكان مسرفاً فى التشيع ، وروى عن شمر بن عطية الأسدى فى اليوم والليلة وكان عثمانياً ، وروايته عن الشيعة من الحفاظ الضابطين ولو كانوا مسرفين فكثيرة ، خصوصاً فى مسند على ، كما يتبين لنا من خلال كتب الرجال ، لأن المسند لم تره [١] .

(١) باختصار من ذخيرة العقبى (١ / ٢٣ - ٢٩) .

٥ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال ابن السبكي : سمع قتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهويه ، وهشام بن عمار ، وعيسى بن حماد ، والحسين بن منصور السلمي النيسابوري ، وعمرو ابن زرارة . ومحمد بن نصر المروزي ، وسويد بن نصر ، وأبا كريب ، ومحمد ابن رافع ، وعلي بن حجر ، وأبا يزيد الجرمي ، ويونس بن عبد الأعلى ، وخلقاً سواهم بخرسان والعراق والشام ومصر والحجاز والجزيرة [(١)] .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابنه عبد الكريم ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني ، وأبو الحسن بن الخضر الأسيوطي ، والحسن بن رشيق العسكري ، وأبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني الحافظ ، وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية ، ومحمد بن معاوية بن الأحمر ، ومحمد بن قاسم الأندلسي ، وعلي بن أبي جعفر الطحاوي ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن المهندس ، هؤلاء رواه كتاب السنن عنه ، وأبو بشر الدولابي ، وهو من أقرانه ، وأبو عَوانة في صحيحه ، وأبو جعفر الطحاوي ، وأبو بكر بن الحداد الفقيه ، وأبو جعفر العقيلي ، وأبو علي بن هارون ، وأبو علي النيسابوري الحافظ وأمم لا يحصون [(٢)] .

---

(١) طبقات الشافعية (٣ / ١٥) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ /٣٢) .

٦ - مصنفاته رحمه الله

أ - الخصائص :

قال الوزير ابن حنْزابة : سمعت محمد بن موسى المأمونى صاحب النسائى قال : سمعت قوماً ينكرون على أبي عبد الرحمن النسائى كتاب «الخصائص» لعلى رضى الله عنه ، وتركه تصنيف فضائل الشيخين ، فذكرت له ذلك فقال : دخلت دمشق والمنحرف بها عن على كثير ، فصنفت كتاب «الخصائص» رجوت أن يهديهم الله تعالى . ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الصحابة ، فقيل له وأنا أسمع : ألا تخرج فضائل معاوية رضي الله عنه ؟ فقال : أى شئ أخرج ؟ حديث : «اللهم لا تشبع بطنه» فسكت السائل .

قال الذهبى : لعل أن يقال : هذه منقبة لمعاوية لقوله ﷺ : «اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة»[١] .

والظاهر والله أعلم أن الإمام النسائى لا يقصد الطعن فى معاوية رضي الله عنه ، ولكنه أنكر على أهل الشام شدة محبتهم وإطرائهم لمعاوية رضي الله عنه ، وتنقصهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما أشار إلى ذلك ما رواه أبو عبد الله بن منده عن حمزة العقبى المصرى وغيره أن النسائى خرج من مصر فى آخر عمره إلى دمشق ، فسئل بها عن معاوية وماجاء فى فضائله ، فقال لا يرضى رأساً برأس حتى يفضل .

فالذى أنكره النسائى تفضيلهم لمعاوية على عَلِىٍّ رضى الله عنهما ، ولا شك فى أن عَلِيٌّ أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فهو

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٢٩ - ١٣٠) .

رابع الأمة فى الفضل والخلافة .

وقال الحافظ أبو القاسم : هذه الحكاية لا تدل على سوء إعتقاد أبى عبد الرحمن فى معاوية بن أبى سفيان وإنما تدل على الكف فى ذكره بكل حال .

ثم روى باسناده عن أبى الحسن على بن محمد القابسى قال : سمعت أبا على الحسن بن أبى هلال يقول : سئل رسول الله ﷺ فقال : إنما الإسلام كدار لها باب ، فباب الإسلام الصحابة ، فمن آذى الصحابة ، إنما أراد الإسلام ، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار . قال : فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة (١) .

٢ - السنن الكبرى :

وهو مطبوع بتحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البندارى ، وسيد كسروى حسن ، وطبع دار الكتب العلمية قال المحقق وهو يحتوى على بضع وعشرين كتاباً لم يحتوها كتاب المجتبى ، وفى الكتب المشتركة بين الكبرى والمجتبى يوجد سقط من المجتبى ضمنه النسائى فى السنن الكبرى ، غير أن هذه القاعدة ليست مطلقة ، فقد تضمن المجتبى تعليقات وأحاديث ليست فى السنن الكبرى .

٣ - المجتبى :

وهو المشهور بسنن النسائى ، وأشهر شروحه شرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشيته السندى ط . دار الكتب العلمية ، وهناك شروح لم تكتمل بعد كذخيرة العقبى للشيخ محمد بن على بن آدم ، وطبع دار المعراج الدولية وبذل الإحسان لأخينا الفاضل الشيخ أبو إسحاق الحوينى وطبع مكتبة التربية .

---

(١) تهذيب الكمال (١ / ٣٣٩ ، ٣٤٠) .

٤ - تفسير النسائي :

وهو مطبوع بتحقيق صبرى عبد الخالق الشافعى ، وسيد عباس الحليمى ، وطبع مؤسسة الكتب الثقافية .

وله كتب أخرى ذكرها فؤاد سزكين فى تاريخ التراث : فمن ذلك الضعفاء والمتروكين .

وتسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل المدينة ، وتسميه من لم يرو عنه غير رجل واحدٍ .

وعمل اليوم والليلة وكتاب الجمعة (١) .

وبعضها مطبوع متداول ، والله أعلم .

(١) انظر تاريخ التراث (٢ / ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

٧ - وفاته رحمه الله

قال الذهبى رحمه الله : روى أبو عبد الله بن منده عن حمزة العقبى المصرى وغيره أن النسائى خرج من مصر فى آخر عمره إلى دمشق ، فسئل بها عند معاوية وماجاء فى فضائله ، فقال : لا يرضى رأس برأس حتى يفضل ؟ قال : فما زالوا يدفعون فى حِضْنَيه حتى أخرج من المسجد ، ثم حمل إلى مكة فتوفى بها ، كذا قال : وصوابه إلى الرملة .

قال الداراقطنى : خرج حاجاً ، فامتحن بدمشق ، وأدرك الشهادة فقال : احملونى إلى مكة فحمل فتوفى بها ، وهو مدفون بين الصفات والمروة ، وكانت وفاته فى شعبان سنة ثلاث وثلاثة مائه قال : وكان أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعلمهم بالحديث والرجال .

وقال أبو سعيد يونس فى « تاريخه » كان أبو عبد الرحمن النسائى سنة اثنين وثلاث مائة ، وتوفى بفلسطين فى يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من صفر .

قال الذهبى : وهذا أصح فإن ابن يونس حافظ يقظ وقد أخذ عن النسائى فهو به عارف [(١)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣٢ ، ١٣٣) .

المراجـــع

فهـرس المـراجـع

١ - الإمام الترمذى والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين لنـور الديـن غنر ، ط . مطبعة لجنة التألف والترجمة والنشر .
٢ - الإمام على بن المدينى ومنهجـه فى نقد الرجال لإكرام الله إمداد الحق ، ط . دار البشائر .
٣ -الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث لابن كثير .
٤ - البداية والنهاية لابن كثير .ط . دار الفكر .
٥ - تاريخ الأدب العربى لبركلمان ط . دار المعارف .
٦ - تاريخ الإسلام للذهبى بتحقيق د . عبد السلام تدمرى ط . دار الكتاب العربى .
٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ط . دار الكتب العلمية .
٨ - تاريخ التراث لفؤاد سزكين ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٩ - تاريخ دمشق لابن عساكر مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
١٠ - تاريخ الخلفاء للسيوطى . ط . المكتبة التجارية .
١١ - تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيـوطى ط . المكتبـة العلميـة بالمدينة .
١٢ - تذكرة الحفاظ للذهبى . دار الفكر العربى .
١٣ - تصدير لجنة إحياء كتب السُّنَّة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية برئاسة محمد محيى الدين عبد الحميد لصحيح البخارى ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٤ – تقريب التهذيب بتحقيق عوامه ط . دار الرشيد .
١٥ – تهذيب الأسماء واللغات للنووى ط . دار الكتب العلمية .
١٦ – تهذيب الكمال لجمال الدين المزى ط . الرسالة .
١٧ – تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ط . دار الفكر .
١٨ – الثقات لابن حبان ط . مؤسسة الكتب الثقافية .
١٩ – جامع الأصول لابن كثير ط . دار الفكر .
٢٠ – الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم ط . دار الكتب العلمية .
٢١ – حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى ط . مكتبة السعادة .
٢٢ – خلاصة القول المفهم على تراجم رجال جامع الإمام مسلم لمحمد الأثيوبى .
٢٣ – الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان لابن حجر التميمى .
٢٤ – ذخيرة العقبى شرح سنن النسائى لعلى بن آدم الأثيوبى ط . دار المعراج .
٢٥ – الرسالة للإمام الشافعى بتحقيق وتقديم أحمد شاكر .
٢٦ – سنن ابن ماجه بترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ط . المكتبة العلمية .
٢٧ – سنن الترمذى بتحقيق شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقى وإبراهيم عطوه ط . دار الحديث .
٢٨ – سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى ط . دار الكتب العلمية.
٢٩ – سير أعلام النبلاء للذهبى ط . الرسالة .
٣٠ – سيرة الإمام أحمد لصالح بن أحمد بتحقيق فؤاد عبد المنعم ط . دار الدعوة .

٣١ – سيرة الإمام البخارى لعبد السلام المباكفورى ط . إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية بالهند .

٣٢ – سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ط . دار الكتب العلمية .

٣٣ – شرح علل الترمذى لابن رجب بتحقيق صبحى السمرائى ط . عالم الكتب .

٣٤ – شروط الأئمة الخمسة ، علق عليها محمد زاهد الكوثرى ، مكتبة عاطف .

٣٥ – شروط الأئمة الستة علق عليها محمد زاهد الكوثرى ، مكتبة عاطف .

٣٦ – صحيح مسلم بشرح النووى ط . مؤسسة قرطبة .

٣٧ – صفة الصفوة لابن الجوزى ط . مكتبة التوعية الإسلامية .

٣٨ – طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد ط . دار صادر .

٣٩ – طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكى ط . عيسى الحلبى .

٤٠ – عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذى لابن العربى ط. الوحى .

٤١ – عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق أبادى ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٤٢ – العبر للذهبى ط . دار الكتب العلمية .

٤٣ – فتح البارى شرح صحيح البخارى ط . المكتبة السلفية .

٤٤ – قاعدة فى الجرح والتعديل لإنتاج السبكى بتحقيق أبى غدة – مكتبة الرشيد .

٤٥ – كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق لابن المبارك بتحقيق أبى عبد الرحمن الأعظمى ط . دار الكتب العلمية .

٤٦ – الكامل لابن الأثير ط . دار الكتاب العربى .
٤٧ – مستدرك الحاكم ط . دار المعرفة .
٤٨ – مسند الإمام أحمد ط . المكتب الإسلامى .
٤٩ – مقدمة شرح القسطلانى لصحيح البخارى لعطية عبد الرحيم عطية ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
٥٠ – معجم الأدباء لياقوت الحموى ط . دار الفكر .
٥١ – مناقب الشافعى للبيهقى بتحقيق السيد أحمد صقر . ط . دار التراث .
٥٢ – مناقب الشافعى للرازى .
٥٣ – موطأ مالك بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط . عيسى الحلبى .
٥٤ – ميزان الاعتدال للذهبى ، ط . دار الفكر العربى .
٥٥ – المجروحين لابن حبان بتحقيق محمود إبراهيم زايد ، ط . دار الوعى بحلب .
٥٦ – المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمى ط . مطبعة المدنى .
٥٧ – هدى السارى لابن حجر العسقلانى ط . المكتبة السلفية .

الفهارس

فهرس الموضوعات
الجزء الثانى

الموضوع	رقم الصفحة
٢١ - ابن المبارك :	٥
١ - اسمه ومولده وموطنه .	٧
٢ - اجتماع خصال الخير فيه .	٩
٣ - طلبه للعلم ونباهة خاطره	١١
٤ - عبادته وخشيته .	١٣
٥ - زهده وورعه .	١٦
٦ - أدبه وكرمه .	١٨
٧ - تواضعه وفراره من الشهرة .	٢١
٨ - جهاده وشجاعته .	٢٣
٩ - ثناء العلماء عليه .	٢٦
١٠ - من أقواله وأشعاره .	٢٩
١١ - شيوخه وتلامذته .	٣٣
١٢ - مؤلفاته رحمه الله .	٣٦
١٣ - وفاته رحمه الله .	٣٧
٢٢ - عابد الحرمين الفضيل بن عياض :	٣٩
بين يدى الترجمة	٤١

١ - اسمه ومولده ٤٢
٢ - ثناء العلماء عليه ٤٣
٣ - عبادته وخشيته رحمه الله ٤٥
٤ - اتباعه للسُّنَّة وذمه للبدع والمبتدعين ٤٧
٥ - شيوخه وتلامذته ٤٨
٦ - درر من أقواله ٤٩
٧ - وفاته رحمه الله ٥٢
٢٣ - وكيع بن الجراح : ٥٣
١ - اسمه ومولده وصفته ٥٥
٢ - ثناء العلماء عليه ٥٦
٣ - عبادته ٥٩
٤ - حفظه ٦٠
٥ - أدبه وكرمه ٦١
٦ - محنته ٦٢
٧ - اتباعه للسُّنَّة ٦٤
٨ - درر من أقواله ٦٥
٩ - شيوخه وتلامذته ٦٧
١٠ - وفاته رحمه الله ٦٩
٢٤ - سفيان بن عيينة : ٧١
١ - اسمه ومولده وصفته ٧٣
٢ - ثناء العلماء عليه ٧٤
٣ - سعة علمه ٧٦
٤ - اتباعه للسُّنَّة ٧٧

٥ - زهده وأقواله فى الزهد ٧٨
٦ - شيوخه وتلامذته ٧٩
٧ - درر من أقواله ٨١
٨ - وفاته رحمه الله ٨٣
٢٥ - عبد الرحمن بن مهدى : ٨٥
١ - اسمه ومولده ٨٧
٢ - ثناء العلماء عليه ٨٨
٣ - عبادته ٩٠
٤ - حفظه وضبطه وتثبته ٩١
٥ - اتباعه للسُّنَّة ٩٣
٦ - شيوخه وتلامذته ٩٥
٧ - درر من أقواله ٩٦
٨ - وفاته رحمه الله ٩٨
٢٦ - يحيى بن سعيد القطان : ٩٩
١ - اسمه ومولده وصفته ١٠١
٢ - ثناء العلماء عليه ١٠٢
٣ - عبادته رحمه الله ١٠٤
٤ - تشدده فى نقد الرجال ١٠٥
٥ - حفظه وتثبته ١٠٦
٦ - شيوخه وتلامذته ١٠٧
٧ - درر من أقواله ١٠٨
٨ - وفاته رحمه الله ١٠٩

٢٦ - ناصر الحق والسنّة محمد بن إدريس الشافعي : ١١١
١ - اسمه ونسبه ومولده ونشأته وصفته رحمه الله ١١٣
٢ - ابتداء طلبه للعلم ونبوغه فيه ١١٥
٣ - ثناء العلماء عليه ١١٨
٤ - عبادته وزهده ١٢٢
٥ - سخاؤه وجوده ١٢٥
٦ - اتباعه للسُّنّة وذمه لأهل البدع ١٢٨
٧ - فقهه رحمه الله ١٣٠
٨ - براعته في التصنيف وبركة مصنفاته ١٣٢
٩ - شيوخه وتلامذته ١٣٤
١٠ - كتبه رحمه الله ١٣٥
١١ - درر من أقواله ونتف من أشعاره ١٣٧
١٢ - وصيته رحمه الله ١٤١
١٣ - مرضه ووفاته رحمه الله ١٤٣
٢٨ - يزيد بن هارون الواسطي : ١٤٧
١ - اسمه ومولده وصفته ١٤٩
٢ - ثناء العلماء عليه ١٥٠
٣ - حفظه رحمه الله ١٥٢
٤ - عبادته رحمه الله ١٥٤
٥ - اتباعه للسُّنّة ١٥٥
٦ - نتف من أخباره ١٥٦
٧ - شيوخه وتلامذته ١٥٧
٨ - وفاته رحمه الله ١٥٨

٢٩ - أبو عبيد القاسم بن سلام : ١٥٩
١ - اسمه ومولده وصفته ١٦١
٢ - ثناء العلماء عليه ١٦٢
٣ - قصته مع أمير خرسان ١٦٥
٤ - عبادته واتباعه للسُّنَّة ١٦٧
٥ - كتبه رحمه الله ١٦٩
٦ - توقيره لأهل العلم ١٧٠
٧ - من أقواله ١٧١
٨ - شيوخه وتلامذته ١٧٢
٩ - وفاته رحمه الله ١٧٣
٣٠ - يحيى بن معين : ١٧٥
١ - اسمه ومولده وصفته ١٧٧
٢ - ثناء العلماء عليه ١٧٨
٣ - مهارته فى معرفة الخطأ ١٨١
٤ - شيوخه وتلامذته ١٨٢
٥ - درر من أقواله ١٨٣
٦ - وفاته رحمه الله ١٨٥
٣١ - على بن المدينى : ١٨٧
١ - اسمه ومولده ١٨٩
٢ - ثناء العلماء عليه ١٩٠
٣ - براعته فى معرفة العلل ١٩٣
٤ - حفظه رحمه الله ١٩٥
٥ - موقفه من المحنة ١٩٦

٦ - شيوخه وتلامذته ١٩٨
٧ - مصنفاته ١٩٩
٨ - وفاته رحمه الله ٢٠٠
٣٢ - إسحاق بن راهويه : ٢٠١
١ - اسمه ومولده وصفته ٢٠٣
٢ - ثناء العلماء عليه ٢٠٤
٣ - علمه وحفظه ٢٠٦
٤ - خشيته وصدعه بالحق ٢٠٨
٥ - مناظرته للشافعي رحمهما الله ٢٠٩
٦ - اتباعه للسُّنَّة ٢١١
٧ - شيوخه وتلامذته ٢١٢
٨ - وفاته رحمه الله ٢١٤
٣٣ - أحمد بن حنبل إمام أهل السُّنَّة : ٢١٥
بين يدي الترجمة ٢١٧
١ - اسمه ومولده وصفته ٢٢٠
٢ - ابتداء طلبه للعلم ٢٢٢
٢ - ثناء العلماء عليه ٢٢٤
٤ - زهده ٢٢٧
٥ - ورعه ٢٣٠
٦ - آدابه وأخلاقه ٢٣٢
٧ - تمسكه بالسنن ٢٣٤
٨ - محنته ٢٣٥
٩ - شيوخه وتلامذته ٢٤٥

١٠ - مؤلفاته ٢٤٧
١١ - نتف من أقواله ودرر من أشعاره ٢٤٩
١٢ - مرضه ووفاته رحمه الله ٢٥١
٢٤ - محمد بن إسماعيل البخاري شيخ المحدثين ٢٥٥
١ - اسمه ومولده وصفته ٢٥٧
٢ - مولده وموطنه ٢٥٩
٣ - ابتداء طلبه للعلم وعلو همته في الطلب ٢٦٠
٤ - رحلاته للأمصار ٢٦٢
٥ - شيوخه رحمهم الله وطبقاتهم ٢٦٥
٦ - زهده وورعه ٢٦٨
٧ - عبادته رحمه الله ٢٧٠
٨ - كرمه وسماحة نفسه وحسن خلقه ٢٧٢
٩ - قوة حفظه ونباهة خاطره وسيلان ذهنه ٢٧٤
١٠ - تمسكه بالسنن النبوية ٢٧٧
١١ - براعته في معرفة العلل ٢٨٠
١٢ - فقهه رحمه الله ٢٨٢
١٣ - احتياطه في جرح الرواة ٢٨٤
١٤ - مكانة الإمام البخاري ومحبته في قلوب المسلمين ٢٨٦
١٥ - ثناء العلماء عليه : ٢٨٨
أ - ثناء شيوخه ٢٨٨
ب - ثناء أقرانه ٢٨٩
جـ - ثناء المتأخرين ٢٩١
١٦ - تلامذة إمام المحدثين ٢٩٤

١٧ - مؤلفات شيخ المحدثين ٢٩٨
١٨ - فتنة البخارى ووفاته ٣٠١
٣٥ - مسلم بن الحجاج : ٣٠٥
١ - اسمه ومولده وصفته ٣٠٧
٢ - ثناء العلماء عليه ٣٠٨
٣ - أهمية صحيحه الجامع ٣١٠
٤ - دقته وشده تحريه فى الصحيح الجامع ٣١٦
٥ - الجواب على من عاب على مسلم إخراجه
عن جماعة ممن تكلم فيهم بالضعف ٣١٨
٦ - بين صحيح البخارى وصحيح مسلم ٣٢٠
٧ - شيوخه وتلامذته ٣٢٤
٨ - آثاره رحمه الله ٣٢٦
٩ - وفاته رحمه الله ٣٢٧
٣٦ - أبو داود السجستاني : ٣٢٩
١ - اسمه ومولده وصفته ٣٣١
٢ - ثناء العلماء عليه ٣٣٢
٣ - فضائل سنن أبي داود ٣٣٤
٤ - شرط أبى داود ٣٣٥
٥ - شيوخه وتلامذته ٣٣٩
٦ - آثاره رحمه الله ٣٤١
٧ - نتف من أخباره ٣٤٢
٨ - وفاته رحمه الله ٣٤٣

٣٧ - أبو حاتم الرازي :	٣٤٥
١ - اسمه ومولده وموطنه	٣٤٧
٢ - ثناء العلماء عليه	٣٤٨
٣ - اتباعه للسُّنَّة رحمه الله	٣٥٠
٤ - سعة علمه	٣٥١
٥ - رحلاته وهمته في الطلب	٣٥٣
٦ - تشدده في توثيق الرجال	٣٥٥
٧ - شيوخه وتلامذته	٣٥٦
٨ - من أقواله وأشعاره	٣٥٨
٩ - وفاته رحمه الله	٣٥٩
٣٨ - أبو عيسى الترمذي :	٣٦١
١ - اسمه ومولده وصفته	٣٦٣
٢ - ثناء العلماء عليه	٣٦٤
٣ - فضائل جامعه .	٣٦٧
٤ - ما قيل في تسمية الكتاب وطريقة الترمذي في تصنيفه	٣٦٩
٥ - تساهله رحمه الله في التصحيح	٣٧١
٦ - شرط الترمذي في جامعه	٣٧٢
٧ - مرتبة جامع الترمذي	٣٧٤
٨ - شيوخه وتلامذته	٣٧٦
٩ - مؤلفاته رحمه الله	٣٧٨
١٠ - وفاته رحمه الله	٣٧٩
٣٩ - إبراهيم الحربي :	٣٨١
١ - اسمه ومولده وصفته .	٣٨٣

٢ – ثنـــاء العلمـــاء عليه ٣٨٤
٣ – زهـــــــــده ٣٨٧
٤ – ورعـه وعفتـــــه ٣٨٩
٥ – طرف من أخباره ودرر من أقواله ٣٩١
٦ – شيوخــه وتلامذته ٣٩٤
٧ – وفاتــه رحمـه الله ٣٩٥
٤٠ - أبو عبد الرحمن النسائى : ٣٩٦
١ – اسمه ومولـده وصفتـه ٣٩٩
٢ – ثنـــاء العلمـــاء عليه ٤٠١
٣ – تشدده فى نقد الرجـال ٤٠٤
٤ – شرط النسائى فى سننه الكبرى والمجتبى ٤٠٦
٥ – شيوخـه وتلامذتـه ٤٠٩
٦ – مصنفاته رحمه الله ٤١٠
٧ – وفاتــه رحمـه الله ٤١٣
المـــراجــــع ٤١٤
الـفـــهــــارس ٤١٩